دروس إسلامية

الدكتور
عبدالجبار فتحي زيدان

الطبعة الثانية

1432هـ 2011م

اسم الكتاب: دروس إسلامية

اسم المؤلف: الدكتور عبد الجبار فتحي زيدان

نشر وتوزيع

مكتبة الجيل العربي

لصاحبها: ذاكر خليل العلي

الموصل – شارع النجفي

ص.ب: 2104

هاتف: 770977

Email: thakeralali@yahoo.com

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد

(804) لسنة 2009م

مقدمة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَــنِ الرَّحِيمِ، والْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،الرَّحْمَــنِ الرَّحِيمِ، مَــلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله، وخاتَمِ النَّبيين، وعَلَى آلِهِ وأصْحابِهِ أجْمَعِين، من الأنصارِ والمهاجرين، والذين اتبعوهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين

وبعد، فهذا كتابي: دروس إسلامية، تتضمن مواضيع مختارة ، ومعلومات، وجدتُ أنَّه من المفيد جدًا أن يطلع عليها القارئ المسلم؛ ليزداد يقينًا بإسلامه؛ وليتخذها زاده في توعية من جعلهم الله تحت رعيته ؛ ولتكون سلاحه يردُّ بها كيد الكائدين،

أسأل الله، جلَّ شأنه، أن ينفع بها المسلمين، وأســأله سـبحانه، أن يتقبَّلها منِّي عملاً خالصًا لوجهه الكريم، اللهمَّ آمين.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾.

﴿ ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ﴾.

﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾.

من بركات شهر رمضان نزول القرآن فيه، ففي ليلة القدر نزل القرآن الكريم من السماء السابعة إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم أخذ يتنزل منجما على قلب الرسول ﷺ حتى اكتمل في ثلاث وعشرين سنة.

كان رسول الله ﷺ عند نزول الوحي، ولو آية أو بعض آية، يدعو أحد الكتبة فورا ليدون ما نزل من القرآن على الرغم من أنهم كانوا يعتمدون على الحفظ فقد اتخذ النبي ﷺ كتابا للوحي من بينهم الخلفاء الراشدون وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وخالد بن الوليد وثابت بن قيس، وكان الرسول ﷺ يحفظ كل ما يتزل عليه من القرآن. وكذلك يأمر صحابته بحفظه ثم يأمر كُتَّاب الوحي بكتابة كل آية تتزل عليه، وقد استطاع المستشرق بلاشير أن يحصي أربعين من كتاب الوحي.

وكان ترتيب الآيات بأمر من الرسول ﷺ. فقد أخرج الإمام أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن عمرو بن العاص قال: كنت قائما عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ){النحل: 90}

فالترتيب توقيفي من عند رسول الله ﷺ، بلغ ذلك بالتواتر، وكذلك ترتيب السور في الأصح والأرجح وكان كل ما يكتب يوضع في بيت رسول الله ﷺ وينسخ كل كاتب من كُتَّاب الوحي نسخة منه لنفسه، فتضافرت نسخ هؤلاء الكتاب والصحف التي في بيت النبي ﷺ مع حافظة الصحابة الأميين وغير الأميين على حفظ القرآن وصيانته، فتحقق بذلك قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ){الحجر: 9}

وكانت الصحف المكتوبة بين يدي رسول الله ﷺ التي وضعت في بيته قد ربطت بخيط خشية أن تضيع وتفلت منها نسخة، فهذا هو الجمع الأول وكانت الغاية منه حفظ القرآن الكريم من النسيان أو الضياع.

جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه

كتب القرآن كله في عهد النبي عليه الصلاة والسلام إلا أنه كان مفرق الآيات والسور وأول من جمعه في صحف مرتب الآيات كما رويت محفوظة عن الرسول ﷺ، هو أبو بكر رضي الله عنه، وقد أمر أبو بكر رضي الله عنه زيد بن ثابت في جمع القرآن وكتابته مرة ثانية، وهو من كُتَّاب الوحي أنفسهم وكان الصحابة رضي الله عنهم حافظين للقرآن الكريم، وكانت الآيات تقابل بين الحفظ والكتابة فكان التوافق بينهما تاما، فالآيات التي تكتب تسمع من الحفاظ، وقد استغرق جمعه عاما واحدا، وكان عمر رضي الله عنه قد استشار على أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن ثانية، فأبو بكر رضي الله عنه نفذه وزيد بن ثابت كتبه فالجمع الثاني للقرآن الكريم كانت الغاية منه جعله في مصحف واحد بعد أن كان في صحف متفرقة أي أن أصل هذه الصحف هي

الصحف نفسها التي كتبت بأمر رسول الله ﷺ وبين يديه وبإشراف واحد من كُتَّاب الوحي أنفسهم، وظلت هذه الصحف عند أبي بكر رضي الله عنه حتى توفاه الله، ثم عند عمر رضي الله عنه في حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما.

واختيار زيد بن ثابت لجمع القرآن ثانية في عهد أبي بكر رضي الله عنه يرجع إلى ما كان يتمتع به زيد من مؤهلات أهمها:

1-إنه ممن حفظ القرآن كله عن ظهر قلب على عهد النبي ﷺ.

2-انه من أبرز كُتَّاب الوحي ومن أكثرهم ملازمة للنبي ﷺ.

3-إنه ممن شهد عرضة القرآن الأخيرة بين يدي النبي ﷺ التي بيَّن فيها مانسخ ومابقي، فأمر بترك المنسوخ وإبقاء الناسخ وقرأ الرسول ﷺ القرآن بحالته الأخيرة على زيد بن ثابت، وكان ﷺ يؤم الناس به حتى توفي ﷺ.

4-تميزه بالأمانة ورجاحة العقل وقوة الاحتمال.

5-قدرته على سلوك أدق طرق البحث العلمي والتحري في الجمع.

وقد عاون زيدا في هذه المهمة عدد من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبي بن كعب، وامتاز هذا الجمع بعدة ميزات أهمها:

1-إن منهج الجمع كان من أدق مناهج البحث والتحري العلمي.

2-إنه اقتصر فيه على ما لم تنسخ تلاوته كما امر الرسول ﷺ.

3-إن الآيات والسور كتبت على الترتيب الذي تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ، كما هو عليه الآن، وثمة مسألة جديرة بالذكر، هي أن بعض كتبة الوحي، كما تبين، كانوا ينسخون لأنفسهم نسخة مما يكتبون لرسول الله ﷺ، وإن منهم من واصل الكتابة بعد وفاة الرسول ﷺ،في خلافة

أبي بكر ﷺ حتى أتمه. من هؤلاء علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ويظهر من بعض الروايات أن عليا ﷺ كتب القرآن على ترتيب الترول وقدم المنسوخ على الناسخ، وقد روى هذا عدد من المؤرخين القدامى منهم ابن حجر وفي شرح الكافي للمولى صالح القزويني عن كتاب سليم بن قيس الهلالي أن عليا عليه السلام بعد وفاة النبي ﷺ لزم بيته وأقبل على القرآن يجمعه ويؤلفه فلم يخرج من بيته حتى جمعه كله، ويمكننا أن نقول بعد ذلك أن المصحف الذي جمع أول مرة واعتمده المسلمون قاطبة هو ما جمع في عهد أبي بكر ﷺ وبمشورة عمر ﷺ وأن المصاحف الأخرى التي جمعها نفر من الصحابة كمصحف علي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما لم يعتمدها المسلمون، لأنها لم تظفر بما ظفر به المصحف المعتمد من دقة البحث والتحري ومن الاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته ولا على ترتيب آياته وسوره بتوقيف من رسول الله ﷺ. يضاف إلى ذلك أن عليا ﷺ كما ذكر في شرح الكافي أنه كتب في مصحفه تأويل بعض الآيات وتفسيرها بالتفصيل، مما يجعل ذلك احتمال اختلاط كلامه بكلام الله من غير قصد، فتفسير الآيات عمل فردي لا علاقة له بنص القرآن المترل.

كما أن عليا ﷺ قد كتب في مصحفه أيضا منسوخ التلاوة التي لا تعد من القرآن، لأن الرسول ﷺ قد أعلم المسلمين بعد اكتمال القرآن في آخر حياته بالآيات المنسوخة تلاوتها، أي: المنسوخة لفظا ومعنى التي أمر بعدم تلاوتها وكتابتها وأعلمهم بالآيات الأخرى المنسوخة معنى لا لفظا التي أمر بكاتبتها وتلاوتها من دون العمل بمعناها.

جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه

اتسعت في عهد عثمان رضي الله عنه رقعة الدولة الإسلامية وساح المسلمون في الأرض وانتشر القراء في الأمصار يعلمون الناس القرآن، وكان أهل كل إقليم يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة، فأهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود، وأهل البصرة يقرؤون بقراءة أبي موسى الأشعري، وهكذا فكان بينهم خلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة وكان هذا مرخصا به على عهد النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما سنعرف من الأحرف السبعة، ولكن المسلمين الجدد لم يتفهموا الأمر على وجهه الصحيح فوقع بينهم التراع والشقاق وأخذ كل فريق يدعي أنه على الحق وأن غيره على الباطل واستفحل الداء حتى كاد يكفر بعضهم بعضا، قال علي بن أبي طالب. وكان ذلك قد تعارف بين الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن ينكر أحد ذلك على أحد لمشاهدتهم من أباح ذلك وهو النبي صلى الله عليه وسلم فلما انتهى ذلك الاختلاف (يعني في القراءات) إلى ما لم يعاين صاحب الشرع ولا علم بما أباح من ذلك أنكر كل قوم على الآخرين قراءتهم واشتد الخصام بينهم.

فلعدم تمكن أكثر العرب من قراءة القرآن بلهجة قريش التي نزل بها ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم أرخصهم بقراءة القرآن بلهجاتهم بأمر من عند الله عز وجل فلم يجمع أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما الناس على قراءة القرآن باللهجة التي كتبت بها الصحف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت أول محاولة لتوحيد اللهجات في عهد عمر رضي الله عنه لكنها لم تكن منظمة وشاملة يقول ابن جني: روي عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ: (ليسجننه عتى حين) بدلا من القراءة المشهورة (لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ)(يوسف: 35}فقال من

أقرأك هذا؟ قال: ابن مسعود: فكتب إليه أن الله عز وجل أنزل هذا القرآن عربيا وأنزله بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش ولاتقرئهم بلغة هذيل والسلام، وقد كان ابن مسعود من قبيلة هذيل، وفي لهجتهم إبدال حاء (حتى) عينا.

وفي سنة 25 من الهجرة السنة الثانية أو الثالثة من خلافة عثمان اجتمع أهل الشام وأهل العراق على فتح أرمينيا وأذربيجان وكان الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ممن خرج للجهاد قائدا لأهل المدائن من أعمال العراق فلحظ كثرة اختلاف المسلمين في وجوه القراءة وسمع ما كانت تنطق به ألسنتهم من كلمات التجريح والتأثيم فاستعظم ذلك وأكبره وقام بهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه.

ثم قال: هكذا كان من قبلكم اختلفوا والله لأركبن إلى أمير المؤمنين وجاء فزعا إلى المدينة ولم يدخل بيته حتى أتى عثمان فقال له: يا أمير المؤمنين: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. واتفق أن عثمان أيضا قد وقع له نحو ذلك فاستشار ﷺ الصحابة قال: ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفرا. قال الصحابة فما ترى؟ قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد. قال الصحابة: فَنِعْمَ مارأيت.

تنفيذ الجمع

ألف عثمان ﷺ لجنة لتنفيذ عملية الجمع الجديدة في مطلع سنة 25 من الهجرة من أربعة من حفظة القرآن هم: زيد بن ثابت وهو أحد الذين شهدوا كتابة القرآن بين يدي رسول الله ﷺ، وعبد الله بن الزبير، وسعيد

بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث. وأرسل عثمان ﷺ إلى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها طالبا الصحف التي عندها وهي عينها الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر المأخوذة أصلا من الصحف التي كتبت بين يدي رسول الله ﷺ، فأرسلتها وشرعت اللجنة بنسخها وهذا ما ورد في صحيح البخاري.

وقد اعترف كثير من المستشرقين بورع أعضاء اللجنة الرباعية هذه في نسخ المصاحف ونذكر على سبيل المثال قول (بلاشير): لا يسع أحد الشك في عمق شعور أعضاء اللجنة بمسؤوليتهم ولئن فاتهم منهج البحث الذي لم يكن متيسرا لأحد في عصرهم لم يفتهم الاحتياط والورع.

منهج الجمع

سارت اللجنة في عملها على قواعد ثابتة هي:

1-اعتماد الصحف التي تم جمعها في عهد أبي بكر ﷺ التي تعد أصلا للصحف التي كتبت في عهد الرسول ﷺ وقد كان زيد بن ثابت ﷺ أحد كتبة هذه الصحف في عهد النبي ﷺ، المشرف على كتابتها في عهد أبي بكر ﷺ وها هو الآن المشرف على كتابة القرآن مرة ثالثة في عهد عثمان ﷺ.

2-اعتماد لهجة قريش أساسا للنسخ عند اختلاف أعضاء اللجنة في كتابة شيء من القرآن.

3-اعتماد القراءة المتواترة عن النبي ﷺ أساسا للكتابة وترك ما سواها من وجوه القراءات المختلف فيها وما كانت روايته أحادا.

4-عند كتابة لفظ تواتر عن النبي ﷺ على أكثر من وجه تبقي اللجنة هذا اللفظ خاليا من أية علامة تقصر القراءة به على وجه واحد.

5-اعتماد ترتيب الآيات والسور على حسب ترتيب النبي ﷺ في العرضة الأخيرة في السنة التي توفي فيها.

6-بعد الفراغ من كتابة المصحف الإمام. النسخة الأولى وقبل نسخ بقية المصاحف يراجعه زيد بن ثابت ثلاث مرات ويقابله بصحف أبي بكر المعتمدة أصلا على الصحف التي كتبت بين يدي رسول الله ﷺ، ثم يراجعه عثمان بنفسه زيادة في الاحتياط وأمانا من الخطأ والنسيان.

عدد المصاحف

اختلفت الروايات في عدد المصاحف التي نسختها اللجنة وأرسل بها عثمان إلى الأقاليم الإسلامية وأرجحها أنها ستة مصاحف، فأرسل عثمان مع المصحف الخاص بكل إقليم مقرئا وحافظا فكان زيد بن ثابت مقرئ المصحف المدني وعبد الله بن السائب مقرئ المكي والمغيرة بن شهاب مقرئ الشامي وأبو عبد الرحمن السلمي مقرئ الكوفي وعامر بن عبد القيس مقرئ البصري فهؤلاء خمسة مقرئين لخمسة مصاحف لخمسة أقاليم وبقي المصحف الإمام احتفظ به عثمان رضي الله عنه لنفسه.

حرق المصاحف الأخرى

بعد أن أثبتت اللجنة نسخ المصاحف وأرسل بها عثمان رضي الله عنه إلى الأقاليم الإسلامية طرح فكرة التخلص من المصاحف الفردية وذلك لجمع الأمَّة على مصحف رسمي واحد يعتمد عليه المسلمون جميعا. فأيد الصحابة جميعهم فكرته.

فقد روى أبو بكر الأنباري عن سويد بن غفلة قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: لا تقولوا في عثمان إلا خيرا ما فعل الذي فعل في

المصاحف إلا على ملأ منا. وقال: لو وليت ما ولي عثمان لعملت بالمصاحف ماعمل

وقد أحرقت بقية المصاحف للأسباب الآتية:

1-كانت بقية المصاحف مصاحف فردية كتبها أصحابها لأنفسهم وليس للأمة.

2-لم تتميز تلك المصاحف بما امتازت بها المصاحف التي استنسختها اللجنة في الجمع الثالث من الضبط والدقة.

3-كل صحابي قد يكون اعتمد على قراءة سمعها من رسول الله ﷺ. فأثبتها في مصحفه وهي تختلف عن القراءة الثانية التي أثبتها الثاني في مصحفه وهي أيضا القراءة التي سمعها من رسول الله ﷺ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يقرئ الصحابة القرآن كاملا بلهجته ولهجة قومه، وقد كان ذلك في عهد النبي ﷺ رخصة وتيسيرا لهؤلاء لأنهم ما كانوا يستطيعون قراءة القرآن بلهجة قريش التي نزل بها، لكن بعد أن تعود العرب المسلمون من غير قريش على لغة قريش وتعلموها وسهل لهم قراءة القرآن باللهجة التي نزل بها عاد لا مسوغ لأن يقرأ المسلم القرآن بغير هذه اللهجة فأصبح من الواجب إلغاء هذه الرخصة بعد زوال أسبابها والدافع إليها هذا ما قال به السلف كالقاضي الباقلاني والطحاوي.

4-كانت في بقية المصاحف زيادات للإيضاح والتفسير، فنفر من الصحابة كان قد أدخل شيئا من كلامه للتفسير، بين الآيات القرآنية في مصحفه الذي كتبه خاصا به، مثال ذلك قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ){البقرة:

198} فقد أثبت ابن مسعود في مصحفه: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج، ومن ذلك أيضا قراءة ابن عباس: يأخذ كل سفينة صالحة غصبا. بزيادة صالحة، وأصل الآية في القرآن: (وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) [الكهف: 79] ومما لاشك فيه، كما يقول الدكتور صبحي الصالح أن تلك الزيادات كانت للتفسير والإيضاح لأنها مخالفة لسواد المصاحف التي أجمعت عليها الأمة، وقد أوضح ابن الجزري هذه الحقيقة فذكر أن هؤلاء القراء أضافوا مثل هذه الزيادات للإيضاح و لم يحترزوا من اختلاطها بكلام الله لأنها كتبت في مصاحفهم الخاصة بهم ولأنهم جميعهم محققون ومن حفظة القرآن فكانوا آمنين من الالتباس. فهذه الزيادات أدرجت على سبيل التفسير ولا سبيل لعدها من الأحرف السبعة وذكر ابن حازم ما ملخصه: لم يكن في الأمر من داع إلى حرق تلك المصاحف لأن الاختلاف بينها كان طفيفا لا يخلو منه نسخ في أي كتاب كان ولكن عثمان رضي الله عنه إنما كتب النسخ وبعث بها إلى الآفاق حرصا على الحفظ الدقيق واحتراسا لذلك لتكون مرجعا للواهم والمتردد في حرف أو حركة أو كلمة من ذلك الطفيف.

ثم أخذ المسلمون ينسخون من المصاحف العثمانية بالرسم نفسه لأن القراء كانوا يروون كيفية رسم الكلمات إلى جانب روايتهم للقراءة، وهكذا قامت المصاحف المنسوخة مقام الأمهات الأصول لأنها نسخ منقولة عن النسخة الأصلية بلفظها ومعناها ورسمها، ويجب أن يعلم أنه ليس كل حرف في خط المصحف يجب قراءته، فهناك أحرف كتبت في الأصل للرسم تجميلا للخط ولا تقرأ كرسم الواو مثلا في (الصلوة) و (الزكوة) فإنها تكتب ولا تلفظ، وأصبح معروفا لدى كل قارئ من قراء الصحابة والتابعين

وإلى يومنا هذا ما الحروف التي تكتب في خط المصحف العثماني ولا تلفظ والتي تكتب وتلفظ.

الكلمات التي اختلف رسمها في المصاحف العثمانية

ثمة عدد من الكلمات اختلف هجاؤها في المصاحف العثمانية بنقصان حرف أو زيادة حرف وقد جاءت الرواية بتحديد هذه الكلمات المختلفة عن الأئمة المتقدمين الذين حصروا تلك الحروف في وقت مبكر، والفت في هذا الموضوع عدة كتب منها كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق لابن عامر اليحصبي إمام أهل الشام (ت 118 هـ). ويجب التمييز بين نوعين من اختلاف الكلمات في المصاحف العثمانية، فهناك بعض الكلمات رسمت بخطين مختلفين لكن دون أن يترتب عليه اختلاف في اللفظ مثل (بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ) [البقرة: 93] في بعض المصاحف مقطوع. وفي بعضها (بئسما) موصول. وهناك قسم آخر من الاختلاف في هجاء الكلمات يشمل زيادة حرف أو نقصه مما يترتب عليه تغيير في طريقة اللفظ، وقد أثبتت المصادر الأولى أن هذا الاختلاف يرجع إلى المصاحف الأئمة التي أرسلت من المدينة إلى الأمصار في زمن عثمان ﷺ أو أنها وجدت في المصاحف القديمة التي نسخت من تلك المصاحف المرسلة وبلغت تسعة وثلاثين موضعا. قال ابن حجر العسقلاني: والحق أن الذي جمع في المصحف العثماني هو المتفق على إنزاله المقطوع به المكتوب بأمر النبي ﷺ، واشتمال المصحف العثماني على عدد قليل من الأحرف السبعة محمول على أنه نزل بالأمرين معا، وأمر النبي بكتابته لشخصين أو أعلم بذلك شخصا واحدا وأمره بإثباتها على الوجهين، فكانت هذه الأوجه التي أمر النبي بكتابتها مما خالفت خط المصحف علم

على أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير ممكن إلا بإعادة الكلمة مرتين ففرقتها اللجنة في المصاحف لذلك جاءت بوجه في مصحف وبوجه آخر في مصحف آخر من المصاحف العثمانية، لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل وعلى ما سمعت من رسول الله ﷺ التي أمر النبي بكتابتها بين يديه، فهذا سبب اختلافها في الأمصار.

وأخيرا فإن القرآن لم ينقل في الصحف والكتب فحسب وإنما ظاهر نقل الكتب والصحف حفظ القرآن والتلقي بالمشافهة والعرض بالسماع، وقد وجد القراء أحيانا أن الكتابة لا تضبط اللفظ فكانوا ينصون أن ذلك الحرف لا يضبط إلا بالمشافهة كقراءة حمزة (الصراط) في فاتحة الكتاب بين الصاد والزاي، وليس في الكتابة العربية رمز يمثلها، لذلك نجد ابن مجاهد يقول ولا يضبطها الكتاب، ويقول في قراءة أخرى ولا تضبط إلا باللفظ، وقد بلغ حرص القراء على إتقان الرواية إنه إذا تقدمت السن بالقارئ توقف عن الإقراء خشية التحريف. أي تحريف الصوت، لا اللفظ العام أو الكتابة، فكان سليمان بن مهران يقرئ الناس ثم ترك ذاك في آخر عمره. فالقرآن الكريم نقل إلينا كتابة وحفظا في الصدور بلفظه ومعناه وصوته؛ ذلك أن هذه القراءات نقلت مشافهة عن رسول الله ﷺ وليس اجتهادا أو استنباطا من رسم الخط لأن الرسم سنة متبعة قد توافقه التلاوة وقد لا توافقه فمن رسم الكلمات في المصحف وجائ [الزمر: 69] وتقرأ: وجئ و (لا اذبحنه)[النمل: 21] بكتابة ألف بعد (لا) وتقرأ: لأذبحنه ومثل ذلك (ولا اوضعوا) [التوبة: 47] وتقرأ ولأوضعوا ومثل هذا كثير وقراءة بخلاف ما رسم.

وقد أجمع القراء المسلمون واتفقوا جميعا على أنه لا رأي في القراءة بعد النبي ﷺ إلا بما ثبت عنه ولا قبول إلا بما قرأ به أو أقره أو علمه.

وقد كتب المصحف في عهد عثمان ﷺ خاليا من النقط والشكل، لأن المسلمين الأُوَل كانوا يضبطونه قراءة من دون حاجة إلى ذلك إلا أنه بعد انتشار الأعاجم والخشية من عدم ضبط قراءة القرآن من قبل الأتباع رأى الغيورون على هذا الدين ضرورة وضع علامات على الرسم القرآني من النقط والشكل كعلامات الضمة والفتحة والكسرة والشدة وهمزة القطع والوصل ونحو ذلك، ووضع النقاط للتفريق مثلا بين الجيم والحاء، والتاء والباء دون أن يغيروا في صورة الكلمة التي رسمت في مصحف عثمان ﷺ، وقد كان أبو الأسود الدؤلي تلميذ علي بن أبي طالب أول من دعا إلى وضع مثل هذه العلامات ثم تم ذلك على يد نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر (ت 90 هـ) وهو من النحاة والقراء المشهورين في عهد عبد الملك بن مروان، ذلك ليصل إلينا كتاب الله بالصورة التي هي بين أيدينا اليوم ليتحقق وعد الله سبحانه: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) {القيامة: ١٧}

إن الطريقة التي جمع بها القرآن والحالة التي انتهى إليها هي التي أرادها الله أن تكون، فقد أراد جل شأنه أن يحفظ كتابه ويجمع ويتلى بقراءاته المنزلة ولعل من حكم ذلك.

تيسير قراءة القرآن على الأمة أو إرادة معاني هذه القراءات جميعها، لمعنى من المعاني البلاغية أو إرادة أحكامها مجتمعة.

فهذا هو كتاب الله الذي أوحاه الله إلى محمد ﷺ. عن طريق جبريل عليه السلام، في حديث رواه البخاري وغيره عن فاطمة عليها السلام. قالت أسر إليَّ النبي ﷺ أن جبريل يعارضني بالقرآن مرة كل سنة وأنه

عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه إليه الله تعالى وذلك حتى يكون أثبت وأرسخ، فقد كان جبريل يطلب من رسول الله ﷺ أن يعيد عليه ما أوحي إليه من قرآن مرة كل سنة وكان ذلك في رمضان. إلا في العام الذي توفي فيه فقد قرأه على جبريل مرتين. وكان رسول الله ﷺ إذا أقرأ قارئا شيئا من القرآن طلب منه أن يعيد هذه القراءة بين يديه ليتبين له إتقان حفظه.

لقد كان رسول الله ﷺ حريصا أشد الحرص على حفظ ما يترل عليه من القرآن حتى إنه كان يحرك لسانه وشفتيه في أثناء نزول الوحي عليه ليسرع في الحفظ لئلا ينسى شيئا مما يتلو عليه جبريل عليه السلام من القرآن قال تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ {17} فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ {18} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ القيامة) {القيامة: 16-19] فالله سبحانه، يخاطب نبيه عليه الصلاة والسلام: يامحمد لا تجهد نفسك فإنا قد تعهدنا بحفظ هذا القرآن وجمعه ونشره بين الناس كاملا غير منقوص ولا محرف.

جاء في كتب التفسير: سئل القاضي إسماعيل بن إسحاق بن حماد الأزدي، الإمام المفسر المتوفى سنة 382هـ، الذي قالوا عنه: إنه لم تحصل درجة الاجتهاد واجتماع آلته بعد مالك. إلاّ لإسماعيل القاضي، سئل عن السر في تطرق التغيير للكتب السالفة، وسلامة القران من طرق التغيير له، فأجاب: إن الله أوكل للأحبار حفظ كتبهم قال تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ

النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّـــهُ فَأُوْلَـــئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة:44] وتولى الله حفظ القــران بذاتــه. فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر:9]، أي: حافظون له من الشياطين، وفي كل وقت تكفل الله بحفظه. فلا يعتريـــه زيـــادة ولا نقصان. ولا تحريف ولا تبديل بخلاف غيره من الكتب المتقدمة، فإنه تعالى لم يتكفل بحفظها، بل قال: إن الربانيين والأحبار استحفظوها، ولذلك وقع فيها الاختلاف.

وحفظ الله للقرآن دليل على أنه منزل من عند الله تعالى، إذ لو كان من قول البشر لتطرق اليه ما تطرق لكلام البشر، وقيل يحفظه في قلوب من أراد بهم خيرًا، لو غير أحد نقطة لقال له الصبيان: كذبت ، وصوابه كذا، و لم يتفق هذا لشيء من كتب سواه.

وذكر القرطبي في تفسيره أن يحيى بن أكثم المتوفى سنة 242هــــ وكان قاضيا رفيع القدر عالي الشهرة من نبلاء الفقهاء، حكى أنـــه كـــان للمأمون، وهو أمير إذ ذاك، مجلس نظر، مجلس يجتمع فيه الناس والعلمـــاء، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الهيئة، طيب الرائحـــة، فـــتكلم فأحسن الكلام، دعاه المأمون، فقال له: إسرائيلي؟، قال: نعم، قـــال لـــه: أسلم، فقال ديني ودين أبائي، وانصرف، قال: فلما كان بعد ســـنة جـــاء مسلماً، فتكلم في قضايا الفقه فأحسن الكلام، فدعاه المأمون وقـــال لـــه: ألست صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى، فقال: ما كان سبب اسلامك؟ فقال: حين انصرفت في العام الماضي من مجلسك أحببتُ أن أمتحن هذه الأديان، وأنت تراني حسن الخط، فال: فعَمَدتُ إلى التوراة فكتبت منها ثلاث نسخ ، فزدتُ فيها ونقصتُ، فأدخلتها الكنيسة فعرضتها عليهم لبيعها، فأُعجبوا

بها، ورحبوا بي، فاشتروها مني ، وعمدت الى الإنجيل، فكتبت ثلاث نسخ منه، فزدتُ فيها ونقصتُ وأدخلتها البيعة فعرضتها عليهم لبيعها، فرحبـــوا بي، بعد أن أعجبوا بها واشتروها مني، وعمدت إلى القران فكتبت منه ثلاث نسخ، فزدتُ فيها ونقصتُ وأدخلتها الوراقين، وهم الذين كانوا يورقـــون القران الكريم ويكتبونه، فعرضتها عليهم، وهي حسنة الخط، فتصـــفحوها فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموها، و لم يشتروها مني، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي.

قال يحيى بن أكثم راوي هذه القصة، فحججتُ تلك السنة فلقيـــت 0سفيان بن عُيينة المتوفى سنة 198هـــ، وهو من الموالي، ســـكن مكـــة وتوفي فيها، كان حافظا ثقة واسع العلم كبير القدر، قال الشافعي: لـــولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، له الجـــامع في الحـــديث وكتـــاب في التفسير، قال يحيى فذكرت لسفيان هذا خبر إسلام هذا اليهودي، فقال: تجد مصداق ذلك في كتاب الله عز وجل، فقلت: في أي موضع، قال: في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل: (بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـــابِ اللّـــهِ) [المائدة:44] فجعل حفظه منوطًا بهم فضاع، أما القران، فقـــد قـــال فيـــه سبحانه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: 9] فتكفل الله عز وجل، بنفسه حفظه، فلم يضع.

وقد كانت إحدى الحقائق التي أكدها الطبيب الفرنســـي مـــوريس بوكـــــــــــــــاي في كتابـــــــــــــــــــــه (الكتاب المقدس والقرآن والعلم دراسة الكتب السماوية في ضوء المعارف العصرية): أن القرآن حفظ من أي تحريف كان. ومما ذكره في هذا الباب: " إن القرآن بقي كما نزل على محمد ﷺ لم تمسه يـــد تغـــيير، حفـــظ في

الصدور وقت نزوله ودونته كتبة الوحي وضمه المصحف الشريف " وأثبت أن التوراة والأناجيل أصابها كثير من التحريف عبر قرون طويلة. كما أثبت تناقضها الفظيع(1) ويقول الدكتور صبحي الصالح: والذي يعلمه علم اليقين كل باحث مثقف أن كتابا غير القرآن لم يحظ بالعناية التي أحيط بها و لم يصل إلينا كما وصل فجاء كما قال شفالي: " أكمل وأدق مما يتوقعه أي إنسان(2) وقد استنسخ المسلمون من المصحف العثماني آلاف النسخ جيلا بعد جيل، وقد بقي المصحف العثماني نفسه على الرغم من انتفاء الحاجة إليه حتى سنة 1310 هـ حيث كان محفوظا في مقصورة في مسجد بدمشق وله بيت من خشب(3).

اللهم يسر لنا حفظ القرآن والعمل بمقتضاه وشفعه فينا يوم الدين اللهم آمين.

---

(1) مجلة آفاق عربية، السنة الثانية، العدد (1) لسنة 1977م.

(2) مباحث في علوم القرآن نقلا من مصدر أجنبي، ﷺ 89.

(3) المصدر نفسه، ص89، هامش م3.

نزول القرآن على سبعة أحرف

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آلــه وصحبه ومن والاه، وبعد

فقد كان العرب يتكلمون بلهجات مختلفة، أحصي منها أكثر مــن عشرين لهجة، تعرض لها اللغويون وجعلوا لها اسماء وألقابا منها: الاستنطاء وهو جعل العين الساكنة نونا. فيقولون: أنطى بدلا من أعطى وقرئ قولــه تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر﴾{ لكوثر:1} انــا انطينــاك الكــوثر، وورد الحديث الشريف: اللهم لا مانع لما أنطيت و لا منطي لما منعت. بدلا من: لامانع لمــا أعطيت ولا معطي لما منعت. وورد كذلك في الحديث النبوي الشريف: اليد المنطية خيــر من اليد السفلى. بدلا من: اليد المعطية خير من اليد السفلى وورود مثل هذه الأحاديث يكون على أحد أمرين: إمــا أن يكون الرسول ﷺ قد تكلم بهذه اللهجة مراعيا لهجة من كان يخاطبه؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يكلم الأقوام كلا على لغته، وإما أن يكون الذي نقل هــذا الحديث من أصحاب لهجة الاستنطاء وروى الحديث بلهجته، لا كما سمعها من رسول الله ﷺ الذي كان يــتكلم بلهجــة قريش.ومنــها الطمطمانية، وهي إبدال لام التعريف ميمــا فيقولــون مثلا: طاب امهواه، وصفا امجو، يعنون بذلك: طاب الهواء وصفا الجو، ويروى أنه جــاء رجل إلى رسول الله ﷺ، وهو بين صحابته فقال له يارسول الله: هل مــن امــبر امصيام في امسفر؟ فرد عليه ﷺ فقال: ليس من امبر امصيام في امسفر، فقال له صحابته رضــي الله عنهم يارسول الله ماذا قال لك وماذا قلــت لــه، فقال: قال: هل من البر الصيام في الســفر فأجبته ليس من البر الصــيام في السفر. ومنها الفحفحة (لهجة هذيل) وهي قلب الحاء عينــا في (حتى)

وكانت هذه اللهجة في مصحف عبد الله بن مسعود ﷺ أحد القراء الأربعة المشهورين، لأن عبد الله بن مسعود كان من قبيلة هذيل. ومنها الكشكشة وهي إبدال الكاف المؤنثة في الوقف شينا أو الحاقها شينا، وقد قرئ القرآن الكريم على هذه اللهجة كقراءة من قرأ (وقد جعل ربش تحتش سريا) وقراءة من قرأ (إن الله اصفاش وطهرش واصطفاش على نساء العالمين) بدلا من القراءة المشهورة (وقد جعل ربك تحتك سريا) و (ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين).

وأخرج الطبراني في الأصغر والبيهقي في دلائل النبوة عن جابر: جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول: إن أبيه يريد أن يأخذ ماليه، فقال عليه الصلاة والسلام: أدعه ليه. وهذه لهجة بعض القبائل وهي إلحاق آخر الكلمة هاء السكت كما في قوله تعالى: (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ {28} هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ) {الحاقة: ٢٨- ٢٩}.

فقد كان العرب قبائل مختلفة ولهجاتهم متعددة، وكل منها ما كانت تستطيع أن تقرأ القرآن إلا بلهجتها وقد يحصل مثل هذا بين أفراد القبيلة الواحدة واللهجة الواحدة ذلك لتباين مستويات الأداء الناشئة عن اختلاف الألسن وتفاوت التعليم، فقد ذكر ابن جني في كتابه الخصائص عن السجستاني في كتابه الكبير في القراءات قال: قرأ علي أعرابي القرآن بلهجته: طيبى لهم وحسن مآب ــ فقلت طوبى، لأن القرآن الكريم نزل بهذه اللهجة، وهي لهجة قريش. فقال الأعرابي: طيبى، فقرأها بلهجته و لم يستطع قراءتها بلهجة قريش، فلما طال علي قلتُ: طو، طو قال: طي،

طي، افلا ترى أن هذا الأعرابـي كيف نبا طبعه عـن نقل الياء إلى الواو، فلم يؤثر فيه التلقين ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة هز ولا تمرين.

وقد ورد في الصحيحين: البخاري ومسلم قول الرسول ﷺ إن هـذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه. وقد وردت أحاديـث كثيرة في هذا الباب. وروايـات الحديث على كثرتهـا لا تحـدد معـنى الأحرف السبعة إذ لم تتعين بنص من النبي ﷺ.

وينحصر موضوع الأحرف السبعة في نطاق الاخـتلاف في اللفـظ ومنحى النطق دون اختلاف المعنى، وقد دارت آراء جمهور العلماء في هذا الإطار، لكنهم لم يتفقوا على تفسير معين إلا أنه يمكن إجمال مذاهبهم على قولين:

القول الأول: هو أن عدد السبعة لم يقصد به الحصر أي: حقيقـة العدد بل المراد التسهيل والتيسير والسعة.

القول الثاني: ذهب أكثر علماء السلف إلى أن المقصود بالسـبعة في الحديث الحصر وأرادوا حقيقة العدد لكن اختلفوا في تعيينها وأشـهر الآراء في هذا القول رأيان:

الرأي الأول: أولهما أنها سبع لغات من لغات العرب، وليس معـنى ذلك أن في الحرف الواحد سبعة أوجه فهذا ما لم يسمع به قط وإنما المـراد بذلك أنه نزل على سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغـات العـرب فيكون بعضه نزل بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة أهل اليمن وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحدة.

والرأي الثاني: أنها سبعة أنواع من القراءات

فقد جعلوا مثلا من اختلاف حركة الإعراب بابا أو نوعا من الأحرف السبعة فقد قرأ ابن مسعود: ما هذا بشرُ، برفع (بشر) بدلا من نصبها في القراءة المشهورة : (مَا هَـذَا بَشَرًا) {يوسف:: 31].

وجعلوا من إبدال حرف بحرف كقراءة (الصراط) بالسين والصاد نوعا ثانيا.

وجعلوا من اختلاف النطق بالتفخيم أو الترقيق، والإمالة أو الفتح، والإظهار أو الإدغام ونحو ذلك نوعا ثالثا، وهكذا إلى أن أوصلوا هذه الأوجه إلى سبعة أنواع.

والصحيح قول السلف فكثير من لغات العرب التي عدت لغات هي في الحقيقة لغات فرعية تعود إلى لغة واحدة، فهي مهما كثرت وتعددت يمكن إرجاعها إلى سبع لغات أصلية فيكون المقصود بالأحرف السبعة هذه اللغات السبع، ويمكن أن يكون المقصود بها سبعة وجوه عامة من القراءات.

وقد ورد أن النبي ﷺ لم يلتزم عند تعليمه القرآن للمسلمين لفظا واحدا، روى أبو عبيد القاسم بن سلام قال: حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبي كعب قال: ما حك في صدري شيء منذ أسلمت إلا أنني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي فقلت (له) أقرأنيها رسول الله ﷺ فقال (لي) أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أقرأتني آية كذا وكذا؟ قال: نعم، وقال الآخر: أليس تقرئني (يا رسول الله) آية كذا وكذا؟ قال: نعم، (فأقر رسول الله ﷺ بالقراءتين على الرغم من اختلافهما) فقال: إن جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل: إقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: أستزده، حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف كاف شاف.

وروى الضحاك عن ابن عباس: أن الله تعالى أنزل هذا القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب، وفي حديث ابن عباس في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف، وفي حديث أُبي عند مسلم أن ربي ارسل إلي أن أقرئ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فأرسل إلي أن أقرئ القرآن على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي فأرسل إلي أن أقرئ القرآن على سبعة أحرف، وفي حديث آخر أن جبريل عليه السلام قال له: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا فقد أصابوا، وروي عن علي وابن عباس ﵄ من أن النبي ﷺ كان يقرئ الناس بلغة واحدة فاشتد ذلك عليهم فترل جبريل عليه السلام فقال يا محمد أقرئ كل قوم بلغتهم.

وقد جاء في الصحيحين عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب ﵁ قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة (أي: كدت أثب عليه) فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت فو الله إن رسول الله ﷺ قد اقرأنيها على غير ما قرأت، فأنطلقتُ به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها، فقال رسول الله ﷺ: أرسِلْه ياعمر ثم قال: إقرأ ياهشام فقرأ عليه السورة التي سمعته يقرؤها فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلتْ، ثم قال: إقرأ ياعمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال

رسول الله ﷺ، هكذا أنزلت، إن هـذا القـرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرؤوا ما تيسر منه، والذي يفهم من قوله ﷺ (ما تيسر منه) أنها رخصة للقبائل التي كانت لاتستطيع أن تكره ألسنتها على لهجة قـريش أو علـى اللهجة الأصلية.

وذكر ابن قتيبة أنه كان من تيسير الله لأمة القرآن في أول نزوله أنـه سبحانه أمر رسوله ﷺ بوساطة جبريل بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم، فالهذلي (مثلا) يقرأ (عتى حين) لأنه هكـذا يلفـظ بها ويستعملها، والأسدي يقرأ (تِعلمون) و (تِعلم) و(وتِسود وجوه) يقرؤها جميعها بكسر التاء لا بفتحها، والتميمي يهمز ويقرأ (فؤاد أم موسـى)، والقرشي لايهمز فيقرأ (فواد أم موسى).

ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمِر ان يزول عن لغته وما جرى عليـه اعتياده طفلا وشابا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه و لم يمكنـه القراءة بلهجة قريش إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسـان وقطـع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل له متسعا في اللغات ومتصـرفا في الحركات لتيسيره عليهم في الدين.

يتبين مما مر ذكره مسألتان:

أولاهما: أن القرآن الكريم نزل بلهجة قريش لفصاحتها، فقد كانت تمثل اللغة الأدبية المشتركة بين القبائل العربية، هذا في الأعم الأغلـب، أي: أن القرآن الكريم أنزل بغير هذه اللغة أيضا من ذلك مثلا أن لهجة تميم تنبر الهمزة فتحققها ويشاركها في ذلك أكثر البدو فيقولـون: رأس، وبـئس، وفؤاد، وخاسئة، في حين يسهل الحجازيون (القرشيون) الهمزة ولاينبرونهـا

إلا إذا أرادوا محاكاة التميميين فيقولون: راس، وبيس، وفواد، وخاسية، وقد نزل القرآن الكريم بهاتين اللغتين.

والثانية: أنه حين يذكر أن القرآن نزل بلهجة قريش لا يعني هذا أنه نزل بقراءة واحدة، إذ لم تكن لهجة قريش قراءة واحدة، بل كانت تتضمن عدة قراءات، في ضوء ذلك يمكن القول، والله أعلم، إن القراءات في عهد رسول الله ﷺ والمشمولة بالأحرف السبعة كانت على قسمين:

قراءات مؤقتة، لم يكن الرسول ﷺ يقرأ بها في صلاته؛ لأنها في الحقيقة لم تكن قراءات مترلة؛ وإنما أقر بها رسول الله ﷺ مراعاة لِلَهجاتِ القبائل، وهذه هي القراءات التي ألغاها عثمان رضي الله عنه لأنها كانت في عهد رسول الله ﷺ رخصة وتيسيرا لكل من لم يستطع أن يقرأ القرآن إلا بلهجته الخاصة، وقد أبطلت هذه الرخصة في عهد عثمان رضي الله عنه، ذلك أن الناس تعودت ألسنتهم على قراءة القرآن بالقراءة التي كان يقرأ بها رسول الله ﷺ في صلاته.

وقراءات دائمة ثابتة تابعة للغة قريش وأخرى تابعة للغات قبائل أخرى نزل بها القرآن الكريم لا مراعاة للهجات تلك القبائل ولكن لكون هذه القراءات بلغت مستوى لغة قريش من حيث بلاغتها وفصاحتها، وهذه هي التي أبقاها عثمان رضي الله عنه ووحد الأمة الإسلامية على اختلاف لهجاتهم للقراءة بها، لأنها قراءات أريد بها ان تتلى ويقرأ بها إلى قيام الساعة، وهي المدونة في المصاحف التي بين أيدينا اليوم تحت اسم القراءات السبع والقراءات العشر التي هي نفس المصاحف التي جمع فيها زيد بن ثابت القرآن وأرسلت في خلافة عثمان رضي الله عنه من المدينة إلى الأمصار، وعرفت باسم المصاحف العثمانية نسبة إلى الخليفة الثالث الذي أمر بنسخها وإرسالها، وهذه المصاحف هي نفسها المنقولة عن الصحف التي جمع فيها زيد بن ثابت

أيضا القرآن في خلافة أبي بكر الصديق، وهي نفسها المنقولة عن القطع التي كتبت عليها القرآن في عهد رسول الله ﷺ بأمره وتحت سمعه وإشرافه.

ومما يجب التنبيه عليه ان هذه القراءات لم تكن في كل آية من آيات القرآن الكريم بل تشمل عددا معينا في كل سورة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن عبارة (سبعة أحرف) لا تعني أن كلا من هذه الآيات المشمولة تقرأ سبع قراءات أو عشر، من ذلك مثلا (مالك يوم الدين) و (وملك يوم الدين) [الفاتحة: 1]، فهذه الآية من سورة الفاتحة تقرأ بهاتين القراءتين فقط، و (يعرشون) [الأعراف: 137]، تقرأ بقراءتين فقط بكسر الراء، وبضم الراء،، و (جمع) [الهمزة: 2] تقرأ بقراءتين فقط (جمع) بفتح الميم وتخفيفها، و (جمع) بفتح الميم وتشديدها، و(عليهم القتال) [البقرة: 77] تقرأ (عليهم القتال) بكسر الهاء والميم و (عليهم القتال) بضم الهاء والميم و (عليهم القتال) بكسر الهاء وضم الميم، فتقرأ هذه الآية بهذه القراءات الثلاث فقط.

وأكثر القراءات عددا أربع، وهي في ألفاظ قليلة كقوله تعالى: وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) {يوسف: ٢٣} فقد قُرِئَتْ أربع قراءات نذكرها فيما بعد.

ونلحظ أن جميع هذه القراءات خطها واحد ومعناها واحد.

والحكمة من وجود هذه القراءات يمكن إجمالها فيما يأتي:

الحكمة الأولى: التيسير على الأمة الإسلامية على اختلاف عصورها وأقاليمها ولغاتها، سواء كانت من قريش أم من غير قريش، وسواء عربية كانت أم أعجمية.

والحكمة الثانية: هي الجمع بين حكمين مختلفين كقوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) {البقرة: 222 } قرئ بالتخفيف والتشديد في حرف الطاء من كلمة (يطهرن) وصيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة ومجموع القراءتين يحكم بأمرين أولهما: أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر وذلك بانقطاع الحيض، والثاني: أنه لا يقربها زوجها أيضا إلا إذا بالغت في الطهر وذلك بالاغتسال وهو ما ذهب إليه الإمام الشافعي ومن وافقه، ويبدو أن جواز القراءتين يدل على جواز الأمر الأول، إلا أن الأمر الثاني أفضل وأكثر استحبابا.

والحكمة الثالثة: هي الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالتين مختلفتين كقوله تعالى في بيان الوضوء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ) {المائدة: 6 } قرئ بنصب (أرجلكم) وبجرها فالنصب يفيد طلب غسلها لأن العطف حينئذ يكون على لفظ (وجوهكم) المنصوب الذي حكمه الغسل، والجر يفيد طلب مسحها، لأن العطف حينئذ يكون على لفظ (رؤوسكم) المجرور الذي حكمه المسح والمعروف أن النصب هو الأصح والأشهر، لأن المراد به الحالة العامة التي هي وجوب الغسل لقوله ﷺ ويل للأعقاب من النار إن لم تغسل والأعقاب مؤخر القدم، وهذا حديث نبوي قاله رسول الله ﷺ حينما نظر إلى رجل يتوضأ

ولم يغسل قدميه وهو حديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما؛ أما الجر فقد كان في حالات خاصة وشروط معينة.

والحكمة الرابعة: الجمع بين معنيي القراءتين من ذلك قوله تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) {البقرة: ٢٥٩}، والنشز (بالزاي): يعني رفع العظام بعضها فوق بعض، والمراد جمعها وإرجاعها إلى ما كانت عليه وبكون ذلك تمهيدا لبعث الروح فيها، وقرئت: ننشرها (بالراء)، والنشر، معناه: البعث والإحياء، فعند جمع هاتين القراءتين يكون تفسير الآية: وانظر إلى حمارك الذي مات قبل مئة سنة وتفسخت عظامه وتناثرت هنا وهناك، كيف نجمعها ونعيدها إلى مواضعها، وانظر كيف نحييها.

والحكمة الخامسة: يمكن توضيحها في قوله تعالى : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) {يوسف: 23 }

قُرِئَتْ (هيت لك) أربع قراءات صحيحة ومتواترة هي:

1. هِيتَ لك: بكسر الهاء وتسكين الياء، وفتح التاء.
2. هِئْتَ لك: بكسر الهاء، وتسكين الهمزة، وفتح التاء.
3. هَيتُ لك: بفتح الهاء، وتسكين الياء، وضم التاء.
4. هَيتَ لك: بفتح الهاء، وتسكين الياء، وفتح التاء.

مما لاشك فيه أن امرأة العزيز اتبعت عدة طرائق لتراود بها يوسف عن نفسه، ذلك بنبرات خطابها له وتعدد نغماته المغرية والمثيرة لكوامن الشهوة، فيظهر أيضا أن تعدد قراءات (هيت لك) كان ليشير إلى تعدد طرائق الإغواء التي اتبعتها امرأة العزيز لاستمالة يوسف عليه السلام إليها بحديثها وخطابها وعرض مفاتن جسمها في مواقف مختلفة، وإذا كان قارئ القرآن يعيد هذه الآية أربع مرات ليستوفي القراءات جميعها فكأنه بهذه الطريقة أعاد أربعة أنواع من أنواع الإغواء، فكل طريقة تشير إلى نوع يختلف عن النوع الذي تشير إليه القراءة الأخرى.

وفي قوله تعالى (ولا تقل لهما أف) [الإسراء: 23] قُرِئَتْ (أف) ثلاث قراءات. (اف) بكسر الفاء و (اف) بفتح الفاء و (أف) بتنوين الفاء، تنوين كسر، وكذلك يظهر أن تعدد قراءة (اف) في هذه الآية جاء ليحث الأبناء إلى عدم خطاب الوالدين بأي نوع كان من أنواع الضجر.

فكل قراءة في هذا القرآن محسوب معناها وغرضها فما أعظمه من كتاب! اللهم يسر لنا قراءة القرآن وحفظه والعمل به اللهم آمين.

تدوين الحديث النبوي

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلا في الجنة. آمين يا أرحم الراحمين.

الإسلام دين الله وما محمد ﷺ إلا رسول نقل إلينا هذا الدين من البارئ عز وجل عن طريق جبريل عليه السلام، فقد علَّم مثلا جبريل عليه السلام الرسول ﷺ، كيف يصلي وكيف يتوضأ، وطبق له ذلك عمليا، فقد توضأ بين يديه، وصلى أمامه، فأتم رسول الله ﷺ، خلفه وصلى معه الصلوات الخمس.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ، يحدث حديثا لو عدّه العادّ لأحصاه، لا يسرد الحديث كسردكم. أخرجه الخمسة إلا النسائي. والمعنى أنه ﷺ، كان لا يسرع في الكلام، بل يخرج الألفاظ بتؤدة؛ وكان ذلك من أجل أن يفهم كلامه السامع أو يحفظه إن شاء. وعن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ، يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه. أخرجه الترمذي.

وقد نهى رسول الله ﷺ، في بداية نزول القرآن عن كتابة الحديث لئلا يختلط بكلام الله، إلا أن هناك افرادا من الصحابة وجدوا من البواعث النفسية ما حملهم على كتابة اكثر ما سمعوه عن رسول الله ﷺ، أو ربما كل ما سمعوا عنه عليه الصلاة والسلام، بل الرسول ﷺ قد استثنى بعض الصحابة من النهي فقد كان هؤلاء يكتبون وغيرهم من الأميين كانوا يحفظون في صدورهم ما تيسر لهم من حديث النبي ﷺ. وبعد أن أمن

الرسول ﷺ التباس الحديث بالقرآن سمح بكتابته بصفة عامة فانبرى عدد من الصحابة بتدوين الحديث. فقد كان عبد الله بن عمرو وعمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك ممن يكتبون الحديث خوفا من نسيانه على الرغم من حفظهم له وقوة حفظهم. وجاءت عناية التابعين بالحديث لاعتقادهم بأنه وحي لايختلف عن القرآن إلا أن القرآن موحى بلفظه ومعناه والحديث، موحى بمعناه فقط.

ومن الصحف التي كتبت في عهد الرسول ﷺ، صحيفة سعد بن عبادة الأنصاري، وصحيفة بن جندب (ت60هـ) وكان لجابر بن عبد الله (ت78هـ) صحيفة أيضا، والصحيفة الصادقة التي كتبها جامعها عبد الله بن عمرو بن العاص (ت65هـ) فقد جاء عبد الله يستفتي رسول الله ﷺ في شأن الكتابة قائلا: أكتب كل ماأسمع؟ قال: نعم. قال: في الرضا والغضب؟ قال: نعم فإني لاأقول ذلك إلا حقا، وقد كانت لأبي هريرة، رضي الله عنه، صحف كثيرة، وهذه الصحف كانت مشهورة عند الصحابة وقد تناقلوها ورووا الأحاديث عنها، وظهرت أحاديثها في صحيح البخاري، ومسند الإمام أحمد وغيرهما، وإحدى صحف أبي هريرة رواها تلميذه همام بن منبه، وقد عثر على هذه الصحيفة الباحث المحقق الدكتور محمد حميد الله في مخطوطتين متماثلتين في دمشق وبرلين وزاده ثقة بما جاء فيها أنها برمتها ماثلة في مسند الإمام احمد وان كثيرا من أحاديثها مروي في صحيح البخاري في أبواب مختلفة وتعداد هذه الصحيفة 138 حديثا وقد حرص رواة الحديث على جمع أحاديث الرسول ﷺ فهذا المستشرق جولدزيهر Goldziher على الرغم من عدائه للإسلام اعترف بأن المسلمين الأوائل كانوا يطوفون البلدان بضع عشرة سنة من أجل أن يجمعوا أحاديث

رسول الله ﷺ التي تفرقت في صدور الصحابة والتابعين ممن تفرقوا في أمصار مختلفة[1].

والعرب كانوا يعتمدون في رواية الحديث على كتابتها وحفظها معا، فأشعار العرب مثلا رويت كلها عن طريق الحفظ، فكان الذين سموا الحفاظ يحفظون آلاف الأحاديث عن ظهر قلب منهم: يحيى بن معين توفي بالمدينة سنة232هـ وأبو زرعة الرازي الحافظ الثقة المشهور(ت264هـ) فقد كان يحيى يحفظ أربع مئة ألف حديث وقال الإمام أحمد عن أبي زرعة: أنه كان يحفظ سبع مئة ألف حديث، وكان ابو زرعة يقول عن نفسه:"ما في بيتي سواد على بياض إلا واحفظه" وقال الشعبي: ما كتبت سوادا في بياض إلى يومي هذا ولا حدثني رجل لحديث قط إلا حفظته. ومن الحفاظ من كان يستعين على حفظ الحديث بكتابته فإذا أتقن حفظه محاه، أو دعا بمقراط فقرضه خوفا من أن يتكل القلب عليه منهم سفيان الثوري، وعاصم بن ضمرة(ت174هـ) وخالد الحذاء(ت141هـ) وابن شهاب وابن سيرين، وكان من العلماء من يميل إلى تحديد العدد المحفوظ من الحديث الذي يستحق جامعه أن يسمى حافظا، فقال الحاكم في المدخل: وكان الواحد من الحفاظ يحفظ خمس مئة الف حديث، ورأى غيره أن الحد الأدنى ينبغي ألا يقل حفظه عن عشرين الف حديث وكان الحفاظ يتشددون في الرواية باللفظ، ولايتساهلون حتى بالواو والفاء، فكانوا يرون أن على المؤدي أن يروي ما يحمله باللفظ الذي تلقاه من شيخه دون تغيير ولاحذف ولازيادة، واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: نضر الله امرءا سمع حديثا فأداه

---

(1) صبحي الصالح، ص56 نقلا من مصدر أجنبي مكتوب باللغة الإنكليزية.

كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع، وبتعليمه عليه الصلاة والسلام الصحابة الحرص على دقة الحفظ والنقل عنه، فعن البراء بن عازب، ﷺ قال: ان رسول الله قال له: يا براء كيف تقول اذا أخذت مضجعك قال: قلت الله ورسوله أعلم قال: إذا أويت إلى فراشك طاهرا فتوسد يمينك ثم قل: اللهم اسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فذكر البراء أن رسول الله ﷺ طلب منه فيما بعد أن يعيد أمامه الدعاء. فعاده كما علمه غير أنه قال: ورسولك الذي أرسلت بدلا من " ونبيك الذي أرسلت. فضرب بيده في صدره وقال: ونبيك الذي أرسلت. فكره رسول الله ﷺ أن يبدل بنبيك برسولك مع أهما لا فرق بينهما في المعنى وعلى هذا الأساس راح الصحابة، رضي الله عنهم، يصحح ما يسمعه من الرواة من تغيير اللفظ النبوي بالتقديم والتأخير أو استبدال كلمة بمرادفها قال عبيد بن عمير وهو يقص: ""مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين" فقال ابن عمر: ويلكم لاتكذبوا على رسول الله ﷺ، إنما قال ﷺ: مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، وسمع ابن عمر أيضا رجلا يردد حديث الأركان الخمسة فقدم بعضها وأخَّر بعضا مخالفا بذلك الرواية التي سمعها ابن عمر نفسه من رسول الله ﷺ، فقال له أجعل صيام رمضان آخرهن كما سمعتُ من في رسول الله ﷺ.

وفي عصر التابعين وأتباع التابعين ظل كثير من الرواة يؤدي حديث رسول الله ﷺ بلفظه وإن كان آخرون منهم لا يرون بأسا بالرواية على المعنى قال ابن عون أدركت ثلاثة يشددون في الحروف وثلاثة يرخصون في المعنى، فأما أصحاب المعاني فالحسن والشعبي والنخعي وأما

أصحاب الحروف فالقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة ومحمد بن سيرين، وقد أشاد الأعمش سليمان بن مهران (ت148هـ) بهذا التشدد فحمد لهم ذلك وتغنى به قائلا: "كان العلم عند أقوام كان أحدهم لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يزيد واوا أو ألفا أو دالا" أما الطائفة التي لم تر بأسا في رواية الحديث بالمعنى فإنها اشترطت لذلك شروطا منها: أن يكون الراوي عالما بالنحو والصرف وعلوم اللغة، عارفا بمدلولات الألفاظ، بصيرا بمدى التفاوت بينها قادرا على أن يؤدي الحديث خاليا من اللحن؛ لأن رسول الله ﷺ أفصح من نطق بالضاد فمن الكذب عليه أن يضع المؤدي في فيه لحنا يستحيل أن يقع منه. قال الأصمعي: "أخشى عليه إذا لم يعرف العربية أن يدخل في قوله: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فإن النبي ﷺ لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه" ولما كانت علوم العربية متشعبة والإحاطة بها شبه مستحيلة منع بعض العلماء غير الصحابة من رواية الحديث بالمعنى؛ لأن جبلتهم عربية ولغتهم سليقة...قال القاضي أبو بكر بن العربي (ت544هـ) إن هذا الخلاف إنما يكون في عصر الصحابة، وأما من سواهم فلا يجوز لهم تبديل اللفظ بالمعنى، وإن استوفى ذلك المعنى.. والصحابة بخلاف ذلك فإنهم اجتمع فيهم أمران عظيمان: الفصاحة والبلاغة. والثاني انهم شاهدوا قول النبي ﷺ وفعله، وليس من أُخبِر كما عاين والرواية بالمعنى ينبغي أن تظل مقيدة ببعض العبارات الدالة على الحيطة والورع، فعلى راوي الحديث إذا شك في لفظ من روايته أن يتبعه بقوله: أو كما قال، أو كما ورد.

ومن رواة الصحابة المشهورين أبو هريرة رضي الله عنه أسلم سنة سبع للهجرة ومنذ إسلامه صاحب رسول الله ﷺ حتى توفي أي: دامت مصاحبته له أربع

سنوات. إلا أن هذه السنوات الأربع كانت طويلة استطاع أبو هريرة ﷺ أن يكتب فيها عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة لأنه خلال هذه السنوات لم يفارق رسول الله ﷺ لا في السفر ولا في الإقامة فما كان يفارقه إلا ساعات النوم، فأراد أن يعوض عما فاته لأنه أسلم متأخرا فلازم رسول الله ﷺ وأخذ يكتب كل أحاديثه التي يسمعها منه.

وقد أجاب أبو هريرة ﷺ عن سبب كثرة ما روى من الأحاديث خلال هذه المدة فقال: إنكم تقولون أكثر أبو هريرة في حديثه عن النبي ﷺ. وتقولون: إن المهاجرين الذين سبقوه على الإسلام لا يحدثون هذه الأحاديث، إلا أن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاقم بالسوق وأن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضهم. وأني كنت امرءا مسكينا أكثر مجالسة رسول الله ﷺ فأحضر إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا.

وأن النبي ﷺ حدث يوما فقال: من يبسط رداءه حتى يفرغ من حديثي ثم يقبضه اليه فلا ينسى شيئا كان قد سمعه مني.. فبسطت ثوبي فحدثني ثم ضممته إلي فوالله ما كنت نسيت شيئا سمعته منه. وأيم الله لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبدا وهي: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ){البقرة: ١٥٩ }

يقول أحد الكتاب " هكذا يفسر أبو هريرة ﷺ سر تفرده بكثرة الرواية عن رسول الله ﷺ ".

فهو أولا كان متفرغا لصحبة النبي اكثر من غيره.

وهو ثانيا كان يحمل ذاكرة قوية باركها الرسول فزادت قوة.

وهو ثالثا لايحدث رغبة في أن يتحدث، بل لأن إفشاء هذه الأحاديث مسؤولية دينه وحياته وإلا كان كاتما للخير والحق".

وقد كان ﷺ شديد الذكاء سريع الحفظ يكفي أن الرسول ﷺ دعا له بقوة الحفظ وقد قال عنه الإمام الشافعي ﷺ: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره.

و لم يتخلف أبو هريرة ﷺ عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ منذ إسلامه.

الرحلة في طلب الحديث

قام المسلمون برحلات من اجل جمع الحديث وبدأت هذه الرحلات من عصر الصحابة، وزادت قوة على مر الأيام فجابر بن عبد الله سافر على راحلته سافر شهرا ليسمع رواية محدث، ورحل إلى بيت المقدس ليسمع حديثا من أبي الدرداء، ومكحول تجشم السفر بين مصر والشام والعراق والحجاز لسماع الحديث، وسعيد بن المسيب كان يواصل الأسفار بالليل والنهار لسماع حديث واحد أو عدد من الأحاديث.

وبذلوا لطلبهم الحديث كل غال وثمين، فالزهري أنفق ماعنده في طلب الحديث وكان عمله يلهيه عن أهله حتى ان زوجته قالت والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر، وأنفق ابن مبارك في طلب الحديث أربعين ألف درهم حتى لم يبق له نعل فكان يمشي حافيا أما عدد طلبة الحديث فكان كبيرا حتى ليظن القارئ أن ما يذكر من أرقام أقرب إلى الأسطورة منه إلى الحقيقة.

فقد بلغ مثلا عدد تلامذة الحديث في الكوفة في زمن ابن سيرين أربعة آلاف، وكان مسجد المدينة يضيق بالطلبة الذين يحضرون دروس مالك بن

أنس، وكان يحضر دروس الحديث التي يلقيها علي بن عاصم ثلاثون ألف طالب.

ولكل حديث نبوي متن وإسناد، فالمتن هو قول الرسول ﷺ والإسناد هو سلسلة الرجال الذين نقل عنهم الحديث ابتداء من الصحابي الذي سمع الحديث من رسول الله ﷺ مباشرة حتى انتقاله إلى الراوي. من ذلك الحديث الذي رواه البخاري ونصه: "حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل حدثنا جرير بن حازم حدثنا الحسن حدثنا عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل عن الأمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أوتيتها من غير مسألة أُعَنت عليها...".

فعبارة " حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل حدثنا جرير بن حازم حدثنا الحسن حدثنا عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ " هذه العبارة جميعها تسمى إسنادا ومتن هذا الإسناد هو قول الرسول ﷺ: " يا عبد الرحمن بن سمرة لاتسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها ".

فإسناد هذا الحديث هذا متنه ومن التحريف إذا جعلناه لمتن حديث آخر، ومتن هذا الحديث هذا إسناده ومن التحريف إذا جعلناه لإسناد حديث آخر والرواة والحفاظ كانوا يحفظون أحاديث رسول الله بمتونها وأسانيدها.

ويعد المحدثون عدم ترتيب الرجال في السند أو إسقاط واحد منهم بعدم ذكره يعدون وجود مثل هذا في الحديث علامة من علامات ضعفه فيسمونه حديثا ضعيفا.لذلك كان أصحاب الحديث الصحيح يحفظون ويروون الأحاديث بمتونها وأسانيدها الخاصة بها مع المحافظة على

الترتيب في رجال السند من غير تقديم او تأخير ومن غير أن ينسوا أو يسهوا واحدا منهم.

وقد ضبط كل راو من رواة الحديث الصحيح حفظ كل سند دون الإخلال بترتيب رجاله وقد كان كل منهم آية في الحفظ في هذا الباب.

وكان كثير من أهل الحديث يمتحنون الرواة بقلب الأحاديث وإدخالها عليهم فهذا الخطيب البغدادي يروي في هذا المجال عن البخاري ما يكبره في أعيننا ويعظمه في نفوسنا قال: فإنهم اجتمعوا، أي: علماء بغداد حين قدم عليهم البخاري وعمدوا إلى مئة حديث من أحاديثه فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا لإسناد آخر وإسناد هذا لمتن آخر ودفعوها إلى عشر أنفس، إلى كل رجل عشرة وأمروهم إذا حضر المجلس يلقون ذلك على البخاري، فحضر المجلس أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم من البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من أحاديثه بعد أن قلب متنه وإسناده فقال البخاري لا أعرفه فسأله عن آخر كالأول فقال: لا أعرفه فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول: لا أعرفه فقال الفقهاء ممن في المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، فهم الرجل ثم انتدب إليه رجل من العشرة عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخاري: لا أعرفه ثم انتدب إليه الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيد على: لا أعرفه، فلما علم البخاري أنهم فرغوا، التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على التوالي حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون

الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.

و لم يكن أهل الحديث أهل علم وذكاء وقوة حافظة فحسب، بل كانوا أيضًا أهل إيمان وتقوى وزهد. فقد طلب الأمير خالد أمير بخارى من البخاري أن يعلم أولاده في البيت فقال له: إن العلم يؤتى إليه ولا يأتي إلى أحد فغضب عليه ونفاه.

ومن قبل كان كذلك الإمام مالك.، لما سافر هارون الرشيد إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول ﷺ وذهب إلى المسجد النبوي الشريف فرأى الإمام مالكا ﷺ يدرس العلم فقال للإمام مالك يا مالك ما ضر لو جئتنا لتدرس العلم لنا في بيتنا فقال الإمام مالك يا هارون إن العلم لا يأتي ولكنه يؤتى إليه فقال له صدقت يا إمام دار الهجرة وسوف آتي إليك في المسجد فقال له الإمام مالك: يا هارون إذا جئتنا متأخرا فلن أسمح لك أن تتخطى رقاب الناس في المسجد فقال له هارون الرشيد سمعا وطاعة وبينما كان الأمام مالك ﷺ يلقي درسا بعد صلاة العصر دخل هارون الرشيد المسجد ودخل معه رجل ووضع الكرسي لهارون الرشيد فنظر الإمام مالك إلى هارون الرشيد فوجده جالسا على الكرسي في المسجد فغير مجرى الحديث وقال:

قال رسول الله ﷺ من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه الله، ففهم هارون الرشيد المعنى وأمر أن ترفع الكرسي من تحته وجلس على الأرض كما يجلس الناس. وبعد ذلك دخل على الإمام مالك قبل سفره وأعطاه هدية وقال له يا مالك خذ هذه الهدية وكانت أربعمائة دينار فقال له الإمام أعفني يا أمير المؤمنين أنا لا أستحق الصدقة ولا أقبل الهدية فقال له الرشيد

ولماذا لا تقبل الهدية والنبي ﷺ قبل الهدية فقال له مالك أنا لست نبيا ثم قال له خذ مالك وتوكل على الله وبعد ذلك دعا الرشيد الإمام مالك لزيـــارة بغداد عاصمة الخلافة العباسية آنذاك فرفض الإمام مالـــك وقـــال والله لا أرضى بجوار رسول الله بديلا.

فالله سبحانه، لأنه قال: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) هيأ لرسوله ﷺ صحابة وتابعين لا مثيل لهم في الدنيا بعظم تقـــواهم وعلمهـــم وحفظهم لكتاب الله وحديث رسوله وشدة حرصهم على نقل كـــلام الله وكلام رسوله للناس من غير نقص ولا زيادة ولا تحريف.

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ماعلنا منه وما لم نعلم اللهم آمين.

تعدد الزوجات في الإسلام

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا)

(ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما)

جاء الإسلام وتعدد الزوجات مباح عند الأمم والديانات فقد كان مباحا مثلا في العراق القديم وعند الفرس وفي الحضارة الهندية وفي الصين حتى سمحت شريعة ليكي الصينية بتعدد الزوجات إلى مئة وثلاثين امرأة وفي مصر عرف الأغنياء ولا سيما الأمراء والعائلة المالكة عادة التعدد بإسراف من دون حد وكانوا يتباهون بالتعدد، حتى كان رمسيس الثاني يفتخر بإنجابه مئة وستين ولدا من زوجاته الكثيرات. وكذلك كان مباحا في اليابان واليونان وفي شريعة حمورابي.

وكان التعدد مباحا في الديانة اليهودية حتى يروي العهد القديم عن داود وسليمان بأنهما قد جمعا من الزوجات المئات.

و لم يرد أي قيد كان للتعدد لكن نصوص التلمود اباحته لغاية الأربع بالنسبة إلى عامة الشعب أما ولي أمر اليهود فله جواز الاقتران بثماني عشرة أمرأة.

أما في الديانة المسيحية فإنه لم يرد في الأناجيل المتداولة نص صريح يحرم التعدد، وإنما الذي ورد فيها كان على سبيل الموعظة:"إن الله خلق لكل رجل زوجته" وهذا لا يفيد منع التعدد بل الحث على الاكتفاء بزوجة واحدة. بل ورد في بعض رسائل بولس ما يفيد التعدد فقد قال: " يلزم أن

يكون الأسقف زوجا لزوجة واحدة " ففي إلزام الأسقف وحده بذلك دليل على جواز تعدد الزوجات لغيره.

وقال (وستمارك) المتخصص في تاريخ الزواج " أن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي إلى القرن السابع عشر، وكان يتكرر كثيرا في الحالات التي لا تحصيها الكنيسة والدولة " وكان لملك إيرلندة (ديار ماسدت) زوجتان وسريتان كما عَدَّدَ الملوك الميروفنجيون زوجاتهم غير مرة في القرون الوسطى، كما كان لشارلمان (747-814) زوجتان وكثير من السراري.

وقد حدث بعد ذلك أيضا أن الملك هيس فيليب والملك فردريك وليم الثاني البروسي تزوجا بأكثر من واحدة بموافقة القساوسة اللوثريين بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية إلى وجوب تعدد الزوجات، ففي سنة 1531م نادى اللامعمدانيون في مونستر صراحة بأن المسيحي ينبغي أن تكون له عدة زوجات، ويعد المورمون كما هو معلوم أن تعدد الزوجات نظام إلهي مقدس، ثم استقرت النظم الكنيسية المستحدثة بعد ذلك على تحريم التعدد على الرغم من خلو أسفار الإنجيل من ذلك.

وكشاهد على هذا التغيير المخترع حسب أهواء القساوسة والأحبار المسيحيين لمبدأ التعدد، فإن المسيحية المعاصرة تعترف به في أفريقيا السوداء، ذلك لما رأوا في منع التعدد من الحيلولة بينهم وبين الدخول في النصرانية لذا نادوا بإباحة التعدد فأعلنت الكنيسة أخيرا وبصورة رسمية السماح للأفريقيين بتعدد الزوجات بغير حد.

وأخيرا ثبت لدى علماء الاجتماع ومؤرخي الحضارات وعلماء الأثنوجرافيا كالأساتذة: وسترمارك وهوس وهيليز وجنبر برج: أن نظام

تعدد الزوجات لم يظهر في صورة واضحة إلا في الشعوب المتقدمة في الحضارة في حين أنه قليل الانتشار أو معدوم في الشعوب البدائية المتأخرة.

كما أن الذي دفع الكنيسة إلى منع تعدد الزوجات عدهم المرأة هي المسؤولة عن انحلال الأخلاق وانهيار الحضارة الرومانية لافتتان الرجل بها، حتى عد أقطاب النصرانية أن المرأة علة الخطيئة وعضو ناقص، فهي ليست صورة مجد الله، واستنكر رجال من آباء الكنيسة وفقهائها أن يكون للمرأة روح علوية وأوشكوا أن يلحقوها بزمرة الحيوانات التي لا حياة لها بعد فناء جسدها؛ فكان تعدد الزوجات مباحا في الأديان السماوية جميعها و لم يحرم حين حرم اكبارا للمرأة وتكريما لها. بل كانت الفكرة الأولى في تحريمه أن المرأة شر، يكتفى منه بأقل ما يستطاع، أي: أن الفكرة الأولى التي دعت إلى استحسان الزواج بواحدة هي فكرة الاكتفاء بأقل الشرور، فإن لم تتيسر الرهبانية فامرأة واحدة أهون شرا من امرأتين.

وهذا مايظهر من أقوال أقطاب النصرانية.

قال كريستوم: إن المرأة شر لا بد منه وإغواء طبيعي وكارثة مرغوب فيها وخطر منزلي وفتنة مهلكة.

أنظر ول ديورانت قصة الحضارة: 187/16.

وقال أحد الرهبان في خطاب موجه الى الكهنة بأمل صرفهم عن الزواج: لو كان كل حقل أو درب ورقا... لو كان كل الخشب ريشا (ليتخذ منه قلما) ولو تجند كل من يجيد الكتابة لهذه المهمة لما استطعنا مع ذلك أن نظهر كل ما في المرأة من شر

وقال القديس بولس: إن المرأة علة الخطيئة.

فيظهر كما مر أن تلك المقولات السابقة كانت بمثابة رد الفعل للواقع الذي كان المجتمع الروماني يعيش فيه من انتشار الفواحش والمنكرات وانحلال الأخلاق الذي أدى إلى انهيار الرومان. وعدوا المراة مسؤولة عن ذلك فقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه وأن العزوبة أفضل من الزواج.

فالأديان والأنبياء جميعهم قبل محمد ﷺ لم يحرموا تعدد الزوجات، بل أحلوه مطلقا، ونحن نستطيع أن نقول بكل ثقة ان الإسلام هو أول دين وضع حدا لتعدد الزوجات، فحصره في أربع نساء بعد أن كان غير محصور في عدد معين.

وثمة حالات لمشكلات زواجية لا يمكن حلها إلا بإباحة تعدد الزوجات، من تلك الحالات.

1-عقم الزوجة وحب الزوج للذرية وهذا حق مشروع لكل إنسان وهناك حالتان لا ثالث لهما:

ا-فإما أن يطلق الرجل زوجته ليتزوج بأخرى وهذا مناف لشيم الرجال ومروءاتهم.

ب-أو يتزوج عليها أخرى أملا في الحصول على الذرية المنشودة وهذا هو الحل الأسلم والأفضل.

2-مرض الزوجة المزمن أو المعدي الذي يفوت على الزوج المعاشرة الجنسية.

3-كثرة السفر للرجل بحكم عمله والحاجة إلى بقائه شهورا أو سنين في بلاد الغربة وعدم تمكنه من استصحاب زوجته وأولاده كلما سافر.

4–عدم اكتفاء الرجل بزوجته لهرمها او عجزها وعدم رغبتـــها في الرجل من الناحية الجنسية.

5–قد توجد عند بعض الرجال بحكم طبيعتهم النفسية والبدنية رغبة جنسية جامحة إذ ربما لا تلبي حاجته امرأة واحدة ولا سيما في بعض المناطق الحارة فبدلا من أن يتخذ له خليلة تفسدعليه أخلاقه أبيح له أن يشبع غريزته عن طريق حلال مشروع.

لقد جاء الإسلام وعادة التعدد موجودة لكنها دون ضوابط وحدود واضحة المعالم، فوضع الإسلام لتعدد الزوجات قواعد تنظمه بطريقة تحفظ معها كرامة المرأة وإنسانيتها.

إذن لم ينشئ الإسلام تلك العادة و لم يوجبها و لم يستحســـنها بـــل أباحها إباحة مقرونة بتفضيل الاكتفاء بزوجة واحدة أقرب إلى العدل وأبعد عن الفقر الناتج من كـــثرة الأولاد بسبب تعدد الزوجات كما قال بذلك الشـــــــــــــــافعي وغـــــــــــــــــيره

قال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّـــنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَـــا مَلَكَـــتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ){النساء: ٣ }

وليس العدل المطلوب بين الزوجات شيئا سهلا ولا سيما في الحـــب القلبي والميل النفسي؛ لذلك نفاه القرآن عن مقدور الإنسان حتى لو حرص على ذلك. قال تعالى: (وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا){ النساء: 129}

فقد وضع الإسلام لمبدأ تعدد الزوجات شرطين أساسيين هما: العدل والمقدرة، فمن لم يستطع أن يعدل بين نسائه أو ليست له المقدرة المالية على إعالة امرأتين أو اكثر حرم عليه تعدد الزوجات.

فمن قدر على الوفاء بحقوق ثلاث مما يحتجن إليه من سكن وطعام وكسوة دون الرابعة حرم عليه ان يعقد على الرابعة، ومن قدر على الوفاء بحقوق اثنتين دون الثالثة حرم عليه أن يعقد على الثالثة ومن قدر على إعالة امرأة واحدة دون الثانية حرم عليه أن يعقد على الثانية، بل من عجز عن القيام بحق امرأة واحدة حرم عليه أن يتزوج حتى يتحقق له القدرة المالية على إعالة المرأة التي يتزوجها.

بل ذهب بعض الأئمة إلى جواز التفريق بين المرأة وزوجها المعسر الفقير إذا عجز عن النفقة لفقره وطلبت هي ذلك لأن الشرع لم يكلفها الصبر على الجوع مع زوج فقير ما لم تقبل هي بذلك من باب الوفاء ومكارم الأخلاق.

وإذا ظهرت في تعدد الزوجات مشاكل، فإنها لم تظهر إلا بسبب عدم اتباع الرجال لتعاليم الإسلام، والإسلام غير مسؤول عن مشكلات تحدث لعدم اتباع منهجه وتعاليمه فمشاكل تعدد الزوجات تظهر حين لا يعدل الرجل بين نسائه والإسلام ما أباح التعدد إلا بشرط توافر العدالة التامة بينهن.

وتظهر نتيجة عدم مقدرة الرجل على الإنفاق على نسائه وأولادهن، والإسلام اشترط لمن يرغب في تعدد زوجاته أن يكون قادرا على الإنفاق عليهن وعلى أولادهن.

فإذا ظهرت في تعدد الزوجات مشاكل لا يكون علاجها بمنع ما أباحه الله، وإنما يكون العلاج بالتعليم والتربية وتفقيه الناس أحكام الدين.

ألا ترى أن الله أباح للإنسان أن يأكل ويشرب دون أن يتجاوز الحد فإذا أسرف في الطعام والشراب أصابته الأمراض فليس ذلك راجعا إلى الطعام والشراب بقدر ما هو راجع إلى النهم والإسراف، وعلاج مثل هذه الحالة لا يكون بمنعه من الأكل والشرب وإنما يكون بتعليمه الآداب التي ينبغي اتباعها في أكله وشربه.

ومع أن الإسلام اشترط لتعدد الزوجات المقدرة على العدل والإنفاق وقصره على أربع فقد جعل من حق المرأة أن تشترط أو يشترط ولي أمرها أن لا يتزوج الرجل عليها، فإذا اشترطت ذلك وقبله الرجل صح هذا الشرط ولزم على الزوج الوفاء به، ويكون لها عندئذ حق فسخ الزواج إذا لم يف لها بالشرط.

كما أن الرجل إذا تزوج من امرأة ثانية أذن الشرع الإسلامي للزوجة الأولى أن تكون حرة مختارة من أن تكون زوجة ثانية لرجل متزوج، أو لا، ولها الحق في رفع أمرها إلى القضاء إذا رأت أن زواج زوجها من امرأة أخرى قد صار زواجا يضرها في كرامتها او في عدم مقدرته على النفقة أو إذا رأت أنه لايعدل بينها وبين الزوجة الأخرى فجاز لها أن تطلق من قبل القاضي إن هي رغبت في ذلك.

وإذا نظرنا إلى حقيقة المجتمع الغربي يتبين أن المبدأ الذي ينادون به، مبدأ الاكتفاء بزوجة واحدة ومنع تعدد الزوجات لا وجود له في واقعهم.

إن تعدد الزوجات موجود في المجتمع الغربي، لكنه يختلف عن

مبدأ تعدد الزوجات في المجتمع الإسلامي، بما يأتي:

1-تعدد الزوجات في المجتمع الإسلامي يقع باسم الزوجات لكنه في المجتمع الغربي يقع باسم الصديقات والخليلات.

2-يقع تعدد الزوجات في المجتمع الإسلامي بصفة علنية لكنه في المجتمع الغربي يقع بصفة سرية.

تعدد الزوجات في المجتمع الغربي يحصل بطريق حرام غير شرعي ويحصل في المجتمع الإسلامي بطريق حلال وشرعي.

3-تعدد الزوجات في المجتمع الغربي يكون غير محدد ومحصور بعدد معين من النساء، أما في المجتمع الإسلامي فيكون مقتصرا على أربع نساء لا يزيد عن ذلك.

4-مبدأ التعدد في الإسلام يكون مقتصرا على تعدد الزوجات من النساء في حين أنه في المجتمع الغربي يشمل الجنسين فهناك تعدد الزوجات وتعدد الأزواج في آن واحد فكما أن الرجل تكون عنده عدد من الخليلات يعاشرهن ويجامعهن فكذلك المرأة لها عدد من الأخلاء تعاشرهم على حد سواء معاشرة المرأة لزوجها.

5-مبدأ التعدد في المجتمع الإسلامي يجري وفق نظام فلا يحصل به تشرد الزوجات وضياع حقوقهن وحقوق أولادهن. أما تعدد الزوجات في المجتمع الغربي يجري بغير نظام مما يترتب على ذلك تشرد الزوجات وضياع حقوقهن وحقوق أولادهن حتى ان الأولاد يولدون ولا يعرفون من هو أبوهم ولا يجدون من يرعاهم.

ذلك أن هذا التعدد يحصل بصفة سرية لا علنية فلا يلزم صاحبه بالاعتراف بزوجاته وأولاده.

هذه هي الحقيقة حتى إن أحد الكتاب الغربيين تحدى ابناء جنسه من أن يكون أحدهم وعلى فراش الموت يدلي باعترافاته للكاهن تحداهم جميعا أن يكون فيهم شخص واحد يستطيع أن يبرئ نفسه من الاتصال غير الشرعي بغير زوجته، فهم جميعا يعترفون للأب الديني على فراش الموت بأنه كان عنده في الأقل خليلة عدا زوجته يعاشرها معاشرة زوجته.

والغربيون الذين يتحدثون عن قضية تعدد الزوجات في الإسلام يغمضون أعينهم عما يحدث في مجتمعاتهم، فقد شاعت في الغرب نوادي تبادل الزوجات، فتأتي الزوجة مع زوجها إلى هذا النادي فيعطي الرجال كل منهم زوجته للآخر ويعاشرها معاشرة جنسية.

وانتشر في الغرب أيضا مايسمى الزواج الجماعي وهو أن يسكن عدد من الشبان خمسة أو أكثر مع زوجاتهم في منزل واحد ويتبادلون الزوجات في ذلك المنزل فيعاشر كل من هؤلاء الشبان جميع الزوجات معاشرة جنسية، أما الأولاد فينسب كل مولود يأتي من الزوجة إلى زوجها وإن لم يكن في حقيقة الأمر منه، وهذا النوع من الزواج قد انتشر في السويد.

وهذه النوادي وهذه المنازل مباحة في الدول الغربية، بل لها حصانة باسم الحرية، فالغربيون لا يتحدثون عن هذه القذارة الخلقية في بلادهم لكن يصبون جام غضبهم على الإسلام لأنه لم يحرم تعدد الزوجات.

فهناك طائفة من الأسباب الخاصة والعامة التي لاحظها الإسلام وهو يشرع لا لجيل خاص من الناس ولا لزمن معين محدد وإنما يشرع للناس جميعا وإلى قيام الساعة، فمراعاة الزمان والمكان لها اعتبارها وتقدير ظروف الأفراد لابد من أن يحسب لها حسابا.

ولقد كان لهذا التشريع والأخذ به في العالم الإسلامي فضل كبير في بقائه دينا نقيا بعيدا عن الرذائل الاجتماعية والنقائص الخلقية التي فشت في المجتمعات التي لا تؤمن بتعدد الزوجات ولا تعترف به.

وقد لوحظ في المجتمعات التي يحرم تعدد الزوجات شيوع الفسق وانتشار الفجور حتى زاد عدد البغايا، أي: اللواتي يحترفن الزنى، عن عدد المتزوجات في بعض المدن الأوربية.

يقول الكاتب الإنكليزي برترا ندرسل: إن نظام الزواج بامرأة واحدة فقط وتطبيقه تطبيقا صارما قائم على توقع أن عدد النساء مساو لعدد الرجال وما دامت الحالة ليست كذلك فإن بقاءه قسوة بالغة لأولئك اللائي يبقين عانسات بلا زواج.

بل ينساق أكثرهن إلى امتهان الزنى؛ فيكثر الأولاد غير الشرعيين الذين لا يعرفون آباءهم؛ فتضيع أنسابهم وتتخلى عنهم أمهاتهم، حتى ذكرت التقارير الرسمية في أمريكا مثلا، أنَّ مؤسسات الدولة ضاقت ذرعاً بأولاد الزنى لكثرتهم، وراحت تنفق ملايين الدولارات من أجل رعايتهم، كما يصيب كثيراً من هؤلاء الأولاد الضائعين الكآبة والأمراض النفسية والانحراف عن الطريق السوي، مما يزيد الدولة ضعفاً من الناحية الاقتصادية والصحية والاجتماعية، لذلك أشاد الرحالة الألماني: بول أشميد، بنظام تعدد الزوجات، وعده عنصراً مهماً من عناصر القوة التي يمتلكها العالم الإسلامي ويفتقدها العالم الأوربي، وهذا ما تضمنه كتابه: الإسلام قوة الغد، الذي أصدره سنة 1936م.

فهذا هو تشريع البشر أين هو من تشريع الله.؟!

وصدق قول الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ {لمائدة: ٥٠ }

اللهم أرنا الحق حقا ووفقنا في اتباعه وأرنا الباطل باطلا ووفقنـــا في اجتنابه. اللهم آمين.

زواجه ﷺ

من عائشة رضي الله عنها

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن ونعوذ بك من العجز والكسل ونعوذ بك من الجبن والبخل ونعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال.

كان السر من تعدد زوجاته ﷺ نشر تعاليمه الأسرية للناس، وكذلك كان زواجه من عائشة رضي الله عنها لكن آثار المستشرقون في هذا الزواج قولهم أنه تزوج عائشة وكانت طفلة.

والحقيقة أنه ليس في هذا الزواج حتى لو كانت الغاية منه الدنيا أمر غريب، لأن زواج الرجل الكبير من بنت صغيرة كان أمرا شائعا واعتياديا عند العرب وفي عصر الرسالة النبوية.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الرسول ﷺ لم يتزوج من عائشة إلا بعد أن كانت بالغة الأنوثة يقول أحد الكتاب: "تزوجها الرسول ﷺ تكريما لوالدها أبي بكر رجل الإسلام الأول، وإليك بعض الحقائق عنها.

1- لم يكن هناك شهادات ميلاد تثبت سنة الولادة وتحدد العمر بالضبط، ولكن كانوا يعرفون استعداد البنت للزواج كما يعرف الفلاح نضج الثمرة وذلك بملامح الفتاة، وهذا الأمر تجيد النساء معرفته.

2-البيئة العربية كانت تزوج البنت بمجرد بلوغها النضج خوفا من الإنحراف.

3-كانت السيدة عائشة كاملة الأنوثة يوم أن عرضت السيدة خولة بنت حكيم على النبي أن يتزوج من عائشة، بل أكثر من ذلك أنها كانت

مخطوبة لرجل مشرك اسمه جبير بن مطعم، وبعد عامين من خطبتها أصر جبير على الكفر ففرق بينهما وخطبها النبي تكريما لأبي بكر أليس ذلك يكرم؟ ".

4-كما أن أمها زوجة أبي بكر الصديق رضي الله عنها كانت ترى أن ابنتها قد كبرت عندما فسخت خطبتها من جبير بن مطعم بن عدي، ولما علمت أن الرسول ﷺ خطبها لنفسه قالت لأبي بكر رضي الله عنه: هذه ابنتك عائشة قد أذهب الله عن طريقها جبيرا وأهله فادفعها إلى الرسول ﷺ تلقى الخير والبركة، والأم حين تخطب بنتها للزواج تكون أعرف الناس بها وبعلامات الأنوثة فيها.

لا شك أن عائشة رضي الله عنها تزوجت في سن مبكر، لكنه كان سنا مقبولا وكامل الأنوثة، ولا تنسى أن عامل المناخ له أثر في نضوج المراة سريعا.

وقد تبين أيضا أن الغاية من تعدد زوجاته هو نشر الرسالة البيتية إلى الناس فلا أحد يعلم ما يقوله ويفعله في بيته غير نسائهن فهن أقرب الناس إليه.

وكان الرسول ﷺ لايستطيع أن يشرح للنساء القضايا النسوية فكانت نساؤه تقوم بهذه المهمة، وهي مهمة كبيرة لا تكفيها امرأة واحدة.

كما أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون نساء النبي ﷺ مرجعا للناس بعد وفاته. فقد كان الصحابة يرجعون دائما بعد وفاته إلى زوجاته ويسألوهن عن فتاوى وأمور جديدة لم تحصل من قبل فيجدون الإجابة عندهن بأن الرسول ﷺ قال كذا وكذا وفعل كذا وكذا فأكثر نساؤه

ﷺ عشن بعده بسنوات كثيرة وحصلت في حياتهن إشكالات كان النـــاس يجدون حلها عند زوجاته ﷺ.

فالرسول ﷺ توفي سنة 11 هــ، أما أكثر زوجاته فقد توفـــاهن الله بعده بسنوات.

فزينب بنت جحش رضي الله عنها توفيت سنة 50 هــ.

وسودة رضي الله عنها توفيت سنة 45 هــ، وكذلك حفصة رضي الله عنها توفيت في هذه السنة.

وجويرية بنت الحارث رضي الله عنها توفيت سنة 56 هــ.

وأم حبيبة رضي الله عنها توفيت سنة 44 هــ.

وأم سلمة رضي الله عنها توفيت سنة 59 هــ.

وعائشة رضي الله عنها توفيت سنة 59 هــ.

وميمونة بنت الحارث رضي الله عنها توفيت سنة 61 هــ.

فنلحظ أن زوجاته ﷺ توفاهن الله بعد وفاة الرسول ﷺ بزمن طويل.

فقد توفيت مثلا أم حبيبة بعده بــ 33 سنة.

وتوفيت أم سلمة بعده بــ 48 سنة وكذلك كان وفـــاة عائشـــة، وتوفيت ميمونة بعده بــ 50 سنة رضي الله عنهن جميعا.

فالصحابة خلال هذه السنوات الطويلة بعد وفاته ﷺ كانوا يسألون زوجاته عن أمور استجدت بعده وكانوا أكثر ما يسألون عائشة رضي الله عنها لأنها كانت أصغرهن سنا وأكثرهن حفظا وعلما وذكاء ونشاطا.

وقد ورد حديث قيل بأنه ضعيف وهو قوله ﷺ أنه كان يشير إليهـــا في حياته ويقول خذوا نصف دينكم من هذه. وهذا الحديث لا غرابة فيه إذا ثبتت صحته، بل هو الواقع معناه، ويكفي دليلا على ذلك أن أحد الأساتذة

وهو الدكتور عبد المحسن قد حصل على شهادة الدكتوراه في اطروحته بعنوان: تفسير عائشة أم المؤمنين. وكانت هذه الأطروحة مؤلفة من ألف صفحة تقريبا واعتمدت على أكثر من ستمئة مصدر ومرجع.

فقد كان هذا دورها في تفسير القرآن الكريم، ولها دور آخر في الحديث كدورها في التفسير، فقد كانت مفسرة ومحدثة يعتمد عليها المفسرون في جانب التفسير ويعتمد عليها المحدثون في جانب الحديث.

ولهذا السر ولهذه الحكمة أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يتزوج من عائشة رضي الله عنها، إذ أن زواجه منها كان بأمر من الله جل وعلا.

فعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: (رأيتكِ) في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير (أي في قطعة من الحرير الجيد) فيقول (لي) هذه امرأتك فأكشفُ عن وجهكِ فإذا أنتِ هي. فأقول إن يك هذا من عند الله يمضه. رواه الشيخان والترمذي ولفظه جاء جبريل للنبي ﷺ بصورة عائشة في خرقة حرير خضراء فقال: إن هذه زوجتك في الدنيا والآخرة.

وفي أصول العقيدة الإسلامية أن الله سبحانه كان قادرا على أن يعصم محمدا ﷺ من كل خطا غير متعمد ومن كل سهو كما عصمه من كل ذنب لكنهم قالوا ان في جعل الرسول ﷺ يقع في خطأ أو سهو تشريعا للناس، لأنه لو لم يخطئ أو يسهو لما علم الناس ماذا يصنعون إذا وقعوا في مثل هذا الخطأ أو السهو. فقالوا مثلا: إن سهو رسول الله ﷺ في الصلاة تشريع للناس وتعليم لهم كيفية سجود السهو، لأن دلالة الفعل أوضح وأقوى من دلالة القول.

ونقول استنادا إلى ذلك ان زواجه ﷺ كانت الغاية منه تعليم الناس كيف يكون الزواج وكيف تكون معاملة الزوجين حتى تقبيله ﷺ لزوجاته كان تشريعا وتعليما لهم. فقد سئلت عائشة مثلا رضي الله عنها بعد وفاة الرسول ﷺ عن الرجل الصائم في رمضان إذا قبَّل زوجته وهو صائم: أيفطر أم لا؟

فأجابت كان رسول الله ﷺ يقبل إحدى زوجاته وهو صائم فقيل لها أأنت كنت تلك الزوجة؟ فابتسمت رضي الله عنها.

كما أن الرسول ﷺ وإن تزوج عائشة رضي الله عنها وهو كبير السن إلا أنه لم يزل يتمتع حتى وفاته بنشاط الشباب وقوته وكان أجمل رجال قريش، وكانت كل شابة وهو في ذلك العمر تتمناه، فلم ترد أية إشارة في السنة أو السيرة أن عائشة رضي الله عنها كانت تحس بالغبن لأنها تزوجت من رسول الله ﷺ. بل تجد نفسها محسودة على زواجها منه والدليل على ذلك أنها كانت تغار عليه من نساء كثيرات طلبن منه أن يتزوجهن، قال ابن كثير في تفسيره: " والغرض من هذا أن اللائي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ كثير، كما قال البخاري... وعن عائشة قالت: كنت اغار من اللائي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ "[1].

وفي تفسير ابن كثير أيضا أنه ﷺ لم يتزوج واحدة من هؤلاء النسوة اللواتي طلبن الزواج منه على الرغم من أن ذلك كان مباحا له بأمر من الله سبحانه.

(1) تفسير إبن كثير.

زواجه ﷺ

من زينب رضي الله عنها

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آلـــه وصحبه ومن والاه.

اللهم اغفر لنا خطيئاتنا وجهلنا وإسرافنا في أمرنا وما أنت أعلم بـــه منا، اللهم اغفر لنا جدنا وهزلنا وخطأنا وعمدنا وكل ذلك عندنا، اللـــهم اغفر لنا ما قدمنا وما اخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا أنت المقدم وانت المؤخر وأنت على كل شئ قدير.

لم يكن الرسول ﷺ يبغي من تعدد زوجاته الدنيا ومتاعها وإنما كان يبغـــــــــــــــــــــي مـــــــــــــــــــــن ذلك تثبيت اركان الدين الجديد. ونشر الدعوة والرسالة لـــذلك تعـــددت أغـــراض زواجه ﷺ فقد كان مثلا الدافع إلى زواجه من زينب بنت جحش رضي الله عنـــها تشريعيا نص على ذلك صريح قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْـــصِ اللَّـــهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُّبِينًا {36} وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّـــهُ عَلَيْـــهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّـــهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْـــدٌ مِّنْهَـــا وَطَـــرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا {37} مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْـــدُورًا

{38} الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّـهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا {39} مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا){الأحزاب: 36-40}

أوضحت هذه الآيات قصة زواج الرسول ﷺ من زينب رضي الله عنها، لكن مما يؤسف له أن يروي لنا عدد من المفسرين القدامى هذه القصة بطريقة لا تليق البتة بأخلاق الرسول ﷺ شبيهة بالقصة التي يرويها اليهود في التوراة عن داود عليه السلام انه كان عنده تسع وتسعون زوجة، ثم رأى زوجة أحد قادته العسكريين عارية فأعجبته فدعاها إليه فزنى بها ثم حملت منه فعمد إلى زوجها فاغتاله ثم تزوجها، ويبدو أن اليهود قد دسوا مثل هذه القصة عن رسول الله ﷺ وجعلوها ضمن الروايات الباطلة التي اعتمد عليها مفسرون ومؤرخون مسلمون يقول الدكتور رياض هاشم:

ذكر الطبري وابن الأثير وغيرهما أن رسول الله خرج يريد زيدا وكان على باب زيد سد من شعر فرفعه الريح فرأى زينب وهي حاسرة ومكشوفة الرأس والوجه فأعجبته ". وقد كانت زينب ابن عمة رسول الله ﷺ وقد زوجها من مولاه زيد بن حارثة.

وقال أبو السعود في تفسيره: إن رسول الله ﷺ مر ببيت زيد و لم يكن فيه زيد فرأى زينب فبهره حسنها وقال: سبحان الله مقلب القلوب.

ومعنى (مقلب القلوب): أن الله سبحانه جعل محمدا ﷺ يهوى زينب بعد ان كان لا يهواها من قبل ومثل هذا قال الزمخشري والقرطبي والنسفي والسيوطي ومن سار على شاكلتهم.

وقد أفاض هؤلاء المفسرون في تعليل تلك الزيجة. افاضة عجيبة غريبة واجتهدوا اجتهادات باطلة حتى مكنوا أعداء الإسلام من الزنادقة والمجوس والمتشدقين بالعلم من باحثينا المعاصرين من الذين استهوتهم آراء المستشرقين في الإطناب في تخريج هذه الروايات.

وإذا كان مؤرخون مسلمون ومفسرون مسلمون قد قالوا بهذا من غير وعي ولا إدراك فلا عجب. أن يستغل مستشرقون أقوالهم ويستندون إليها ويضيفون عليها للطعن بسيد الرسل والأنبياء، كالمستشرقة مدام ريكاميه التي تقول عنه ﷺ في شأن زواجه من زينب: " فقلب قلبه فجأة ونسي سودة وعائشة وحفصة وزينب المخزومية وأم سلمة ونسي كذلك ذكرى خديجة ". وكالمستشرق غوستاف لوبون الذي يقول: " وأطلق محمد العنان لهذا الحب حتى إنه رأى زوجة ابنه بالتبني وهي عارية فوقع في قلبه شئ منها فسرحها بعلها ليتزوجها محمد فاغتم المسلمون غما فأوحى إلى محمد بوساطة جبريل الذي كان يتصل به يوميا من آيات تسوغ له ذلك وانقلب الانتقاد إلى سكون ".

وأثار هذه القضية نفسها كارل بروكلمان وكذلك جرجي زيدان وكثير من المستشرقين وعدد من الباحثين العرب المعاصرين.

وهذه الروايات باطلة جملة وتفصيلا لا تليق بمن قال الله عنه: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم) {القلم: 4 }.

لذلك لم يقبل بهذه الروايات عدد من المفسرين من بينهم ابن كثير رحمه الله إذ يقول: ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا آثارا عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها ".

ويقول محمد الغزالي في كتابه فقه السيرة: " على أن الغريب في هذه القصة ما أدخله المغفلون عليها من دسائس الشهوة ومظاهر الحب الرخيص فقد زعموا أن الرسول ﷺ أحب زينب ثم كتم هذا الحب ثم أظهره بعد حين فتزوجها بعد أن امر زيدا بتطليقها[1].

يذكر ابن كثير في تفسيره أن زينب بقيت عند زيد زهاء سنة[2] ثم طلقها، وقد تزوجها الرسول ﷺ وعمرها (38) سنة، وهذا يعني أن الرسول ﷺ زوج زينب من زيد وقد تجاوزت سن الثلاثين. وقد كانت رضي الله عنها بنت عمته فأمها أميمة بنت عبد المطلب، وكان يعرفها شابة بالغة وكان يشاهدها منذ طفولتها حتى صارت كهلة فلو كان في قلبه أو نفسه ﷺ شيء تجاهها، لتزوجها هو ولما قام بتزويجها لزيد ولما أجبرها على ذلك، ولآثرها لنفسه مع العلم أن زينب رضي الله عنها كانت قد رفضت في البدء الزواج من زيد وأبدت حبها ورغبتها في الزواج من محمد ﷺ.

وإذا كان المستشرقون قد أعجبتهم روايات المفسرين المسلمين لأنها توافق هواهم ونياتهم الخبيثة، فإن الله قد هيأ من بني جنسهم ممن هو أعلم منهم وأشهر منهم يرد عليهم وعلى تلك الروايات التي أشاعها المفسرون المسلمون. وأعد هذا في نظري من المعجزات النبوية كيف أن الله سبحانه يُسَخِّرُ من أعداء الإسلام من يرد لا على خبث الأعداء فحسب بل على أوهام علمائنا أيضا، انتصارا لهذا الدين أو لنبي هذا الدين فاسمع أخي القارئ ما يقوله قس غير مسلم وغير عربي في هذه القضية.

(1) بحث للدكتور رياض هاشم استاذ مساعد في السيرة النبوية.

(2) تفسير إبن كثير.

فبين يدي كتاب (محمد في المدينة) تأليف المستشرق مـــونتكمري واط ترجمة شعبان بركات، وهو من كبار الأساتذة الجامعيين الأوربيين.

يعرض هذا المستشرق في البدء ما أشاعه عدد من العلماء المســـلمين القدامى كالطبري والذين اتبعوهم من المستشرقين يعرض رواياتهم حـــول مسألة تعدد زوجاته ولا سيما علاقته بزينب فيقول ما نصـــه: ((أخـــذوا ينمقون القصص حول علاقاته بالنساء أو حبه من النظرة الأولى لزينـــب)) "[1].

فعبارته (ينمقون القصص) تكاد تنطبق على أقوالهم بدقة، فهي تعني أنهم لم يختلقوا هذه الروايات الباطلة فحسب بل نمقوها بكلام مرتب رتبوا مقدماتها ونتائجها.

لذلك نرى هذا المستشرق يترك أقوال علمائنا والمفسرين القـــدامى ويترك كذلك أقوال المستشرقين ويستند لبيان حقيقة زواج الرسول ﷺ من زينب إلى القرآن الكريم، فيذكر أن معاصري محمد ويعني بهم صحابته رضي الله عنهم ما كانوا ينتقدون هذا الزواج ولكنهم كانوا ينتقدونه أنه كيـــف يجوز للرسول ﷺ أن يتزوج امرأة زيد وزيد هذا كان الرسول قد تبناه فكان من عادة العرب في الجاهلية تحريم الزواج من امرأة المُتَبَنَّى. لأنهـــم كـــانوا يعـــدون المتبنى كالابن الحقيقي.

فمن أجل إبطال هذه العادة أمر الله رسوله الزواج من زينب فيقول مـــــــــــــــــــــا نصـــــــــــــــــــــــــه:
((وكانت هذه النظرة تستوحي المبدأ القديم القائل بأن الولد الربيب المتـــبنى

([1]) محمد في المدينة/ مونتكمري واط، ص502.

كالابن الحقيقي... غير أن تفسير آيات القرآن المذكورة هو أنه لا يجب عد الولد الربيب المتبنى كالابن الحقيقي ولهذا فإنه يستحسن التخلي التام عن النظريات القديمة. وينم القرآن عن أن محمدا في أول الأمر كان لا يريد الزواج من زينب لأنه كان يخشى استهجان الرأي العام ثم رأى ان هذا الزواج واجب يفرضه الله عليه.. فقد دلل زواجه من زينب للمؤمنين أنه لا مانع للزواج من زوجة الولد المتبنى المطلقة وكان من أهداف محمد في عقد هذا الزواج أن يقضي على سيطرة هذا الوهم القديم على سلوك الناس))"[1].

وما ذكره مذكور في نص القرآن يأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

ويذكر هذا المستشرق في صفحة أخرى عن أن زواج الرسول ﷺ من زينب كان لهذا السبب وسبب آخر هو أن زينب بنت جحش كانت تنتمي لقبيلة موالية لقبيلة عبد شمس المكية وهي قبيلة كبيرة ولها مكانتها في ذلك الوقت، فكان زواجه منها غايته أيضا تقوية علاقاته مع هذه القبيلة إذ يقول ما نصه ((أما زواجها (يعني زواج زينب) من محمد فيمكن أن يكون العامل الاجتماعي قد تغلب على العامل السياسي إذ أراد أن يبرهن على أنه قطع كل علاقة بالمحرمات القديمة ومع ذلك فإنه كان يفكر بقبيلة عبد شمس))[2].

ويذكر سببا ثالثا هو أن زواج الرسول ﷺ من زينب كان لغرض سياسي أيضا ذلك أن أهل قبيلة زينب كانوا حلفاء والد أبي سفيان وكان زواجه من زينب قبل زواجه من بنت أبي سفيان وكان أبو سفيان يقود

---

(1) المصدر نفسه، ص502-503.

(2) المصدر نفسه، ص439-440.

حملة عسكرية كبيرة ضد الرسول ﷺ[1] فأراد الرسول ﷺ بزواجه من زينب أن يمتص إلى حد ما عداوة أبي سفيان له.

ويذكر سببا رابعا فيقول ما نصه: " ربما أدرك محمد أن زينب مَلَّتْ زيدا وليس هناك من رجل يليق بأن يصبح زوجا لها إلا هو "[2].

ويقول أخيرا ما نصه: ((وبالرغم من القصص العاطفية من البعيد أن يكون محمد قد أُسر بمفاتن زينب الجسدية... ولكن زينب حين تزوجت محمدا كانت في الخامسة والثلاثين من عمرها، وهي سن متقدمة بالنسبة للعربية...))[3].

فهو بكلامه الأخير هذا ينفي بصفة مطلقة أن يكون الدافع إلى زواجه منها حبه لها.

فقصة هذا الزواج كما يوجزها الأستاذ محمود محمد غريب الموجه الديني لشباب جامعة القاهرة، هي كالآتي:

كان زيد رضي الله عنه عبدا عند خديجة رضي الله عنها، فلما تزوجها رسول الله ﷺ صار عند الرسول عليه الصلاة والسلام يقوم بخدمته.

جاء أبوه إلى النبي يطالبه بأن يعتق ابنه زيدا ويعيده إليه، ففعل ذلك إلا أن زيدا أبى أن يعود إلى أبيه وآثر البقاء عند محمد ﷺ إذ لم يجد أحدا خيرا منه في رحمته وحنانه وحسن معاشرته وأخلاقه فلما رأى أبوه منه ذلك تبرأ منه أمام الملأ ونادى: أيا معشر قريش: اشهدوا أن زيدا ليس ابني، فأراد رسول الله ﷺ أن يجبر خاطر زيد فنادى في المقام نفسه، يا معشر قريش

---

(1) المصدر نفسه، ص504-505.

(2) المصدر نفسه 505.

(3) المصدر نفسه، ص505-506.

اشهدوا أن زيدا ابني، ومنذ ذلك الحين أخذ الناس يسمونه: زيد بن محمد، فقد تبناه عليه الصلاة والسلام ثم عزم أن يزوجه فاختار له بنت عمته زينب بنت جحش، وكان عليه الصلاة والسلام يرمي من وراء ذلك تحطيم القيود التي وضعتها الجاهلية على العبيد إذ كانوا يمنعون أن يزوجوا العبد من السيدة الحرة.

رفضت السيدة زينب في بادئ الأمر أن تتزوج زيدا الذي كان عبدا كذلك رفض أخوها هذا الزواج لكن السماء قالت كلمتها في هذا الموضوع فلا اختيار في أمر الله. قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُّبِينًا){الأحزاب: 36}

وأطاعت زينب أمر السماء وسلمت جسدها لزيد، أما قلبها فلا سلطان لها عليه، وكان لا بد لهذا الزواج من أن ينجب المشاكل، ويذهب زيد إلى النبي ويشتكي، ويطيب النبي ﷺ خاطره ويتألم له، لأنه كان يتمنى نجاح التجربة ولكن الوحي أخبر النبي ﷺ أن زينب ستصبح زوجة له بعد أن يطلقها زيد وفزع النبي عليه الصلاة والسلام من هذا الخبر، لأنه سيفتح عليه أفواه المنافقين.

إنه كيف جاز له أن يتزوج ابنة متبناه وكان من عادة العرب في الجاهلية تحريم هذا الزواج لأنهم كانوا يعدون المتبنى كالابن الحقيقي فأراد الله إبطال هذه العادة الجاهلية، لذلك كتم الرسول ﷺ خبر الوحي راجيا أن يعفيه الله من هذا الزواج، في هذه اللحظات جاء زيد إلى النبي ﷺ يخبره بعزمه على طلاق زينب، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: أمسك عليك زوجك واتق الله فنزل قوله تعالى: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ

وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا){الأحزاب: 37}

والمعنى: إذ تقول يا محمد لزيد الذي أنعم الله عليه بنعمة الإسلام، وانعمت عليه بنعمة العتق: أمسك عليك زوجتك، فلا تطلقها، واتق الله، لأن الطلاق أبغض الحلال وتخفي في نفسك الشئ الذي سيظهره الله وهو أنك تخفي أن زينب ستصبح زوجة لك بعد طلاقها من زيد كما أخبرك الوحي وتخشى الناس وحديثهم بأنك تزوجْتَ مطلقة ابنك بالتبني وقد كان هذا محرما في الجاهلية والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطرا أي: بعد أن طلقها زيد وانقضت عدتها زوجناك منها[1].

فزواج زينب من زيد ثم طلاقها منه وزواج الرسول عليه الصلاة والسلام منها هذا كله تدبير من الله جل وعلا ليبطل الله بالعمل لا بالقول قانونا جاهليا يقضي بتحريم زواج الرجل من امرأة ابنه بالتبني ليبين الله سبحانه أن المتبنى لا يكون ابنا حقيقة بأي حال من الأحوال؛ لهذا يجوز للمتبني أن يتزوج امرأة من تبناه بعد ان يطلقها.

فهذا الزواج كان لسبب تشريعي وكان أيضا لسبب إنساني لأن زينب رضي الله عنها لم تكن راضية بزواجها من زيد رضي الله عنه إلا أنها قبلت به بالحاح من الرسول ﷺ فاستحياؤها من الرسول ﷺ وإكراما له قبلت بهذا الزواج، وقد رأى عليه الصلاة والسلام أنه هو الذي يتحمل نتيجة سوء

---

(1) زواج النبي ﷺ.

العلاقة بينها وبين زيد التي أدت بالنهاية إلى الفراق بينهما، فتزوجها مواساة لها رضي الله عنها.

وأبعد من هذا كله كيف يتسنى لمؤرخ أو لمفسر أو لمستشرق أن يزعم أن محمدا رأى زينب فأعجب بجمالها فأمر زيدا ليطلقها من أجل أن يتزوجها، كيف وهذا الزواج قد فرضه الله على نبيه محمد ﷺ بدون اختيار منه، وباعتراف المفسرين جميعهم بصريح قوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) وكلمة (زَوَّجْنَاكَهَا) واضح منها أن فاعل هذا الزواج هو الله سبحانه، لذلك كانت زينب رضي الله عنها تفخر على نساء النبي جميعهن بهذه الآية وتقول: " كلكن تزوجتن في الأرض أما أنا فزوجتني السماء.

ومثل هذه الأحاديث يوردها الطبري نفسه والذين قالوا ما قالوا يقول القرطبي في تفسيره" ولهذا كانت زينب تفاخر نساء النبي ﷺ وتقول: زوجكن آباؤكن وزوجني الله تعالى " رواه النسائي وتقول: إن الله عز وجل أنكحني من السماء.

ويقول ابن كثير في تفسيره: " وقد روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات، 000 وعن محمد بن عبد الله بن جحش قال: تفاخرت زينب وعائشة رضي الله عنهما فقالت زينب رضي الله عنها: أنا التي نزل تزويجي من السماء، وقالت عائشة رضي الله عنها انا التي نزل عذري من السماء. فاعترفت لها زينب رضي الله عنها. وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبي قال: كانت زينب رضي الله عنها تقول للنبي

ﷺ إني لأدلي عليك بثلاث، ما من نسائك امرأة تدلي بهن: إن جدي وجدك واحد وتعني بذلك عبد المطلب وإني أنكحنيكَ الله عز وجل من السماء، وأن السفير جبريل عليه الصلاة والسلام.

وقوله تعالى: ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ {الأحزاب: ٣٧} أي: إنما أبحنا لك أن تتزوجها وفعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء وذلك أن رسول الله ﷺ كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة رضي الله عنه فكان يقال: زيد بن محمد، فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ {4} ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ {الأحزاب:4- ٥} ثم زاد ذلك بيانا وتأكيدا بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها لما طلقها زيد بن حارثة رضي الله عنه. ولهذا قال تعالى في آية التحريم: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا {23النساء: ٢٣] قال: {وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾ ليحترز من الابن الدعي (المتبنى) فإن ذلك

كثير فيهم. وقوله تعالى : (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) أي: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قرره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة.

وقوله تعالى: (مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ){الأحزاب: ٣٨} أي فيما أحل له وأمره به من تزوج زينب رضي الله عنها التي طلقها دعيه (متبناه) زيد بن حارثة ﷺ وقوله تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) {الأحزاب: ٦٢ } أي: هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشئ وعليهم في ذلك حرج رد على من توهم من المنافقين نقصا في تزوجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذي قد تبناه "[1].

([1]) تفسير ابن كثير.

تعدد زوجاته ﷺ

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم إنا نسألك علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا طيبا.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عمن سواك.

حدد القرآن الكريم الزوجات في قوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ){النساء: 3}.

نزلت هذه الآية في السنة الثانية للهجرة، وكان تعدد الزوجات قبل ذلك مباحا بلا حدود، فالرسول ﷺ تزوج نساءه جميعهن قبل نزول هذه الآية فهو لم يخالف قرآنا نزل عليه و لم يعط نفسه من الحقوق ما حرم على أمته.

لكن لِمَ لَمْ يأمر الله سبحانه نبيه محمدا ﷺ أن يطلق بقية زوجاته؟

أي امرأة تطلق من زوجها لها الحق أن تتزوج من رجل آخر أما زوجات النبي فلو طلقت واحدة منهن فإنها لا تحل لرجل آخر ذلك أن نساء النبي ﷺ هن أمهات المؤمنين قال تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) {الأحزاب: 6 } وقال تعالى: (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا) {الأحزاب: 53 }.

كان عدد نساء النبي قبل وفاته ﷺ تسع نساء، وتعدد الزوجات لم يكن بدعة ابتدعها رسول الله ﷺ من دون الأنبياء، فابراهيم أبو الأنبياء مثلا

كانت عنده امرأتان في وقت واحد، وداود عليه السلام كانت عنده مئة زوجة وسليمان ألف زوجة كما يذكر ذلك الكتاب المقدس الذي يضم التوراة والأناجيل والأربعة،ومع ذلك فإنه لم يتزوجهن للمتعة بل كان لأغراض تتطلبها مهمة النبوة ويمكن أن نجملها فيما يأتي:

1-الغرض التشريعي

أن الرسول ﷺ تزوج من زينب بنت جحش لإبطال عادة التبني عند العرب ولإبطال ما حرمه أهل الجاهلية، وقد كان هذا الزواج بتدبير من الله سبحانه وبأمر منه جل وعلا.

2-الغرض الإنساني

يتجلى في هذا الغرض الجانب الإنساني للرسول ﷺ وحرصه على مواساة أرامل الشهداء الذين جادوا بأرواحهم من أجل دعوته وتركوا أرامل عجائز لا يقدرون على عيال أنفسهم وأولادهن اليتامى ـــ فقد تزوج مثلا أم سلمة واسمها هند بنت أمية المخزومي واسم أبي أمية سهيل. وقد كانت من اوائل المهاجرين إلى الحبشة، وقد تزوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد، ولما أراد أبو سلمة الهجرة الى المدينة تلبية لأمر الرسول ﷺ أخذ معه زوجته أم سلمة وابنهما سلمة فلما رآه رجال من بني المغيرة وهم قوم أم سلمة وكانوا من المشركين. فكرهوا أن تهاجر مع زوجها فأخذوها منه كرها مع ابنها، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد. وهم قوم أبي سلمة. وقالوا: والله لا نترك ابننا سلمة عندها إذ نزعتموها من صاحبنا فتجاذبوا سلمة بينهم حتى خلعوا يده، فأصبحت أم سلمة عند قومها بني المغيرة وأصبح ابنها عند بني عبد الأسد قوم زوجها. أما زوجها أبو سلمة فقد هاجر وحده دونهما إلى المدينة وبقيت أم سلمة رضي الله عنها سنة كاملة

تخرج إلى الأبطح وتبكي كل يوم زوجها وابنها حتى رق لها قومها بنو المغيرة وقالوا لها: الحقي بزوجك إن شئت عند ذاك رد بنو عبد الأسد إليها إبنها سلمة وخرجت مهاجرة إلى المدينة وكانت من قبل قد هاجرت إلى الحبشة وشاركت مع رسول الله ﷺ في معركة بدر وأحد وجرح زوجها في معركة أحد فمات على أثر الجرح، شهيدا وترك أبو سلمة زوجته وهي كهلة مسنة ليس لها من يرعاها وقد عرض عليها الزواج فرفضت لأنه كانت ترى أنه لا أحد خيرا لها من زوجها الذي أستشهد، ولما ذهب إليها رسول الله ﷺ يريد أن يواسيها قال لها: سلي الله أن يؤجرك مصيبتك وأن يخلفك خيرا منه، فقالت: من يكون خيرا من أبي سلمة يا رسول الله!

فلما خطبها رسول الله ﷺ لنفسه رضيت به لأنه لم تجد خيرا من أبي سلمة إلا رسول الله ﷺ.

فهذه المرأة ألا تستحق أن يواسيها رسول الله ﷺ وأن يشرفها ويكرمها بزواجه منها؟

وتزوج سودة بنت زمعة، وكانت امرأة متقدمة في السن ليس لها جمال ولا أموال ولا من ذوات الجاه، قالت هي عن نفسها: والله ما بي من حاجة إلى الرجال، ولكن أحببت أن أبعث يوم القيامة مع زوجات النبي ﷺ، وسبب زواجه منها أنه عُرض عليه حالها ومحنتها، فقد كانت رضي الله عنها عند السكران بن عمرو العامري، وكانت هي وزوجها من أوائل المؤمنين المصدقين بدعوة الرسول ﷺ وقد هاجرا معا إلى الحبشة وبعد أن عادا إلى مكة توفي زوجها بعد وصوله إليها بأيام، وبقيت سودة وحيدة تخشى العودة إلى أهلها خوفا من بطش أبيها المشرك، والمسلمون في مكة ضعفاء لا يقدرون على حمايتها فأدرك عليه الصلاة والسلام أنه لا ينبغي أن

يترك هذه المسلمة لمحنتها ليزداد ألمها وحزنها، فتزوجها إنقاذا لها من أهـوال الوحدة، وبطش الكفار بها وخوفا عليها من أن ترتد عن الإسلام.

وزينب بنت خزيمة بن الحارث أصيب زوجها يوم بـدر ومـات، فواساها الرسول ﷺ بالزواج منها وكانت تسمى أم المسـاكين وتوفيـت رضي الله عنها بعد ثمانية أشهر وعمرها يزيد على الخمسين.

3-الغرض السياسي:

فقد تزوج حفصة بنت عمر رضي الله عنهما، بعد أن مات زوجهـا خنيس بن حذافة في إحدى المعارك عرضها أبوها عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما فاعتذرا له من زواجها، علم النبي ﷺ بما أصاب عمر رضي الله عنه من غم عندما رفض أبو بكر وعثمان هذا الزواج، فقـدم النبي ﷺ على زواجـها، ولم تكـن ذات جمال، وقد تزوجها الرسول ﷺ تكريما لعمر، وقد كان عمر رضي الله عنه يقـول لابنته عندما كانت تشتكي مـن عيشة التقشف التي عاشتها معه: والله ان النبي لا يحبك يا حفصة، لولا أنـا لطلقك.

ويحاول قادة الأمم في العصر الحديث أن يرتبطوا مع وزرائهم برباط المصاهرة، لذلك تزوج الرسول ﷺ بنت أبي بكـر رضي الله عنه وزيـره الأول، ثم بحفصة بنت عمر رضي الله عنه وزيره الثاني، ولهذا السبب زوج ابنتيه لعثمان رضي الله عنه.

وتزوج جويرية بنت الحارث، وكان ابوها سيد بني المصطلق أعلـن الحرب على الإسلام ولكن سرعان ما خاب أمله وانهزم جيشه وفر رجالـه وأُسرت نساؤه، ووقعت السيدة جويرية أسيرة عند زيد بن قيس وأصـاب بنت العز من الذل ما أصابها فذهبت إلى بيت النبي ﷺ تسـتجدي عطفـه

بقولها: يا رسول الله أنا بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما قد تعلم، وإني استعين بك لتخلصني من الأسر فإن مثلي لا تصلح أن تعامل معاملة العبيد، وهنا رآى النبي ﷺ أن يعبر عن كرمه النبيل مع بنت زعيم أعدائه، فأعتقها ثم رفع عنها ذل الوحدة فعرض عليها بأن تصبح من زوجاته أمهات المؤمنين فأسرعت إلى تلبية طلبه فكان لهذا الزواج أثر مبارك على كل بني المصطلق ذلك أن أسراهم قد أصبحوا أصهار النبي ﷺ فهرع كل منهم إلى بيت النبي ﷺ يعلن إسلامه اعترافا بالجميل فأسلم بنو المصطلق جميعهم.

ولهذا الغرض تزوج ميمونة بنت الحارث، وكانت قبيلتها من القبائل ذات المكانة المرجوة في جزيرة العرب، فهي من بني عامر بن صعصعة.

وتزوج أم حبيبة، وهي زينب بنت أبي سفيان زعيم الشرك في مكة، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة فرارا بدينها الإسلام، فتن هناك زوجها بالنصرانية، فتنصر وهجر الإسلام فطلقها، علم النبي ﷺ بما أصاب المسكينة في غربتها، فأرسل إلى ملك الحبشة فأعطاها مهرها وعقد عليها النبي ﷺ.

فهذا الزواج بقدر ما فيه من الرأفة، فهو أيضا تخطيط بعيد لامتصاص ما في نفس أبي سفيان من حقد حيث هاجرت بنته إلى الحبشة بسبب اتباعها لمحمد ﷺ، فزاد أبو سفيان من كرهه له وللإسلام، ولقد كان لهذا الزواج من الأثر الطيب ما جعل أبا سفيان يدخل في الإسلام ويفتح مكة أمام دعوته الكريمة.

فقد كان هذا الزواج تأليفا لِقَلْبِ أبي سفيان ولقلوب عشيرتها وهي عشيرة عبد شمس التي كانت تعد أوسع عشائر مكة وأغناها وقد كان أيضا تكريما لامرأة ضحت بأبيها وزوجها من أجل الإسلام.

فقد خرج أبو سفيان يريد المدينة، وذكر أن له ابنة هناك في بيت خصمه فتسلل إليه يستعين بها على ما جاء من أجله، وفوجئت أم المؤمنين بأبيها يدخل بيتها و لم تكن قد رأته منذ أن هاجرت إلى الحبشة فوقفت تجاهه متحيرة لا تدري ماذا تفعل وماذا تقول:

وأدرك أبو سفيان ما تعانيه ابنته فأعفاها من أن تأذن له بالجلوس، وتقدم من تلقاء نفسه ليجلس على الفراش فما راعه إلا أن وثبت عليه ابنته فاختطفت الفراش وطوته، فسألها أبوها: أطوتيه يا بُنَيَّةَ رغبةً بي عن الفراش أم رغبةً بالفراش عني؟ فأجابته هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك، فلم أحب أن تجلس عليه.

فقال والحسرة تقطع قلبه: لقد أصابك يا بنيتي بعدي شرا وانصرف عنها غاضبا.

فهذه المرأة ألا تستحق أن يكرمها رسول الله ﷺ بزواجه منها؟ ألا تستحق أن يجعلها من أمهات المؤمنين؟.

وتزوج صفية بنت حيي، وكان زوجها ملك اليهود كنانة بن الربيع، ينتهي نسبها إلى هرون الرشيد عليه السلام، فحياة الرق لا تصلح لزوجات الملوك، فتزوجها إكراما لهرون عليه السلام وتأليفا لقلوب اليهود، وكذلك تزوج مارية القبطية النصرانية التي أهداها إليه ملك مصر تأليفا لقلوب النصارى.

فزواج الرسول ﷺ لم يكن لتحقيق أغراض آنية عاجلة فحسب، بل كان ﷺ يرمـــــي من وراء زواجه أيضا تحقيق أغراض تمتد إلى قيام الساعة إلى كل عصر وأرض يعيش فيها يهود ومسلمون، فالإسلام رسالة خالـــدة ولكل زمان ومكان وقد ثبت أنه قد يكون للمصاهرة أثر في تأليف قلوب الأجيال اللاحقة أحيانا. كما كان لها أثر في تأليف قلوب الأجيال المعاصرة لحياته عليه الصلاة والسلام، و لم تزل إلى عصرنا هذا تعلـــن شخصـــيات يهودية ومسيحية إسلامها، ومما لا شك فيه أن الذي دفعهم إلى الإســـلام فهمهم لمعاني القرآن وتأثرهم بسيرة الرسول ﷺ وقد كان زواجه يمثل أهم جوانب سيرته عليه الصلاة والسلام.

فقد كان الرسول ﷺ يبغي من زواجه من كل امــرأة تزوجهـــا أن يستميل قومها إليه وإلى الإسلام، وقد حقق هذا الزواج هذا المبتغى.

ففي هذا الزواج الذي كان لغرض سياسي تتجلى حكمة الرسول ﷺ فقد استطاع من خلاله أن يصل إلى قلوب زعماء الشرك وأن يصـــاهرهم فيصهر ما في قلوبهم من حقد على الإسلام، وقد نجح هذا الزواج نجاحـــا كبيرا وبخاصة مع الذين حاربوا الإسلام مثل أبي سفيان بن حـــرب زعـــيم المشركين، والحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق اللذين تزوج الرســـول ﷺ من ابنتيهما.

فقد فعل هذا الزواج ما لم تفعله المعارك من تحطيم للحواجز وانتصار للإسلام.

فقد تزوج الرسول ﷺ بعدة نساء إلا أنه عليه الصـــلاة والســـلام لم يتزوج واحدة منهن حبا في جمالها أو سعيا وراء متاع الدنيا، وإنما تزوجهن بأمر من الله ولتوطيد أركان الإسلام ونشر الدعوة.

فقد تزوج خديجة رضي الله عنها وعمرها أربعون سنة، وكان عمره خمسا وعشرين سنة، وقد كانت كل نساء مكة وقتئذ تهواه وتتمناه. فقد كان أجمل شباب مكة وأعلاهم نسبا وأسماهم خلقا، حتى كن يعرضن أنفسهن عليه إلا أنه لم يرض إلا بخديجة رضي الله عنها لحسن أخلاقها حتى كانت تلقب بالطاهرة. وكان الرسول ﷺ يلقب بالصادق الأمين. وبقي معها رضي الله عنها أكثر من عشرين سنة لم يتزوج عليها، ولو بقيت لما تزوج غيرها. إلا أن مشيئة الله أرادت أن تتوفى ليتزوج بعدها، ولو لم يتزوج بعدة نساء لضاع منا نصف الإسلام، ولجهلنا نصف تعاليم هذا الدين وهذه حقيقة لا مراء فيها فالله سبحانه حين أرسل محمدا ﷺ أرسله للناس كافة ومن أحكام الشريعة ما يكون مشتركا بين الرجال والنساء، ومنها ما يكون مختصا بالنساء دون الرجال وهي كثيرة ويجد الرجال حرجا في إيضاحها للنساء، بل رسول الله ﷺ كان يجد حرجا في تبيين قسم من الأحكام الخاصة بالنساء، ولا سيما الأحكام المتعلقة بالغسل والطهارة والحيض والنفاس، فكان لا يستطيع تبليغها إلى النساء بصفة واضحة إلا عن طريق نسائه.

ولما كانت الأحكام الشرعية المتعلقة بالنساء كثيرة ومتعددة الجوانب فإن امرأة واحدة لا يمكنها أن تقوم بهذه المهمة بل لا يستطيع تبيان هذه الأحكام لتشعبها إلا عدد من النساء من قبائل متعددة لتنقل أحكام الشريعة بين نساء قبائلها لتنتشر تلك الأحكام من قبلهن إلى العالم شرقا وغربا.

بل نساؤه ﷺ لم يقتصرن على نشر الأحكام المتعلقة بالنساء، بل نشرت كل منهن بين أفراد قومها سيرته واخلاقه وأحاديثه وما كان يأمر به

وينهى عنه فقد ذكرن للناس جوانب كثيرة من حياته الاجتماعية، إذ كان نساؤه أقرب الناس إليه وأعرف بحياته من غيرهن.

فالرسول ﷺ لو كان زواجه حبا في متاع النساء ومن اجل الدنيا لعاش كما عاش الملوك ولهيأ لزوجاته أن يعشن كما تعيش نساء الملوك، فقد اشتاق نساء النبي ﷺ إلى العيش اللين والكساء الناعم كغيرهن من نساء المؤمنات، وحصل أن تظاهرن وطالبنه بالعيش الرغيد ليظهرن دلالهن، وكان الطلب عادلا وسهل التحقيق، فلو أراد النبي ﷺ لعاش أغنى الناس أو في الأقل لعاش كما عاش أي ملك كان في الدنيا وقد كان الصحابة مع ذلك رضي الله عنهم مستعدين جميعهم أتم الاستعداد أن يلبوا له أي طلب كان يطلبه،وأن يفدوه بكل ما يملكون من مال ونفيس، بل الرسول ﷺ كان رئيس دولة وقد أصبحت كل أموال الدول بين يديه وكان بإمكانه أن يعيش هو وزوجاته عيشة المترفين المرفهين، إلا أن الرسول ﷺ رفض طلبهن واعتزلهن شهرا قضاه بالمسجد ثم خيرهن القرآن الكريم بين أمرين إما الرضا بعيش الكفاف مع الصبر وإما الطلاق، ذلك أن متعة العيش وإن كانت حلالا إلا أنها تشغل عن الرسالة وفي ذلك يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا {28} وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الأخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) {الأحزاب: 28 -29}.

ولكن سرعان ما عاد نساء النبي ﷺ إلى رشدهن واخترن الله ورسوله راضيات بعيش الكفاف في بيت النبوة.

إنه عليه الصلاة والسلام لو كانت غايته من زواجه من نسائه غريزيا ودنيويا لأغدق عليهن كل أسباب النعمة ووسائل الترفيه ولألبسهن الحرير والذهب، إلا أنه ﷺ طلب منهن أن يعشن مثله راضيات بحياة الزهد؛ لأن زواجه منهن كان زواج رسالة لا زواج متعة وعبث.

والزواج وتعدد الزوجات من سنن الرسل والأنبياء، فأبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام تزوج بامرأتين هاجر وساره وكذلك يعقوب عليه السلام كان عنده امرأتان جاءه من الأولى عشرة أولاد ومن الثانية يوسف وبنيامين.

بل الكتاب المقدس الذي يضم التوراة والأناجيل يخبرنا بأن النبي داود كان عنده تسع وتسعون زوجة وأن النبي سليمان تزوج بثلاثمائة امرأة من النساء الحرائر وتسعمائة من النساء الإماء، واليهود والنصارى يؤمنون على حد سواء بهذين النبيين ويؤمنون بنبوتهما ولكن مع ذلك لا يثيرون على تعدد زوجاتهما إلى هذا الحد أي اعتراض كان بل يعدونه مسألة اعتيادية، إلا أنهم يطعنون في شخص الرسول محمد ﷺ لأنه كان عنده وقت وفاته تسع نساء وليس في الدنيا رجل، أعف منه نفسا وأخلاقا.

ودلائل عفة الرسول ﷺ كثيرة، فمن دلائل عفته انه عاش في الجاهلية أربعين عاما بين قوم يتعاطون أنواع المعاصي وشتى طرق الزنى، إلا أن كتب السيرة تجمع على أنه لم يرتكب في هذه الفترة ومنذ طفولته بأية معصية كانت، وبأي نوع من أنواع الزنى.

وقد تزوج خديجة رضي الله عنها وعمرها أربعون عاما وعمره ﷺ خمسة وعشرون عاما. ولم يفكر في الزواج عليها حتى توفيت بعد أن بقيت معه 23 عاما وبعد أن تجاوز عمره الثلاثة والخمسين.

ولو كانت غايته الدنيا ونساءها لجعل نساءه يَعِشْنَ معه عيشة الباذخات المترفات كما هو حال كل ملوك الدنيا في كل زمان ومكان إلا أنه آثر أن يعيش وزوجاته عيشة التقشف والزهد حتى ثارت عليه نساؤه يطلبن منه أن يعشن كما تعيش نساء الملوك فرفض طلبهن وخيرهن بين أن يعشن معه كما يعيش هو أو يطلقهن جميعا، وكان بإمكانه أن يعيش أغنى رجل وأترف رجل فقد كان رئيس دولة وكان صحابته رضي الله عنهم مستعدين أن يقدموا له لو أراد كل غال ونفيس.

وبعد بعثته ﷺ فرض الله عليه قيام الليل كل يوم فكان يقضي ثلث الليل أو نصفه أو ثلثيه بالصلاة والتهجد وكان يطيل قيامه حتى تتورم قدماه، فهكذا كان يقضي ليله، أما نهاره فكان يقضيه بالدعوة إلى الله والإعداد لتربية الرجال وإقامة دولة الإسلام.

أهذه حياة رجل متع نفسه بالدنيا والنساء أم هي حياة رجل شغل عمره كله ليله ونهاره بالجهاد وطاعة الله؟

لقد استغل المستشرقون قضية زواجه ﷺ للطعن بالإسلام ونبي الإسلام، وكما قلنا من قبل أنَّ من سنة الله أن يسخر من أعداء هذا الدين من يرد على زملائه، فها هو المؤرخ الغربي الذي مر ذكره، المستشرق مونتكمري واط، درس حياة الرسول ﷺ وتطرق إلى مسائل زواجه بالتفصيل يقول في خاتمة دراسته عن محمد ﷺ ما نصه ((كلما فكرنا في تاريخ محمد وتاريخ أوائل الإسلام تملكنا الذهول أمام عظمة هذا العمل... غير أن الرجل (يعني به محمدا ﷺ) كان على مستوى الظروف تماما فلو لم يكن نبيا ورجل دولة وإدارة ولو لم يضع ثقته بالله ويقتنع بشكل ثابت ان الله أرسله

لما كتب فصلا مهما من تاريخ الإنسانية، ولي امل أن هذه الدراسة عن حياة محمد يمكنها ان تساعد على إثارة الاهتمام من جديد برجل هو من اعظم رجال أبناء آدم))"[1].

فهذه شهادة مؤرخ أوربي مشهور غير مسلم لم تكن له أية مصلحة من وراء إدلائه بهذه الشهادة سوى ذكر الحقيقة التي توصل إليها بعد دراسة تفصيلية لحياة الرسول ﷺ السياسية والاجتماعية.

اللهم انصر هذا الدين إلى يوم الدين، ورد عنه كيد الكائدين وأنعم علينا بأن نكون من أنصار شرعك والدعاة إلى دينك حتى يأتينا اليقين.

اللهم اجعل من جعلته سيد بني آدم يوم القيامة قائدنا وقدوتنا في الدنيا واحشرنا تحت لوائه يوم الدين اللهم آمين.

---

(1) محمد في المدينة، مونتكمري واط، ترجمة شعبان بركات، ص512.

(للذكرمثل حظ الأنثيين)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

يزعم الغربيون وعملاؤهم الذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ان الإسلام فرق بين المراة والرجل حين جعل للذكر مثل حظ الأنثيين في الإرث. وزعموا أن هذه التفرقة استندت إلى كون الإسلام قد عد المرأة نصف إنسان؛ لذلك جاء إرثها على النصف من حظ الرجل.

والحقيقة أن لإسلام حين جعل للذكر مثل حظ الأنثيين لم يكن مستندا إلى عد المرأة نصف الرجل في الإنسانية بدلالة أنه ساوى بينهما في الحالات الأخرى منها.

1-مساواة الأم للأب في السدس في حال وفاة ابن أو ابنة لهما مع وجود فرع وارث للميت قال تعالى:(وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ){النساء: 11].

2-وكذلك مساواة الجدة والجد في الحالة المشابهة.

3-إذا مات الرجل وليس له أبوان ولا أخوة ولا أولاد باقون على قيد الحياة وكان له أخ أو أخت من أم يأخذ كل منهما من أمواله السدس بدون تمييز بين أن يكون الأخ رجلا أو امرأة، وإذا كان أخوته من أمه اثنين فأكثر فإنهم يشتركون في ثلث أمواله ويقسم هذا الثلث بينهم بالتساوي بدون تمييز بين الذكور والإناث أيضا وهذا وارد في نص قوله تعالى: (وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوَاْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ){النساء: 12}

4-بل هناك حالات يكون نصيب الأنثى فيها أكثر من نصيب الذكر كما لو ماتت المرأة وتركت زوجها وامها واخوين شقيقين وأختها لأم، فإن للأخت للأم السدس كاملا وللذكرين الشقيقين السدس بينهما لكل واحد منهما نصف السدس.

5-وكذا لو ماتت المراة وتركت زوجها وأختها شقيقتها وأخا لأب فإن الزوج يأخذ النصف والأخت الشقيقة تأخذ النصف الباقي بعد الزوج والأخ لأب لا يرث شيئا لأنه عصبة لم يبق له شئ فلو كان مكانه أخت فلها السدس يعال لها به.

6-وعند ابن عباس ومن وافقه لو ماتت امرأة وتركت زوجا وأبوين فللزوج النصف وللأم الثلث وللأب السدس آخذا بظاهر قوله تعالى: (فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ){النساء: 11}

كانت قبائل من العرب تئد البنات وكانت العرب لا تورث النساء ولا الصبيان من أبناء الميت وإنما يورثون من يلاقي العدو ويقاتل في الحرب، فشرع الإسلام توريث المراة وبين حقوقها في الإرث زوجة كانت أم أما أم بنتا قال تعالى: (لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا){النساء: 7}.

وكانت العرب ترث النساء كرها وذلك بأن يجيء الوارث (الابن مثلا) فيلقي ثوبه على زوجة مورثه (زوجة أبيه مثلا) ثم يقول: ورثتها كما ورثت ماله فيكون أحق بها من نفسها فإن شاء تزوجها أو زوجها وأخذ مهرها. لنفسه أو حرم عليها الزواج طمعا في أن تفدي نفسها بمال تمنحه إياه جزاء إطلاق سراحها أو يتعمد بقاءها عنده حتى تموت فيرث أموالها.

فقد روى البخاري وأبو داود أنهم كانوا إذا مات الرجل وله زوجة ورثها من يرث ماله وقد يعضلها ويضيق عليها ويمنعها من الـــزواج حـــتى تفتدي منه بمال.

فلما جاء الإســـلام حـــرم ذلك كلـــه فقـــال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَـــا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا){النساء: 19}

وقوله تعالى: (ولا تعضلوهن): يعني: ولا تمنعوهن الزواج.

وكذلك كانت المرأة لا ترث شيئا عند الأمم قبل الإسلام فكانـــت مثلا لا ترث عند الصينيين واليابانيين بل لا يحق لها أن تملك شيئا من المـــال وهي لا ترث في اليهودية عند وجود أخوة لها من الذكور وكذلك كانت في النصرانية لا يحق لها ان تملك المال بصفة مستقلة.

وكان الميراث عند العرب قبل الإسلام وقفا على الابن الأكبر أمـــا البنات والصغار من الأولاد فكانوا لا يأخذون شيئا من الميراث وإذا مـــات الرجل و لم يترك إلا إناثا آل ميراثه كله إلى أعمامهن أما بناته وأمهن فـــلا يأخذن شيئا.

ولا يزال القانون الإسلامي سابقا كل الرسالات السماوية والقوانين الحديثة في إعطاء المرأة الحقوق المالية التي أعطاها للرجل، فالشريعة الإسلامية تساوي بين الذكر والأنثى في الولاية على المال والعقود من بيـــع وشـــراء وإيجار وشركة وقرض ورهن ووديعة وهبة ووصية ووصـــاية غيرهـــا وأن توكل فيها من شاءت وليس لأبيها أو زوجها عند الـــزواج أو غيرهمـــا أن يتدخلوا في ذلك.

وفي أغلب الدول الأوربية كانت تنتقل ملكية أملاك المرأة إلى زوجها عند الزواج حتى عام 1882م.

وكان القانون الفرنسي ينص أيضا على أن القاصرين الذين لا يحق لهم أن يمتلكوا حتى أموالهم الخاصة هم الصبي والمجنون والمرأة أي: أن المرأة لا تعطى شيئا من ميراث أبيها إذ تعد قاصرة فتعامل معاملة الصبي والمجنون واستمر ذلك حتى عام 1938م حيث عدلت نصوص القانون المذكور لمصلحة المرأة مع بقاء بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة وهذه القيود نصت عليها الجريدة الفرنسية التي نشرت في 20 فبراير من هذه السنة (1938) وهذه القيود هي:

1. تمنع المرأة من توقيع أذونات الصرف المالية(الشيكات).
2. تمنع من منحها حسابا جاريا في أي مصرف كان من المصارف.
3. تمنع من أن توقع أي عقد كان.
4. تمنع من استيلائها على الإرث مباشرة بدون إذن القاضي.

ورفعت هذه القيود أخيرا عام 1966م وحصلت بذلك المرأة الفرنسية لأول مرة على استقلالها الاقتصادي هذا الاستقلال الذي تمتعت به المرأة المسلمة منذ أربعة عشر قرنا.

فقد كانت المرأة لا ترث عند كل دين وأمة فلما جاء الإسلام جعل لها نصيبا في الميراث.

ولأن الإسلام جاء ليقيم العدل على أساس الحقوق والواجبات فقد جعل المراة ترث نصف ما يرث الرجل لكون الواجبات المالية كلها تقع في الإسلام على عاتق الرجل فنفقتها واجبة على أبيها أو ولي أمرها أو أقاربها مالم تتزوج وواجبة على الزوج بعد زواجها لا فرق في ذلك بين أن تكون

فقيرة لا تستطيع الإنفاق على نفسها أو غنية تستطيعه والمقصود بالنفقة هنا توفير ما تحتاج إليه الزوجة وأولادها من طعام وملبس ومسكن ودواء وخدمة، وهذه النفقة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع حتى جاز للزوجة أن تأخذ من زوجها بدون علمه إذا بخل عليها بالنفقة. روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن هند بنت عتبة قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح(بخيل) وليس يعطيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم. قال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف.

ونفقتها واجبة على بيت المال في الدولة الإسلامية إن لم يكن لها زوج أوعائل يعيلها.

فاستنادا إلى ميزان الحقوق والواجبات يكون الإسلام قد عدل في العطاء بين المرأة والرجل بل ليصح القول بأنه أعطاها أكثر مما أعطى للرجل والدليل على ذلك أن المال الذي يقبضه الزوج من الميراث ينفقه على أهله وعياله، أما ما تأخذه المرأة وإن بلغ نصف ما يأخذه أخوها الرجل سيبقى عندها لأنها غير مسؤولة عن أية نفقات مالية كانت، اللهم إلا إذا عمدت إلى تبذيره في حاجات غير ضرورية، لذلك تجد في نهاية المطاف أنه فائض عن حاجتها فتعمد إلى التصدق به إلى زوجها الأجنبي عن ميراث أبيها فتمنّ به عليه.

فالمساواة في العطاء بين أفراد أية جماعة لا تكون مساواة حقيقية بينهم إذا كانوا غير متساوين في التكاليف، إذ يجب أن تختلف الحقوق إذا اختلفت الواجبات وهذا قانون تعمل به كل دساتير الدنيا اليوم. فالدولة تعطي مثلا الموظف ذا العيال الأكثر مخصصات مالية أكثر.

على أن هذه النسبة تكون في المال الموروث بلا تعب فهو يقسم حسب أعدل قانون وصلت إليه البشرية وهو لكل حسب حاجته وتكاليفه، أما المال المكتسب فلا تفرقة فيه بين الرجل والمرأة لا في الأجر على العمل ولا في ربح التجارة ولا في حق التملك، في حين ما يزال النساء في أوربا حتى القرن العشرين يتظاهرن من أجل الحصول على هذه المساواة.

ليس غريبا أن نجد غربيين يطعنون في عدالة هذا الدين، ولكن من الغريب ومما يؤسف له أن نجد من كتاب العرب والمسلمين ممن فسدت فطرتهم من يطعن في الإسلام، هذا النفر الضال لا يضرون إلا أنفسهم، فالله سبحانه قد تعهد بحفظ دينه وتعهد بأن يظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وتعهد بأن يهيئ له في كل عصر وأرض من يعلي شأنه عربا كانوا أم غير عرب.

وخاب من خان دينه وهو في الآخرة أشد خيبة وخذلانا.

في الحديث الذي رواه مسلم، يقول رسول الله ﷺ: " ترد علي أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه(أي: أدفع الناس من الأمم الأخرى التي تريد ورود حوضي، لأني أريد أن يرده من هو من أمتي فحسب) كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله، قالوا يا نبي الله تعرفنا؟ قال: نعم لكم سيما(لكم علامة متميزة) ليست لأحد غيركم تردون علي غرا محجلين(بيض الوجوه والقوائم) من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون(إلى حوضي) فأقول: يارب هؤلاء من أصحابي(يعني هؤلاء من أمتي لأنه لم يثبت من صحابته من غيَّر أو بدَّل بعده) فيجيبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟". فإنهم قد بدلوا بعدك وخانوا دينهم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وهو بين ظهراني أصحابه " إني على الحوض أنظر من يرد علي منكم فوالله ليقطعن دوني رجال ليحال بينهم وبيني تذودهم وترجعهم الملائكة عن ورود حوضي والوصول إليه) فلأقولن: أي رب(هؤلاء أعرفهم) من أمتي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك مازالوا يرجعون على أعقابهم. رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم (أنهم من أمتي) خرج رجل (ملك وقف) من بيني وبينهم فقال (لهذه الزمرة) هلم (تعالوا معي) فقلت (للملك) إلى أين (تذهب بأمتي)؟ قال إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ فقال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري(فرجعوا عن دينك) ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم (أنهم أمتي) خرج رجل (ملك حال) من بيني وبينهم، فقال لهم هلم، قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم". رواه البخاري ومسلم.

وهمل النعم: المتروك من الإبل ليلا ونهارا فيهمل، وهو الشارد البعيد عن تجمع الإبل ولا يكون هذا إلا شاذا ونادرا، والمعنى: أنَّه لا ينجو منهم من الذهاب بهم إلى النار إلا القليل جدا، فلا يحول الملك بيني بينهم فيصلون إلى حوضي.

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة واجعلنا من هذا القليل الناجي وممن يفوزون بورود الحوض الكوثر ولقاء سيد المرسلين يوم الدين

شـــهادة المـــــرأة

بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه.

اللهم إنا نعوذ بك من الجبن والبخل ونعوذ بك من أن نرد إلى أرذل العمر ونعوذ بك من فتنة الدنيا ونعوذ بك من فتنة القبر.

أثار أعداء الإسلام والشاكون فيه تساؤلاتهم المريبة: لماذا جعل القرآن شهادة الرجل معادلة لشهادة امرأتين؟ أليس في هذا تنقيص لكرامة المـــرأة وإهانة لإنسانيتها أو تقرير للأوضاع الجاهلية السائدة قبل الإسلام في النظرة الدولية لها.؟!

لقد جاء مبدأ توثيق الحقوق وإثباتها عن طريق الكتابة والشهادة في آية المداينة فقــــال تعالى: (وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى) البقرة: 282].

ولا يخفى ان الحديث في الآية حول توثيق الحقوق لـــئلا تضـــيع ولا علاقة لها بإنسانية المرأة وكرامتها وأهليتهما.

والسبب في عد الإسلام شهادة امرأتين مقابل شهادة رجل واحـــد.، يعود إلى ما يأتي:

1-يريد الإسلام للمرأة أن تكون رسالتها الاجتماعية مقصورة على شؤون الأسرة وهذا ما يقتضيه لزوم بيتها في أغلب الأوقات، وهذه الرسالة يجعلها غير مهتمة بما عدا ذلك فيما يتعلق بالمعاملات المالية وما شابهها، بل تكون ممارستها لها أو حضورها لمجالسها لا يقع الا قليلاً.؛ لـــذلك تكـــون ذاكرتها في هذه الجهة ضعيفة بعكسها في الامور المترلية فانها تكـــون فيهـــا

أقوى من ذاكرة الرجل، ذلك ان من طبيعة البشر ذكوراً وإناثاً أن يقوى تذكرهم للأمور التي تهمهم ويكثر اشتغالهم بها ولا تنخرم تلك القاعدة بممارسة عدد من النساء للأعمال المالية لأنها قليلة والأحكام العامة إنما تناط بالأكثر في الأشياء وبأصلها دون الشاذ منها.

2-جعل الله طبيعة المرأة تتميز من الرجل برهافة الحس وقوة الوجدان ورقة القلب، وقد جعلها الله بهذه الطبيعة لتؤدي وظيفتها الأساسية من الحضانة والأمومة على خير وجه، لذلك جاءت عاطفتها أقوى من تفكيرها وتطغى عليه في كثير من تصرفاتها، لذا جاء استبعاد شهادتها في القضايا الخطرة كالحدود والدماء، وفيما عداهما قبلت مع شهادة رجل بشرط أن تكون معها واحدة أخرى حتى إذا نسيت إحداهما ذكرتها الأخرى. ثم أخذ بشهادتها وحدها في الامور التي لم يطلع عليها غيرها.

3-إن الشهادة تحملاً وأداء بحاجة إلى الصلابة والشجاعة والقدرة على الخروج من نطاق العاطفة، في حين أن المرأة تهلع أمام الشدائد من الجرائم وترق امام الأحزان، فلا تملك رباطة الجأش لرؤية القتل مثلاً حتى تشهد أمام القاضي، ولا يأمن من جانب عاطفتها حينما ترى المتهم في قفص الاتهام ينتظر الحكم بالموت مثلاً من أن تشفق عليه فتبدل الشهادة أو تحجم عن أدائها لذا جاء الإرشاد إلى الاستشهاد وفق الآية المذكورة.

يقول أحد الكتاب المسلمين (ليس اعتبار شهادة امرأتين شهادة رجل واحد دليلاً كذلك على أن المرأة تساوي نصف رجل إنما هي إجراء روعي فيه توفير كل الضمانات في الشهادة سواء كانت الشهادة لمصلحة المتهم أم ضده، ولما كانت بطبيعتها العاطفية المتدفقة السريعة الانفعال مظنة أن تتأثر بملابسات القضية فتضل عن الحقيقة روعي أن تكون معها امراة أخرى ان

تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى وقد يكون المشهود له أو عليه امراة جميلة تثير غيرة الشاهدة أو قد يكون فتى يثير كوامن الغريـــزة أو عاطفـــة الأمومة إلى آخر هذه العواطف التي تدفع إلى الضلال بوعي أو بغير وعـــي ولكن من النادر جدا حين تحضر امرأتان في مجال واحد ان تتفقا على تزييف واحد دون ان تكشف احداهما خبايا الأخرى فتظهر الحقيقة.

4-لا تعني الآية عدم الأخذ بشهادة المرأة الواحدة مطلقاً بل أجـــاز الإسلام الأخذ بشهادة امراة واحدة أو أمرأتين من دون الرجل في الحوادث الفجائية أو في الحالات التي ان لم تؤخذ بشهادتها ضاعت الحقوق وكذلك يؤخذ يشهادتها دون الرجل في الحوادث التي لا تشهدها الا النساء، وقد دل القرآن على قبول شهادة اثنين من الكفار على وصية المسلم الذي يدركـــه الموت فيوصي ولا يجد أحداً غير الكفار للإشهاد عليها وذلك بقوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِـــيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَـــرَبْتُمْ فِـــي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ) {المائدة: 106}

فاذا كانت شهادة الكفار على وصية المسلم نافذة كما قال بـــذلك عدد من الصحابة والفقهاء، وأحمد بن حنبل وابن تيمية والقرطبي فممـــا لا شك فيه ان شهادة المسلم رجلاً كان أم امرأة أولى بالأخذ مـــن شـــهادة الكافر.

ذكرنا من قبل ان آية المداينة لا تعني عدم الأخذ بشـــهادة المـــرأة في تبيين الحق؛ لأن البينة كما حققها ابن القيم أعم مـــن الشـــهادة المقيـــدة بالشاهدين، أو الشاهد واليمين، وطلب توثيق العقود المالية المؤجلة بشهادة رجلين أو رجل وامرأتين جاءت في آية المداينة في مورد الارشاد للطريقـــة

المثلى في التوثيق والإثبات. لذلك ذهب الظاهرية وابن تيمية وابن القيم وبعض المحدثين من فقهاء العصر كالعلامة محمد جليزادة ومحمد عزة دروزة من قبول شهادة المرأة في جميع المسائل حتى في الحدود والدماء والعقود كالنكاح وما شابهه، استناداً الى الآيات المتعلقة باستشهاد الشهداء بصفة عامة دون تمييز بين ان يكون الشاهد ذكراً أم انثى. ومن ذلك قوله تعالى: (وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ) [المائدة: 106] وقوله تعالى: (وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ){النساء: 15} وقوله تعال: (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء){النور: 4} فقد قصد بالشهداء في هذه الآيات الرجال والنساء لعدم وجود قرينة تدل على ان المراد شهادة الرجل فقط دون المرأة.

كما انه من المتفق عليه ان شهادة المرأة وحدها تقبل في أمور اختصاصها، كشهادتها في الرضاع والبكارة والثيوبة والحيض والولادة وكذلك جماعات النساء والأعراس، ونحو ذلك مما كان تختص بمعرفته النساء، بل هي في هذه الأمور تعد شهادتها أحق من شهادة الرجل.

كما أن القران قد نص على المساواة في الشهادة بين المرأة والرجل إذا اتهم الرجل زوجته بالسوء بأن يشهد كل منهما أربع شهادات قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ {6} وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ {7} عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ {8} وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) {النور: 6-9}

والإسلام لم يكتف باحترام إنسانية المرأة وأنها كالرجل في هذه الإنسانية بل احترم رأيها فمنحها حق الانتخاب فقد ذهب كثير من المفكرين المسلمين المعاصرين الى جواز إعطاء المرأة حق الانتخاب (ناخبة ومنتخبة) مستدلين بالأدلة الآتية:

1- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الممتحنة: 12}. تدل الآية على مشروعية مبايعة النساء للرسولﷺ كمبايعة الرجال له.

2-قوله تعالى: (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) {آل عمران: 61}.

ففي هذه الآية الدلالة الواضحة على مشاركة النساء للرجال في الاجتماعات والأمور العامة، وعدها كالرجل في ذلك.

3-قوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) {المجادلة: 1}.

تدل الآية على ان للمرأة الحق بمطالبة حقوقها والدفاع عنها ومجادلة أولى الأمر فيما يقع عليها من حرمان وإهمال.

4-قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) {التوبة: 71}
الاية واضحة الدلالة على مشروعية إبداء رأيها أو توجيه النصح للحاكمين

أو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متى كانت عالمة بما تقول، ولا تخرج الانتخابات المعروفة في العصر الحالي عن نطاق الاية المذكورة.

5-اشتراك المرأة في بيعة العقبة الاولى وبيعة العقبة الثانية، حيث اشتركت في الاولى: عفراء بنت عبد الله بن ثعلبة، وفي الثانية: عمارة وأم منيع.

6-عمل الرسولﷺ بإشارة زوجته أم سلمة يوم الحديبية وقد كان أنكر حال المسلمين فدخل عليها قائلاًﷺ: هلك المسلمون أمرهم مراراً فلم يجبني أحد، فقالت: لا تلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح، ولكن اخرج ولا تكلم أحداً منهم وانحر بذلك واحلق رأسك فانهم يفعلون كما فعلت فكان الأمر كما قالت، وسميت بذلك مستشارة الرسول ﷺ. وفي هذا ما يدل أيضاً على تسويغ الإسلام للمرأة بالعمل في مجال السياسة والتي منها حق الانتخابات.

7-مناقشة امراة مسلمة للخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما نهى فوق المنبر عن الإكثار من صداق النساء، فقالت له: يا أمير المؤمنين نهيتَ عن الزيادة في مهور النساء فقال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن: (وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً) {النساء: 20}. فقال عمر: اللهم غفراناً، أكل الناس أفقه من عمر؟ ثم رجع فركب المنبر وقال: كنتُ نهيتكم أن لا تزيدوا في المهور على اربعمئة درهم فمن شاء، فليفعل.

ولو أخذنا بلغة العصر لقلنا: إن الإسلام يجيز للمرأة أن تكون عضواً في البرلمان وأن تشارك في وضع القواعد العامة؛ لأن من حقها أن تؤم المساجد، والمسجد كان برلمان الأمة الاسلامية.

واستناداً الى الادلة السابقة فقد ذهب فريق من المفكرين المسلمين المعاصرين من بينهم الاستاذ محمد ابو زهرة الى ان المرأة هي الأحق من الرجل وأصلح منه لان تتولى الوزارة التي تحتاج الى الشفقة والرحمة كوزارة الشؤون الاجتماعية، أو اية وزارة تتخصص لشؤون المرأة وحماية مصالحها.

اما قوله ﷺ: لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة" قصد به والله أعلم الامامة العظمى أو الخلافة العظمى؛ لأن الرسولﷺ قال هذا الحديث عندما سمع بتنصيب الفرس (بوران) ملكة عليهم بعد وفاة ابيها (شيرويه بن ابرويز) كسرى العجم، لذا لا يشمل الحديث غير الرئاسة العامة.

فالاسلام لم يفرق بين المرأة والرجل في القضايا الانسانية. فقد ساوى بينهما مثلاً في حق التملك.

وساوى بينهما في حق اختيار الزوج دون اكراه.

وساوى بينهما في حق العمل.

وساوى بينهما في حق طلب العلم والتعلم والتعليم وغير ذلك من الامور الانسانية بل من الحقوق التي منحها الاسلام للمراة مما لم تجده في دساتير من ينادون بحقوق المراة، حق أمانها ويقصد بالامان: الجِوار (بكسر الجيم) وهو إعطاء غيرك ذمة فيكون بها جارك فتجيره وهذا وارد في قوله تعال: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ) {التوبة: 6}.

واستدل جمهور الفقهاء على جواز الاخذ بامان المرأة بما يأتي.

1-أخرج البخاري بسنده عن ام هانئ ابنة ابي طالب تقول يوم الفتح في حديث طويل: "فقلت: يا رسول الله زعم ابن امي علي (تعني أحد أخوتها وهو علي بن ابي طالب) أنه قاتل رجلاً قد أجرته فلان بن هبيرة فقال الرسول ﷺ: قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ، والحديث واضح الدلالة

على جواز أمان المرأة وإن من استجار بها وأستأمنها فأجارته وأمنته حرم قتله.

2-أخرج البيهقي بسنده عن أم سلمة زوجة النبي ﷺ: أن زينب بنت رسول الله ﷺ أرسل اليها زوجها ابو العاص بن الربيع أن خذي لي أمانا من أبيك فخرجت فأطلعت رأسها من باب حجرتها، والنبي ﷺ في صلاة الصبح يصلي بالناس. فقالت: أيها الناس أنا زينب بنت رسول الله ﷺ وإني قد أَجَرْتُ أبا العاص، فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة قال: أيها الناس إني لم أعلم بهذا حتى سمعتموه، ألا وانه يجير على المسلمين أدناهم.

3-وكذلك استئمان أم حكيم بنت الحارث ابن هشام زوجها عكرمة بن أبي جهل يوم الفتح من رسول الله ﷺ وموافقته على ذلك وإرجاعها زوجها من اليمن على هذا الأساس.

4-وأخرج البخاري بسنده عن علي ﷺ (حول ما ورد في الصحيفة والتي منها) ما قاله ﷺ وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلماً (أي: نقض عهد مسلم) فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل.

5-روى الترمذي بسنده ان النبي ﷺ قال "إن المرأة لتأخذ للقوم" يعني: تجير على المسلمين.

فقد احترم الإسلام رأي المرأة حتى في أخطر القضايا السياسية والعسكرية وهو قبول استئمانها لأي عدو كان من أعداء الإسلام ومن دون أن تستشير السلطة الإسلامية في ذلك. بل وجب على السلطة الإسلامية العليا وعلى الأمة بأسرها وبأمر من الكتاب والسنة قبول هذا الأمان فلا

يجوز أن يمس سلطان الدولة الإسلامية بسوء رجلاً أمنته امــرأة مســلمة واستجار بها فأجرته ولو كان هذا الرجل عدواً للسلطان وللدولة.

وهذا من المزايا التي انفردت بها الشريعة الإسلامية فليس هناك قانون في أي دستور كان من دساتير أوربا والغرب ينص على إعطاء المرأة مثــل هذا الحق.

اللهم بصرنا نساء ورجالاً بأحكام شرعك وزدنا جميعاً يقيناً علــى يقين. اللهم آمين.

الرجال قوامون على النساء

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم إنا أصبحنا نشهدك ونشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك.

يقول أعداء الإسلام من الغربيين ومن حذا حذوهم من عملائهم الذين هم من جلدة هذه الأمة ويتكلمون بلسانها "يقول هؤلاء المعترضون على قوامة الرجل على المرأة كما أمر الإسلام:

ا-إن القوامة ما هي إلا ترقيق للرق، أي: إن الطاعة الزوجية منبعثة من نظام السادة والعبيد، لذا يعدون القوامة نظاماً عبودياً ينافي المساواة الإنسانية.

ب- قوامة الرجل على المرأة إنما كانت حين كان الرجل يتحكم في الانتاج ويستبد بالكسب، أما الان فقد أصبحت المرأة تعمل وتكسب كالرجل فلا معنى للقوامة عليها.

ج- كذلك الجهل والأمية قد كانا من أسباب قوامة الرجل على المرأة في البيت، أما الآن وقد أصبحت المرأة متعلمة ومثقفة بثقافة العصر فلم يبق لها من حاجة، ولا هناك مسوغ لاستغلال المرأة باسم القوامة".

هناك مسائل لم يساو الإسلام فيها بين المرأة والرجل، وهذه عائدة الى اختلاف طبيعة كل منهما فالرجل والمرأة غير متساوين من حيث طبيعة تكوينهما الجسدي والنفسي والوظيفي، فالإسلام راعى طبيعة كل منهما فأعطى الرجل التكاليف التي تلائمه وأعطى المرأة التكاليف التي تلائمها.

فالإسلام نظام واقعي يراعي الفطرة البشرية. فالضرورة تقضي أن يكـون هناك قيم توكل إليه الإدارة العامة لهذا الشركة القائمة بين الرجل والمرأة وما ينتج عنها من نسل وما يستتبعه من تبعات وقد اهتدى النـاس في كـل تنظيماتهم الى أنه لا بد من رئيس ومسؤول وإلا ضربت الفوضى اطنابهـا، وعادت الخسارة على الجميع.

وهناك ثلاثة اوضاع يحتمل ان تقوم بشأن القوامة في الاسرة فإما أن يكون الرجل هو القيم او تكون المرأة هي القيم، أو يكونـا معـاً قـيمين ويستبعد الاحتمال الثالث، لأن التجربة أثبتت ان وجود رئيسـين للعمـل الواحد أدعى الى الافساد من ترك الامر فوضى بلا رئيس، والله سـبحانه يقول عن السماء والأرض: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُـبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) {الأنبياء: 22} ويقول سبحانه: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ){المؤمنون:91} فإذا كان هكذا الامر بين الآلهة المتوهمين فكيف يكون هذا الحال بين البشر الاعتياديين؟ وعلـم النفس يقرر أن الاطفال الذين يتربون في ظل أبوين يتنازعان على السـيادة تكون عواطفهم مختلة وتكثر في نفوسهم العقد والاظطرابات.

بقي الاحتمالان الاول والثاني: وقبل أن نخوض في بحثهما نسأل هذا السؤال ايهما أقدر على وظيفة القوامة؟.

من يغلب عليه جانب العاطفة والانفعال أم من يغلب عليه الجانـب العقلاني والتفكير؟.

فقد انحلت المسألة دون حاجة الى جدل فالرجل أصلح من المـرأة في أمر القوامة على البيت، بل المرأة نفسها لا تحترم الرجل الذي تسيره فيخضع

لرغباها بل تحتقره بفطرها ولا تقيم له أي وزن كان.وليس مؤدى ذلك أن يستبد الرجل بالمرأة،أو بإدارة البيت،

فالرئاسة الناجحة هي التي تقوم على التفاهم والتعاون، وكل توجيهات القرآن والاسلام يرمي الى شيوع هذه الروح داخل الاسرة والى تغليب الحب على التراع والشقاق".

فالدرجة في قوله تعالى: (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ){البقرة: 228} لا تعني تفضيل الرجل على المرأة في الانسانية، بل قصد بها أن الرجل هو الذي يتحمل مسؤولية النفقة على المرأة وأولادها ولكونه هو المكلف بإدارة شؤون البيت ورعاية المرأة والحفاظ عليها وعلى كرامتها؛ لأن المرأة إذا تركت دون هذه الرعاية ضلت وضاعت، ولكونه أيضاً هو المكلف دون المرأة بالجهاد في سبيل الله والدفاع عن دين الله وعن العرض والأمة.

وقد انيطت هذه المسؤولية بالرجل لكونه هو الاقدر على تحملها من المرأة وهذا ما يعترف به النساء جميعاً فقوة الرجال الجسمية محط إعجاب المرأة في كل الادوار الانسانية، فالمرأة ضعيفة بدنياً كما أنه يصيبها ما يزيدها ضعفاً ما لا يصيب الرجال من الحيض والحمل والولادة والنفاس.

" فالقوامة التي أسندها الله للرجل تعني وضعه موضع الخدمة والرعاية لا موضع التحكم والاستعلاء، الها تعني الحماية والتوجيه والرقابة ولا تعني القهر والاستبداد والتعسف.

فالقوامة ما أُريد بها تشريف الرجل وتفضيله على المرأة بل هي تكاليف وتحمل مسؤوليات جمة رفعها الله عن المرأة رحمة بها لا حطاً من مكانتها وتقليلاً من شأها.

قال الله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ){النساء: 34].

وقد اسست القوامة في نظر الاسلام على ركيزتين.

اولهما: فطري حيث يمتاز الرجل بقوة الارادة وغلبة تعقله على عاطفته. في حين طبع الله المرأة على رهافة الحس وقوة العاطفة وشدة الانفعال وسرعة التأثر بالمؤثرات. وليس في هذه الميزات أي نقص كان لها بل سوَّى الله المرأة على هذا الوضع حتى يكون لها من طبيعتها ما يتيح لها القيام بوظيفتها وهي الامومة والحضانة على خير وجه.

والثاني: كسبي هو ان الرجل كلفه الإسلام بالإنفاق على تكاليف الزواج والإنفاق على المرأة والاسرة والاولاد فلما فرض عليه التكاليف المالية أعطاه الإسلام مقابل ذلك حق القوامة.

وهذا المبدأ هو ما استند اليه علماء القانون الدستوري وأصبح أساس الديمقراطية الحديثة، فقد قالوا: من ينفق يشرف ومن يدافع يراقب. فلما كلف الرجل في الاسلام بالإنفاق على المرأة والدفاع عنها وحمايتها أُعطيَ حق الإشراف على الاسرة ومراقبتها.

ونظراً لما تعانيه الأم من مشاق الحمل ومخاطر الوضع وما يتبع ذلك فقد زود الله المرأة بقدرات خاصة لا يجاريها الرجل فيها من تلك القدرات.

1-الصبر وطول النفس وشدة القدرة على التحمل وفرط حبها للإنجاب والولد أكثر من الرجل حتى تؤدي رسالتها خير أداء.

2-قدرة المرأة على الجلوس الطويل مع زميلاتها او لوحدها.

3-قدرتها على السهر الطويل أكثر من الرجل ولا سيما حينما يكون عندها طفل يعاني من ألم المرض أو الجوع أو الحر أو البرد وما شابهها فترى

الأم تسهر على تلبية حوائج طفلها وهي في النهار تسير في حياتها الاعتيادية وتستطيع الاستمرار على ذلك لمدة طويلة.

4-وكذلك تحملها للأوجاع أكثر من الرجل لحد عدم الاكتراث بها بسبب تعودها على الحالات التي تعتريها من الحيض والحمل والوضع التي لا تمر واحدة منهن بدون ألم.

وهذا دليل على ضرورة توظيف تلك القدرات في خدمة الطفل الذي يحتاج الى جميع الصفات المذكورة. وأن على المرأة التفرغ لذلك وعد الاعتناء بالطفل وظيفة اساسية وما عداها استثناء وضرورة لا بد ان تقدر بقدرها.

فقد فضل الله المراة على الرجل في هذه الميزات كما فضل الرجل عليها بقوة الجسم وقوة الارادة.

فاذا كان الرجل أقدر من المرأة على القوامة، فإن المرأة أقدر من الرجل على القيام بالأمومة والحضانة، فكما أن المرأة لا تستطيع أن تقوم بعمل الرجل، فكذلك الرجل لا يستطيع أن يقوم بعمل المرأة، لذلك كلف الله كلا منهما بالواجبات التي تلائمه وهذا هو تفسيرقوله تعالى: (فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) {النساء: 34}

يقول الذين يجادلون في قضية القوامة التي اعطاها الاسلام للرجل أن سبب تخلف المرأة في مجال هذه القوامة كان نتيجة هيمنة الرجل عليها عبر عصور التاريخ، نقول إذن هذا دليل على أن الرجل أقدر من المرأة عقلاً وحكمة وتدبيراً، إذ لو كانا متساويين في ذلك لتقاسما السيادة في التاريخ ولما رأينا الرجل هو المسيطر والسيد على المرأة في كل عصر ومكان.

فقد كان هناك عبيد أرقاء مستعبدون لساداهم ومع الهم كانواغرباء على بلادهم وأقل عدداً من النساء الذين يمثلون نصف الجنس البشري. فقد نبغ من هؤلاء العبيد ادباء وصار منهم سادة وملوك أكثر مما صار من النساء.

وقد بذ الرجال النساء في الاعمال النسوية نفسها التي اختصت بها النساء دون الرجال ومارستها منذ الصغر ومنذ ان وجد البشر، فالمرأة تشتغل بإعداد الطعام منذ أن طبخ الناس طعاماً قبل فجر التاريخ وتتعلمه منذ طفولتها في مساكن الاسرة والقبيلة، لكن بعد توارثها هذه الصناعة آلاف السنين لا تبلغ فيها مبلغ الرجل الذي يتفرغ لها بضع سنوات ولا تجاريه في إجادة الاصناف المعروفة ولا في ابتداعها والافتتان في تنويعها وتحسينها، ولا تقدر على إدارة مطعم كما يقدر على ذلك الرجال.

وصناعة التطريز وعمل الملابس النسوية كصناعة الطهي من صناعات النساء القديمة في البيوت ولكنهن يعتمدن على الرجال في اختيار أزيائهن ويفضلن معاهد التفصيل التي يتولاها الرجال على المعاهد التي يتولاها بنات اجناسهن، وكذلك يفضلن معاهد الرجال على معاهد النساء في اعمال التجميل والزينة عامة ومنها تصفيف الشعر وتسريحه واختيار الاشكال المستحبة لتضفيره وتجميعه.

والملاهي، ولاسيما ملاهي الرقص والغناء من ضروب التسلية التي يتسع لها وقت المرأة، وقد شجعها الرجال عليها وجعلوها من فنون التربية النسوية. ولكن الاستاذية في الرقص وفي رقص الجنسين لم يكن من حظ المرأة في العصر الحديث ولا في العصور القديمة و لم يزل عمل المرأة في الرقص أقرب الى التنفيذ منه الى الابتكار.

ومن اللهو الذي كان خليقاً بالمرأة ان تحذقه وتتفوق فيه على الرجال لهو الفكاهة والنكتة المضحكة؛ لانها تحب أن تمرح وتلعب ولأنها تشعر بالضغط وبالحاجة الى التنفيس عن الشعور المكبوت ولكن المعهود في المرأة أنها قليلة الفطنة للنكتة الا في الندرة التي تحسب من النكات العارضة وأنها لا يمكن أن تقابل نكات الرجال كماً ونوعاً.

وكذلك نجد الرجل هو الذي لمع نجمه في المكتشفات العلمية والنظريات العقلية وفي مجالات العلم المختلفة عبر العصور ممن لا يحصى عددهم، و لم نجد النساء الا أفراداً تعد بالاصابع، وهذا هو الحال في العصر الحديث عصر التقدم العلمي، فنلحظ بوضوح مثلاً هيمنة الرجل على مجالات الطب المختلفة المهمة والخطرة كطب العظام والكسور والامراض القلبية والعصبية والنفسية والجلدية وطب الجراحة، فكثيراً ما تسمع الجرّاح فلان وقلما تسمع الجرّاحة فلانة. ويكاد يقتصر عمل النساء في الطب على الولادة وعقم النساء، بل حتى هذا الاختصاص حين يمارسه الرجل يتفوق فيه على المرأة ويفضل كثير من العقيمات العلاج عنده، ونجد القابلات سواء كن ممرضات أم طبيبات حين يعجزن عن توليد امرأة يستنجدن ويستعن بالرجل بالطبيب المختص فيقدم في مثل هذه الحالات فيقوم بعمل القابلة.

" ولا ننكر أن ثمة نساء قد نبغن من قبل ونبغن الآن في طائفة من الاعمال التي يضطلع بها الرجال وقد اشتهر منهن الملكات وقائدات العسكر واشتهر منهن الباحثات والخطيبات لكن هذا النبوغ كان وما يزال نادراً أو شاذاً أو يكون في حالة استثناء والأمور لا تقاس بالاستثناء المنقطع بل بالقاعدة الشائعة.

فالموازنة تجري دائماً في الاعم الاغلب في الاحوال كلها وما عدا ذلك فهو الاستثناء الذي لا بد منه في كل اعمام، ووجود ملكة او ملكتين أو وزيرة أو وزيرتين من بين مئات الملوك وآلاف الورزاء هو دليل كاف بكون الرجل أقدر من المرأة على القوامة، إذ لو كانت مساوية له في هذا المجال لوجدنا الرجال والنساء يتقاسمون هذه المناصب القيادية" بل كثيراً ما لا تجد المرأة في هذه الساحة فهذه أمريكا منذ إنشائها دولة مستقلة قبل بضعة قرون على الرغم من أن القانون فيها يسمح لأن تحتل المرأة منصب رئاسة الدولة إلا اننا لم نجد في سجل تاريخ رؤسائها امرأة واحدة، فقد كان جميع الرؤساء منذ تأسيسها ولحد الآن من الرجال.

هذه جملة أمور تبين في الواقع والتاريخ أن القوامة كانت دائماً للرجل في الامور كلها حتى في الامور التي اختصت بها المرأة كان الرجل أقدر من المرأة على تنفيذها.

فقد أودع الله في الرجل من الميزات ما جعله ان يكون قواماً على المرأة لا في الحياة الزوجية فحسب، بل في كل ميدان. فحين شرع الاسلام منح الرجل هذه القوامة انما منحه إياها ليكون هذا التشريع موافقاً للفطرة وواقع الحياة الزوجية.

" وقد حدد الرسول ﷺ هذه القوامة وبين حق كل من الزوجين على الآخر، بين ذلك في أحاديث منها قوله ﷺ: ألا وان على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم من تكرهون ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون" رواه الترمذي.

وفي قوله ﷺ في حجة الوداع: "ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف"، رواه مسلم والترمذي.

ومن حق الرجل على زوجته أن تطيعه لقوله ﷺ: "لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها" رواه أبو داود والترمذي.

لكن هذه الطاعة وهذه القوامة ليست مطلقة بل هي مقيدة تخص الحياة الزوجية فقط وهذا هو الراجح من مذاهب العلماء،فالقوامة مثلاً لا تشمل:

حق المرأة في ترويج نفسها ضمن معاني الآيات في قوله تعالى: (فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ){البقرة: 230} وقوله تعالى: (فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم){البقرة: 232} وقوله تعالى: (وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا) {الاحزاب: 50}

كذلك حق المرأة في قبض مهرها والتصرف فيه قال تعالى: (وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا){النساء: 4}

ثم حقها في المال مطلقاً بالإرث أو الاكتساب وأهلية التصرف فيه بالبيع والهبة والاستدانة والوصية والوقف وما شاكل ذلك فمثل هذه الامور تتصرف بها المرأة ولا يجوز أن يتدخل زوجها فيها، فلا يكون قواماً عليها في هذه الامور.

وكذلك ليس من قوامة الرجل أن يكره زوجته علـــى الـــدخول في الاسلام إذا كانت كتابية، يهودية أو نصرانية.

وذهب كثير من الفقهاء ومنهم مالك والشافعي أنه متى عجز الرجل عن الانفاق على زوجته لم يكن قواماً عليها لأن الاسلام فرض على الرجل أن ينفق على زوجته حتى لو كانت غنية وكان هو معسراً فقيراً وإذا قصـــر الزوج في ذلك كان لها الحق في أن تطالب القضاء بفسخ عقدها. وكذلك لا يحق للزوج أن يمنع زوجته من حضور صلاة الجماعة أو صلاة الجمعة أو الحج أو زيارة أبويها أو زيارة محارمها من الاقارب، بل لا يجب شرعاً على المرأة العمل البيتي والخدمة إلا خدمة نفسها بل لا يجب عليها حتى إرضاع طفلها ولها الحق في أخذ الأجرة على أنه يلزم القول ان علـــى الـــزوجين التفاهم والتعاون فيما بينهما لتسير سفينة الحياة الزوجية إلى نهاية الشـــوط بسلام، وأن تبقى العلاقات الزوجية فوق الارتباط بالتزام الطرفين مما هـــو الواجب المفروض على كل منهما، بل عليهما الائتلاف والاندماج تحقيقـــاً لقوله تعال: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَـــا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً){لروم: 21}.

فقوامة الرجل على المرأة في الاسلام مقيدة بقيود تبعد الرجل عـــن الاستبداد، وتبقى المرأة في نظام العائلة الاسلامية محتفظة بهويتها الشخصية، وتتمتع بالحقوق الدينية والمدنية.

فالقوامة في الاسلام ما هي الا حالة من حالات التنظـــيم والتنســـيق والحفاظ على تماسك الاسرة، وما التشرد والتحلل والتطاحن الذي تعاني منه كثير من الاسر الا كان سببه غياب القيادة والإشراف والمراقبة أو ضعفها".

إن طاعة المرأة لزوجها ليست خنوعاً واستسلاماً حتى يشان عليها وإنما كانت لتسير سفينة الاسرة، فهي كطاعة الموظف لمديره والوزير لرئيسه.

وقد أمرنا رسول الله ﷺ أنه إذا سافرنا وكنا ثلاثة أن نجعل أحدنا أميراً علينا، والزواج سفرة تستمر طوال العمر.

وحين جعل الاسلام الرجل قواماً على المرأة فقد أمره أن يحسن معاملته إليها. قال الله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوف){النساء: 19}.

وقال ﷺ: خيركم خيركم لأهله" وقال ﷺ: (فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله). رواه مسلم والترمذي.

وكذلك أوصى الإسلام المرأة أن تطيع زوجها وأن تقابل حسن معاملته لها بطاعتها له. فقال ﷺ: (خير النساء امرأة إن نظرتَ اليها سرّتك وإن أمرتها أطاعتك وإن غبتَ عنها حفظتك في مالها ونفسها). رواه الحاكم في المستدرك.

وقال ﷺ أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة رواه الترمذي

اللهم ارض عنا جميعا يا أرحم الراحمين ويا رب العالمين اللهم آمين.

الغاية من تشريع الحدود الإسلامية

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن ونعوذ بك من العجز والكسل ونعوذ بك من الجبن والبخل ونعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال.

نعني بالحدود الاسلامية: العقوبات التي شرعها الاسلام على الجناة كقطع يد السارق وجلد الزاني او رجمه.

ويشيع الغربيون ان هذه الحدود قاسية، وهذا كلام يصدر منهم إما عن سوء نية وإما عن جهلهم بالحقائق الآتية.

اولاها: يتصور الغربيون أنه إذا حكم الاسلام بلادهم وطبقت فيهم حدوده لحكم على رجالهم ونسائهم جميعاً إما بقطع ايديهم او جلدهم أو رجمهم لأن شرب الخمر والسرقة والقتل والزنى شائع عندهم ولا تمر ساعة دون ان يرتكب خلالها عشرات الجرائم. والحقيقة أن الاسلام إذا حكم مثل هذه المجتمعات فإنه لا يبدأ بتطبيق حدوده فيها الا بعد تحويلها الى مجتمعات اسلامية، يربي افرادها على العفة ثم يزيل دافع كل رذيلة.

فالاسلام ينفذ حدوده في المجتمع الذي ينشؤه هو، الذي تندر فيه الجريمة، ولا ينفذها في المجتمعات التي ينشؤها نظام آخر، التي تشيع وتطغى فيها الجرائم.

من هذه الحدود مثلا ان حكم المحصن المتزوج إذا زنى الرجم وكذلك المحصنة المتزوجة إذا زنت، أما حكم الأعزب غير المتزوج والعزباء غير المتزوجة فهو الجلد مئة جلدة قال الله تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ) {النور: 2}

والإسلام لا يقيم هذا الحد الا بعد ان يزيل دوافعه كافة فيمنع التبرج وخروج النساء كاسيات عاريات ويمنع الاختلاط بين الجنسين من غير مسوّغ كما تقوم الدولة الاسلامية بتشجيع الشباب على الزواج المبكر ومساعدتهم في ذلك اقتصادياً ومالياً. وتنشئة افراد الأمة على حب الفضيلة واستقباح الرذيلة.

والثانية: أن الحدود في الاسلام تكون على قدر الجرائم، فكلما عظمت الجريمة واشتد خطرها اشتدت عقوبتها، فالاسلام لم يفرض حداً على جناية أشد مما تستحق، ومع ذلك لم تكن غايته من فرض العقوبات تطبيقها على الناس وإنما كانت الغاية منها زجرهم عن ارتكاب الجريمة.

فهي كما يقال في الامثال: علق عصاك حيث يراها أهل الدار ولا داعي للضرب بعد ذلك فإنه يكفي التهديد.

والدليل على ذلك أن الاسلام لا يقيم حده على متهم لمعصية ارتكبها إلا بعد التثبت من ارتكابه لها وفق شروط شرعت جميعها لمصلحة المتهم، وقد يندر أو يستحيل توافرها ولنأخذ مثلاً على ذلك حد الزنى لتوضيح هذه الحقيقة.

الاتهام بالزنى سيء الأثر في سقوط المرأة والرجل وضياع كرامتهما وإلحاق العار بهما وبأسرتيهما وذريتهما، فقذف المحصنين المتزوجين والمحصنات المتزوجات: أو اتهامهم بالزنى كذباً من الجرائم التي تحل روابط الاسرة وتفرق بين الرجل وزوجته وتهدم أركان البيت لهذا شدد الاسلام في إثبات هذه الجريمة حتى يسد السبيل على الذين يتهمون الابرياء بعار الدهر وفضيحة الابد. فاشترط الشهادة على الزنى الشروط الاتية:

1-أن يكون الشهود أربعة بخلاف الشهادة على سائر الحقوق قال الله تعالى: (وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ){النساء: 15} فإذا كانوا أقل من أربعة لم تقبل شهادتهم بل فضلاً عن ذلك يقام علهم حد القذف، بأن يجلد كل منهم ثمانين جلدة، وهذا ما قال به الاحناف ومالك والراجح من مذهب الشافعي وأحمد بدلالة أن عمر رضي الله عنه عاقب الثلاثة الذين شهدوا على المغيرة بالجلد ثمانين جلدة وهم: ابو بكرة ونافع وشبل بن معبد والله يقول: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) {النور: 4}

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رجلاً أتي النبي صلى الله عليه وسلم فاعترف أنه زنى بامرأة سماها فبعث النبي صلى الله عليه وسلم اليها فسألها فأنكرت فجلده وتركها.

وفي رواية كان بكراً غير متزوج فجلده مئة جلدة لأنه أعزب وقد أعترف بأنه زنى بها، واعترف الزاني بنفسه يغني عن الإتيان باربعة شهود. أما اتهامه المرأة بانها قد زنت فلا تقبل شهادته وحدها وإن كان هو الزاني بها بل يجب عليه أن يأتي بالبينة والبينة اربعة شهداء فعجز الرجل وكذبته المرأة فجلده حد الفرية ثمانين هذا ما رواه ابو داود والنسائي أي: أن الرسول صلى الله عليه وسلم جلد الرجل مئة جلدة جزاء اعترافه بالزنى ثم جلده مرة أخرى ثمانين جلدة جزاء اتهامه المرأة بالزنى و لم يأت بأربعة شهداء.

2-البلوغ: أن يكون الشاهد بالغاً صبياً.

3-العقل: أن يكون الشاهد عاقلاً فلا تقبل شهادة المجنون أو المعتوه.

4-العدالة: أن يكون الشاهد عادلاً قال تعالى: (وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ) {الطلاق: 2}

5-الاسلام: أن يكون الشاهد مسلماً.

6-المعاينة: أي أن يكون بمعاينة فرجه في فرجها كالميل في المكحلة والرشا (الحبل) في البئر، وإنما أبيح النظر في هذه الحالة للحاجة الى الشهادة كما أبيحت للطبيب والقابلة ونحوهما.

7-التصريح: هو أن يصرح الزاني أو الشاهد بالبلاغ بأن يقول مثلاً فَعَلَتْ كذا وكذا أو فعل كذا وكذا بكلام صريح، وأبيح أيضاً التلفظ بما يستقبح ذكره للحاجة للشهادة.

8-اتحاد المجلس: يرى جمهور الفقهاء أن من شروط هذه الشهادة اتحاد المجلس بأن لا يختلف في الزمان ولا في المكان فإن جاؤوا متفرقين فلا تقبل شهادتهم، أي: أن يدلي الشهداء الاربعة جميعهم شهاداتهم مجتمعين في وقت واحد وفي مكان واحد.

9-أن يكون الشاهد رجلاً لا أمرأة.

10. عدم التقادم: أي: أن يشهد الشاهد وقت رؤيته جريمة الزنى، أما إذا تقادم عليها العهد وجاء فشهد على هذه الجريمة بعد مدة من وقوعها فلا تقبل شهادته عند الاحناف، ويحتجون لهذا بأن الشاهد إذا شهد الحادث فهو مخير بين أداء الشهادة وبين التستر على الجاني الزاني فإذا سكت عن الحادث حتى قدم عليه العهد دل على اجتياز جهة التستر فإذا شهد بعد ذلك فهو دليل على أن الضغينة (والحقد) هي التي حملته على الشهادة ومثل هذا لا تقبل شهادته. كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: أي قوم شهدوا على حد (كحد الزنى) لم يشهدوا عند حضرته فإنما شهدوا عن ضغن (وعن حقد) ولا شهادة لهم و لم ينقل أن أحداً أنكر على عمر هذا القول فيكون قوله هذا إجماعاً.

والإسلام وضع هذه الشروط حفظاً على أعراض الأسر من أن يفضح أمرها وتساء سمعتها بين الناس سواء كانت ببلاغات كاذبة أم صادقة.

والثالثة: أن الاسلام لا يسعى الى كف الناس عن الشر بالعقاب والإكراه وإنما يسعى اولاً ودائماً الى اصلاحهم بالوعظ والإرشاد والقدوة الحسنة لزرع الوازع الديني في نفوسهم وجعلهم يبتعدون عن الشر طوعاً ومن تلقاء أنفسهم فقد كتب الوالي على خراسان الى الخليفة عمر بن عبد العزيز يستأذنه في أن يرخص ويسمح له باستخدام بعض القوة والعنف مع أهلها قائلاً في رسالته للخليفة: لا يصلحهم إلا السيف والسوط فكان رد عمر رضي الله عنه عليه: كذبتَ بل يصلحهم العدل والحق[1].

والرابعة: أن الاسلام لا يفرق بين الناس ولا بين الحاكم والمحكوم في تطبيق الحدود، أخرج البخاري عن عروة أن امرأة سَرَقَتْ في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ففزع قومها الى اسامة بن زيد رضي الله عنهما يستشفعونه (ليكلم رسول الله ﷺ في عدم قطع يدها أو التخفيف من حكمها) فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه الرسول ﷺ فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: "أما بعد فإنما هلك الناس أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف (الغني أو ذو الجاه) تركوه (لم يقطعوا يده) وإذا سرق فيهم الضعيف (الفقير أو الذي لا جاه عنده) أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها".

([1]) خلفاء الرسول، للسيوطي، ص728.

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كان عمر ﷺ إذا أراد أن ينهي الناس عن الشيء (حرمه الله) تقدم الى أهله (أهل بيتــه) فقال لهم: إني نهيتُ الناس عن كذا وكذت فلا أعلمن أحداً (منكم) وقع في شيء مما نهيت عنه إلا ضاعفت عليه العقوبة (فعاقبته مرتين).

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي[1] أن عمر ﷺ كان إذا سن قانونـــاً أو حظر (ومنع) أمراً جمع أهله أولاً وقال لهم: إني قد نهيتُ الناس عـــن كـــذا وكذا وأن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير الى اللحم فإن وقعـــتم (في المنكر) وقعوا (هم أيضاً في المنكر) وإن هبتم (وخفتم الوقوع في المنكرات) هابوا (وخافوا إذ تقتدي بكم والشعوب تكون على دين ملوكها) وإني والله (يا أهل بيتي إن رأيت واحداً منكم) وقع فيما نهيت الناس عنه (من المعاصي أو المظالم) إلا ضاعفتُ له العذاب (والعقاب) لمكانه مني فمن شاء منكم أن يتقدم (بالطاعات) ومن شاء منكم أن يتأخر (بالمعصيات) أرأيتم؟. وقد قال وطبق ما قال ﷺ

جاء في حياة الصحابة 96/2 : أخرج عبد الرزاق والبيهيقي عـــن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: شرب أخي عبد الرحمن (الخمـــر) وشرب معه أبو سروعة عقبة بن الحارث وهما بمصر في خلافة عمـــر ﷺ، فسكرا فلما أصبحا انطلقا إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر فقالا طهرنا، فإنا قد سكرنا من شراب شربناه. قال عبد الله: فذكر لي أخي أنه ســـكر، فقلت: ادخل الدار أطهرك و لم أشعر أنهما قد أتيا عمرو بن العاص فأخبرني أخي أنه قد أخبر أمير مصر بذلك، فقلت لا تحلق (شعر رأســـك) علـــى

([1]) تاريخ الخلفاء، ص197- 198.

رؤوس الناس: ادخل الدار أحلقك وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد (مع الجلد) فدخلا الدار، قال: عبد الله فحلقتُ أخي بيدي ثم جلَدَهما عمرو بن العاص أمير مصر فسمع بذلك عمر بن الخطاب ﵁ فكتب إلى عمرو بن العاص ﵁ أن ابعثْ إليّ (ابني) عبد الرحمن على قتب (على جمال) ففعل ذلك فلما قدم على عمر ﵁ جلده (مرة أخرى) وعاقبه (مرتين) لمكانه منه ثم أرسله فلبث شهراً صحيحاً ثم أصابه قدره فمات﵁ فيحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر و لم يمت من جلد عمر

والخامسة: يرى أكثر العلماء أن الحدود إذا أقيمت كانت مكفرة لما اقترف من آثام، فالذي يقام عليه الحد في الدنيا لجريمة اقترفها فإنه لا يعذب عليها في الآخرة لما رواه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس فقال: تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله بالحق فمن وفي منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به (في الدنيا) فهو كفارة له (لا يعاقب عليه في الآخرة) ومن أصاب شيئاً من ذلك (من المعاصي) فستره الله عليه (فلم يعاقب) فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه.

وعن علي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ من أصاب حداً (كالزنى أو السكر) فعجل عقوبته في الدنيا (بأن أقام السلطان عليه الحد) فالله أعدل من أن يثني عليه العقوبة في الآخرة، ومن أصاب حداً (مثل الحدين المذكورين) فستره الله تعالى (فلم يره أحد) وعفا عنه الله، فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه أخرجه الترمذي.

اللهم وفقنا لطاعتك في الدنيا واستر عيوبنا يوم القيامة ولا تفضحنا هناك على رؤوس الأشهاد. اللهم آمين.

السرقة وحدها في الإسلام

والمقصود بحد السرقة: عقوبة السرقة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

اللهم انا نسالك العافية في الدنيا والاخرة. اللهم انا نسالك العفو والعافية في ديننا ودنيانا واهلينا واموالنا. اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا. اللهم احفظنا من بين ايدينا ومن خلفنا وعن ايماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ونعوذ بك ان نُغتال من تحتنا.

يزعم اعداؤنا ان الاسلام يفرض عقوبات قاسية من ذلك قطع يد السارق.

والحقيقة ان الاسلام حين شرع هذه العقوبة لم تكن غايته منها تطبيقها على الناس وانما كان يبغي من ذلك زجر الناس من الاعتداء على اموال غيرهم.

وعلماء الاجتماع متفقون على ان تخفيف العقوبة يشجع الذين في قلوبهم مرض على ارتكاب الجريمة وشدتها تمنعهم منها أو في الاقل تجعلهم يفكرون مليا بعواقب افعالهم.

وتعريف السرقة في الشرع: هو المجيء مستترا لأخذ مال الاخرين من حرز (أي: من مكان محفوظ حصين).

يتبين من التعريف السابق انه لا بد من الأخذ بصفات معينة في السارق والمسروق وفي الموضع المسروق منه حتى تتحقق السرقة التي يجب فيها الحد الذي هو قطع اليد.

فيجب ان يكون الموضوع المسروق منه المال موضعا حصينا بعيدا عن انظار الناس ومتناول ايديهم فلا تقطع مثلا يد من سرق مالا من دار بابهـــا مفتوح، ويجب ان يكون هذا المال من الاموال التي احل الله امتلاكها، فلا تقطع يد من سرق خمرا أو الات لهو مثل العود والكمنج والمزمار وان يبلغ الشيء المسروق نصابا ونصابه ان يكون بقدر ما يعيل اسرة لمدة يوم واحد.

اما الصفات الواجب توافرها في الســـارق حـــتى يســـمى ســـارقا ويستوجب حد السرقة بقطع يده هي:

ان يكون السارق بالغا فلا حد على صغير لم يبلغ الحلـــم، ولكـــن يؤدب الصغير إذا سرق.

ان لا يكون مجنونا؛ لأنَّه غير مكلف.

ان لا يكون مكرها اكرهه على السرقة ولي أمره.

ان لا يكون للسارق في الشيء المسروق شبهة؛ فانه لا تقطع يـــده، لذلك لا تقطع يد الذي يسرق من ابنه أو أمه أو من أبيه أو من جده أو من ابن ابنه، واما ذوو الارحام فقد قال ابو حنيفة والثوري لا قطع على احـــد من ذوي المحرم مثل العمة إذا سرقت وكذلك الخالة والأخت والعم والخال والأخ؛ لان قطع اليد يفضي إلى قطيعة الرحم التي امر الله بهـــا ان توصـــل ولان لهم الحق في دخول المترل، ولا سيما اذا كانت اموال المترل لم يغيبها صاحبها عن انظار ذويه و لم يبعدها عن متناول ايديهم، ولذلك لا تقطع يد الضيف إذا سرق مثل هذه الاموال لان الضبف دخل الدار باذن صـــاحبها من جهة ولانه سرق مالا لم يكن في حرز من جهة ثانية.

وكذلك لا تقطع يد من سرق من زوجته ولا يد من سرقت من زوجها ولا يد الخادم إذا سرق من سيده ولا تقطع يد من سرق من المدين الماطل في السداد أو الجاحد والمنكر للدين.

وكذلك لا تقطع يد المنتهب، والمنتهب هو الذي يأخذ المال جهرا بمرأى من الناس فيمكنهم ان يأخذوا على يديه ويخلصوا حق المظلوم منه أو يشهد له عند الحاكم. وكذلك لا تقطع يد المختلس، والمختلس هو الذي ياخذ المال على حين غفلة من مالكه ولا تخلو هذه الحالة من تقصير من صاحب المال مكن المختلس من اختلاسه فأخذ المال من غير حفظ من قبل مالكه.

قال القاضي عياض رحمه الله: صان الله المال بايجاب القطع على السارق و لم يجعل ذلك في غير السرقة كالاختلاس والانتهاب والغصب لانه ذلك قليل بالقياس إلى السرقة ولانه يمكن استرجاع المال الماخوذ بهذه الطرق باستدعاء المنتهبين والمختلسين والمغتصبين إلى ولاة الامور من القضاة والحكام وتسهل اقامة البينة عليهم بخلاف السرقة فانها تندر اقامة البينة عليها لذلك عظم امرها واشتدت عقوبتها ليكون ابلغ في الزجر عنها فهؤلاء من غير السراق يجب عليهم التعزير. عن جابر ان النبي ﷺ قال: (ليس على خائن و لا منتهب ولا مختلس قطع) رواه اصحاب السنن. وقال ابن الجوزية: فمن تمام حكمة الشارع قطع يد السارق دون يد المختلس والمنتهب والغاصب لان السارق لا يمكن الاحتراز منه فانه يثقب الدور ويهتك الحرز ويكسر القفل فلو لم يشرع قطع يد السارق لسرق الناس بعضهم بعضا وعظم الضرر واشتدت المحنة. فجميع من مر ذكرهم لا

يعاقبون بقطع ايديهم بل بالضرب والنكال والسجن الطويل والعقوبة باسترجاع المال منهم ورده إلى اصحابه.

كما انه لا تقطع بنص الشرع الاسلامي يد من التجأ إلى السرقة بدافع الحاجة والجوع فلا تقطع الا يد السارق الذي غالبا ما يضطر من اجل ان يسرق ان يستتر بجنح الليل والظلام ويتسور البيوت الحصينة فيكسر الابواب والشبابيك أو يثقب الجدران ولا تخلو هذه الحالة من ترويع اهل الدار من نساء واطفال ورضع وقد يكون في الدار مريض فيشتد مرضه أو حامل فتجهض. ان انسانا يقدم إلى فعل هذا كله مع انه غني لا يحتاج إلى اموال السرقة ليستحق ان تقطع عنقه لا ان تقطع يده. فحق الافراد في اموالهم حق مقدس لا يستحق لاحد ان يعتدي عليه لذلك حرم الاسلام السرقة وشدد في عقوبتها بقطع يد السارق وفي ذلك حكمة بينة اذ ان اليد الخائنة بمثابة عضو مريض يجب بتره ليسلم الجسم والتضحية بالجزء من اجل الكل مما اتفقت عليه الشرائع والعقول كما ان في قطع يد السارق عبرة لمن تحدثه نفسه بالسطو على اموال الناس فلا يجرؤ ان يمد يده اليها وبهذا تحفظ الاموال وتصان حقوق الناس.

والدول الاوربية والغربية يزعمون ان حد السرقة في الاسلام لا يمكن تطبيقه لانه لو طبق لكانت تقطع في كل يوم الاف الايدي وهذا اعتراف منهم من حيث لا يشعرون بان مجتمعاتهم قد كثرت بين افرادها جرائم السرقة وهذا ما يصرحون به. فقد كنت اسمع من اذاعاتهم نفسها قبل سنوات ان نسبة الجرائم في مجتمعاتهم تبلغ كذا جريمة في كل دقيقة وقد اصبحتُ اسمع منها هذه الايام ان نسبة الجرائم تبلغ كذا في كل ثانية واغلب هذه الجرائم تكون في السرقات. وقد اضطر الاتحاد السوفيتي اخيرا إلى

تشديد عقوبة السرقة بعد ان تبين له ان عقوبة السجن لم تخفف من ارتكاب هذه الجريمة فقرر اعدام السارق رميا بالرصاص وهي اقصى عقوبة ممكنــة. وقد جاء في جريدة الاهرام/ القاهرة بتاريخ 1963/8/11

ان الاتحاد السوفيتي اعدم ثلاثة اشخاص رميا بالرصـــاص لاتهـــامهم بالسرقة ولا يكاد يمر يوم دون ان ينشر مثل هذا كثير[1].وهذه الدول التي تسمي نفسها دولا علمانية لا تؤمن بالاسلام ولا بفكرة الاخرة ولا تؤمن بان هناك جنة ونارا وبعثا وحسابا بعد الممات، فهم بهذه النظرة والمبادئ قد اوجدوا ما يدفع افراد شعوبهم إلى ارتكاب الجريمة والسرقة لانه لا شـــيء يصلح النفوس ويكفها من ان تعتدي على حق غيرها الا الوازع الـــديني، وحكام هذه الدول حين يطلبون من شعوبهم ان يكونوا صالحين بهذه المبادئ غير الاسلامية يكون حالهم كحال من قال فيه الشاعر:

ألقاه في البحر مكتوفًا وقال له *** إياك إياك أنْ تبتل بالماء

والاسلام لا يقيم حد السرقة الا بعد اقامة البينة القاطعة والتثبت من وقوعها. ((جاء في سنن أبي داود [191/4] حدثنا عبد الوهاب بن بجدة ان قوما من الكلاعيين سُرق لهم متاع فاتهموا ناسا من الحاكة فاتوا النعمان بن بشير صاحب النبي ﷺ فحبسهم (فحبس المتهمين) اياما ثم خلى سبيلهم (واطلق سراحهم) فأُتوا (فاتى الكلاعيون) النعمان فقالوا: خليت ســـبيلهم بغير ضرب ولا امتحان؟ فقال النعمان: إن شئتم ان اضربهم فـــإن خـــرج متاعكم فذاك، والا اخذت من ظهوركم مثل ما اخذت من ظهورهم (أي: ان شئتم عاقبتهم لكن إذا تبين ان متاعكم ظهر عند غيرهم و لم يكونوا هم

---

(1) فقه السنة لسيد سابق 358/2.

السارقين لعاقبتكم مثل ما عاقبتهم)، فقالوا: هذا حكمك؟ فقال: هذا حكم الله وحكم رسوله ﷺ. رواه ابو داود).

وكذلك لا يقيم الاسلام حد السرقة الا بعد اقامة المجتمع الاسـلامي وبعد ان يزيل كل دافع اليها، فالدولة الاسلامية ملزمة في شرع الله ان تمكن كل فرد من افراد الامة بان تجد له العمل المناسب الذي يكسب به قوتـه وقوت عياله، وبيت المال في الدولة الاسلامية مطالب بتكملـة النفقـات الضرورية إذا كان العمل وحده لا يكفي، فاذا كان الفرد عاجزا لمرض أو ضعف أو شيخوخة أو كان طفلا فعند ذلك يتكفل بيت المـال بجميـع النفقات اللازمة للحياة الكريمة فاذا حدث برغم هذا الاحتيـاط ان وجـد جائع يسرق لياكل فقد سقط عنه الحد وهو حد السرقة الذي هو قطع اليد.

لذلك اوقف الخليفة عمر رضي الله عنه عقوبة قطع يد السارق في عام الرمادة، وهو عام القحط والجوع الذي اصاب المسلمين، لانه توافر فيه دافع الحاجة إلى السرقة

روي ان عبيدا لابن حاطب بن أبي بلتعة سرقوا ناقة من بني مزينـة، فجيء بهم إلى عمر رضي الله عنه، فأقروا واعترفوا بالسرقة،فأمر كثير بـن الصـلت بقطع أيديهم، فلما همَّ بتنفيذ هذه العقوبة فيهم، صاحوا: يا أمير المؤمنين إنَّ سيدنا ابن حاطب لا يعطينا ما نسد به رمقنا،، فلولا الحاجة والجوع مـا سرقنا، فلما سمع كلامهم عفا عنهم، ثمَّ وجَّه اللوم لسيدهم ابن حاطب بن أبي بلتعة فقال له: وايمن الله إذ لم افعل ذلك لاغرمنك (بدلا من ذلـك) غرامة توجعك. ثم قال: يا مزني بكم اريدت منك ناقتك؟ قال: باربعمئـة. فقال عمر بن الخطاب لابن حاطب: اذهب فاعطه ثمانمئة. فهـذه حادثـة واضحة الدلالة على ان المجرم لا يؤخذ بذنبه حتى ينظـر الحـاكم أولا في

دوافع الجريمة فيزنها بميزان الحق والعدل ويبحث عن المسؤول الحقيقي فيها فيوقع العقوبة عليه

ويروى ان عمر ﷺ هم بقطع يد سيدهم بعد ان علم انه كان هو السبب الرئيس في دفع عبيده إلى السرقة.

وقد بين الاسلام ان السارق إذا فلت من عقاب الدنيا فلن يفلت من عقاب الاخرة الذي هو اشد وانكى. عن أبي هريرة ﷺ قال:(اتدرون من المفلس؟. قالوا: المفلس من امتي من ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وياتي وقد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) رواه مسلم والترمذي.

وعن أبي عثمان عن سلمان الفارسي وسعد بن مالك وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود حتى عد ستة أو سبعة من اصحاب النبي ﷺ قالوا: ان الرجل لترفع يوم القيامة صحيفته حتى يرى انه ناج فما تزال مظالم بني ادم تتبعه حتى ما تبقى له حسنة ويحمل عليه من سياتهم. رواه البيهقي في البعث باسناد جيد.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره على نفسه . رواه احمد باسناد حسن.

وعن أبي عبد الله الاسدي قال: سمعت انس بن مالك ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: دعوة المظلوم وان كان كافرا ليس دونها حجاب. رواه احمد.

فالناس حتى الكافرون منهم والفاجرون واعداء الاسلام في العقيدة حقوقهم مصونة في ظل الاسلام.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم. رواه البخاري والترمذي.

وبينت احاديث نبوية شريفة اخرى ان العبد إذا آمن وتاب بعد ان كان قد اعتدى على حدود الله وعلى اموال الناس فالله سبحانه يتوب عليه ويجوزعن حقوقه ولكن لا يجوز عن حقوق الناس وان كان هؤلاء الناس كفرة ومن اهل النار فالله سبحانه يوم الحساب سيقتص لهم من الظالم أو يدفع اليهم من حسناته بقدر ما ظلمهم قبل ان يدخل هو الجنة وقبل أن يدخلوا هم النار.

فالمرء الذي ينشا منذ نعومة أظفاره على هذه المبادئ انى له ان يعتدي وانى له أين يسرق الا من شذ؟!

في معركة القادسية حين فتح المسلمون بلاد فارس بعث القادة العسكريون بغنائم هذه البلاد الى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فلما نثرت بين يديه وراى ما فيها من غنائم نفيسة التي كان من بينها سوارا كسرى أُعجب بأمانة قادته وجيشه فقال: إن قوما أدوا هذا لأمناء، وكان علي ﷺ حاضرا فقال يخاطب عمر ﷺ: عففتَ فعفتِ الرعية ولو رتعتَ لرتعوا.

وان من مفاخر هذا الدين في هذا الباب ان عدد الايدي التي قطعت طوال الفترة التي طبقت فيها التعاليم الاسلامية كانت ست ايد.

ليعلم احفاد قيصر والصليبية والصهيونية الذين يزعمون ان الحكم بالاسلام يعني قطع الاف الايدي كل يوم، ليعلم هؤلاء انما يحصل هذا بين

افراد شعوبهم الذين نشأوا في ظل مبادئهم العلمانية حسبما يزعمون لا بين افراد شعب نشأ في ظل مبادئ ديننا وعقيدتنا.

اللهم ابعدنا عن الظلم والعدوان واجعلنا من الذين يحبون لغيرهم ما يحبون لانفسهم اللهم امين

حَدُّ الزنى بين رحمة الإسلام
وعِظَمِ التربية

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

(ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين امنوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم. ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من اباهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم).

" في اقامة الحدود الاسلامية (العقوبات على الجناة) نفع للناس لانها تمنع الجرائم وتروع البغاة وتكفهم عن انتهاك الحرمات وتحقق الامن لكل فرد على نفسه وعرضه وماله وسمعته وحريته وكرامته، وقد روى النسائي وابن باجة عن أبي هريرة ﵁ ان النبي ﷺ قال: "من حالت شفاعته (وساطته) دون حد من حدود الله فهو يضاد الله في امره".

وفي العقوبة التي فرضها الاسلام على الزنى رحمة للناس لأن فيها ابعادهم عما يضرهم صحيا واجتماعيا ورحمة للذرية لأن فيها انقاذ الاطفال من ان يولدوا وهم مشردون ضائعون لا اب لهم وانقاذهم من الاصابة بامراض الزنى التي يكتسبونها بالعدوى من امهاتهم الزانيات ورحمة للزوجات العفيفات لأن فيها حمايتهن من ان تنتقل اليهن بالعدوى أيضاً امراض الزنى من ازواجهم الزناة ورحمة للامة باسرها لأن فبها حفظها من ان تقوض اركانها.

ومع ذلك كله فان الاسلام شرع كل ما من شانه ابعاد حد الزنى من تطبيقه على الناس ما امكن إلى ذلك سبيلا. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "ادفعوا الحدود ما وجدتم بها مدفعا". رواه ابن باجة.

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ (ادرؤوا الحد عن المسلمين ما استطعتم (أي حاولوا ان لا تعاقبوا الناس على ما يرتكبون من المعاصي قدر الاستطاعة) فان كان له مخرج (وملجأ) فخلوا سبيله (حاولوا اطلاق سراحه باي حجة شرعية كانت) فان الامام (الحاكم أو القاضي) لأن يخطئ في العفو خير له من ان يخطئ في العقوبة). رواه الترمذي.

والمعنى ان الحاكم إذا عفا عن متهم وهو مستحق العقوبة فعفا عنه خطأ خير له من ان يعاقب متهما وهو بريء فعاقبه خطأ.

وعن عائشة ﷺ فيما رواه ابو داود ان رسول الله ﷺ كان يقول:"اقبلوا من ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود"

وذووا الهيئات هم اصحاب المروءات الذين لا يعرفون بالشر فيزل احدهم الزلة، فقد تصدر منه هفوة، فرسول الله ﷺ يوصينا بان نقبل منهم العثرات فلا نحاسبهم عليها.

وذهبت الشافعية والحنفية واحمد إلى ان الرجوع عن الاقرار يسقط الحد، أي: ان المجرم إذا جيء به لمعاقبته لاعترافه على نفسه لا لشهود اربعة عليه الا انه قبيل تنفيذ الحكم عليه بدَّل من اعترافه وزعم انه بريء لم يرتكب الجريمة التي اقر بها من قبل، فانه في هذه الحال يؤخذ بشهادته الاخيرة، فيترك ولا يقام عليه الحد بل الاسلام اجاز في مثل هذه الحالة ترك اللحاق بمن هرب في اثناء اقامة الحد عليه، لأن هروبه يكون بمثابة من غيَّر اعترافه استنادا لما رواه ابو هريرة: ان ماعزا لما وجد من الحجارة يشتد فر

حتى مر برجل معه عظم الحنك فضربه به وضربه الناس حتى مات، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: هلا تركتموه. قال الترمذي انه حديث حسن.

وحتى عند تطبيق العقوبة على الجاني فإن الاسلام يسعى ما امكن إلى تخفيفها.

فعن أبي اميمة بن سهل بن حنيف عن بعض اصحاب النبي ﷺ قال: اشتكى رجل من الانصار حتى اضنى (أي: اصابه مرض حتى صار نحيلا هزيلا) فعاد جلدة على عظم فدخلت عليه جارية فهش لها، أي:ارتاح لها وخف ونشط فوقع عليها فزنى بها، فدخل عليه رجال من قومه يعودونه فأخبرهم بذلك وقال استفتوا لي رسول الله فإني وقعتُ على جارية دخلت علي، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ وقالوا ما راينا باحد من الضر مثل الذي هو به ولو حملناه اليك لتفسخت عظامه ما هو الا جلد على عظم، فامر رسول الله ﷺ ان ياخذوا له مئة شمراخ (أي مئة عود من اغصان نخل عليه تمر) فيضربونه بها ضربة واحدة (ذلك لتكون بمثابة ضربة بمئة جلدة رحمة به). اخرجه ابو داود والنسائي.

ومن رحمة الاسلام ان احتاط لإثبات جريمة الزنى فاشترط شروطا فيها يكاد من المستحيل توافرها، لذلك لم اجد حسب علمي ان اقيم حد الزنى على مسلم في عهد الرسول ﷺ أو في عهد الخلفاء الراشدين لشهادة اربعة عليه رأوه جميعا رأي العين، وكان جميع الذين اقيم عليهم حد الزنى اقيم عليهم هذا الحد لاعترافهم على انفسهم بارتكاب الجريمة.

يقول احد الكتاب المسلمين: ان جريمة الزنى "لا تثبت الا بشهادة اربعة شهود عدول يرون الجريمة فعلا رأي العين وبدرجة التثبت واليقين، ويشترط ان يكون الشهود اربعة لا أقل حتى إذا نقصوا عن اربعة أو سحب

واحد منهم شهادته لعد الباقون متهمين بالبلاغ الكاذب فوقعت العقوبة عليهم بدلا من توقيعها على المجرم الاصيل.

و لم يكن القصد من المبالغة في هذا الاحتياط تشجيع الفاجرين على الزنى وانما الدافع إلى ذلك هو الحرص على اعراض الناس من تشويه سمعتها بالبلاغات الكاذبة الصادرة من نفوس مريضة وكذلك لجعل التبليغ عن جريمة الزنى نادر الحدوث فلا يتحدث المجتمع عن وقوعها ولا تلوكها الافواه وهذا هو الامر المقصود فان كثرة الحديث عن وقوع الجرائم يهون من امرها لدى المسلمين ويغري ضعاف النفوس باتياها اقتداء بالمثل السيء واما حين لا يذكرها الناس فاها مرهوبة يستبشع الناس حدوثها ولا يقدم عليها احد فيقف هذا حائلا دون انتشارها ولمثل هذا أوصى النبي ﷺ : من وقع في معصية فستر الله عليه فلم يره احد ان لا يعود فيقول صنعت كذا وكذا.

وانما توقع العقوبة على المتبجح الذي يصل تبجحه إلى حد ان يضبطه اربعة من المارة متلبسا بجريمته وأقول من المارة لان التجسس ممنوع بامر القرآن وتسور البيوت لاثبات الجريمة ممنوع كذلك الا ان تقوم القرائن اليقينية على اتخاذها اوكارا لمفسدين في الارض يسعون بها فسادا.

وهذا المتبجح يرتكب في الحقيقة جريمة مزدوجة فليس هو الشخص الذي استولت عليه نزوة الغريزة فلم يقدر عليها وانما هو العابث المستهتر الهازئ بكل تقاليد المجتمع وقوانينه وادابه فهو لذلك لا يستحق الرحمة لا من الله ولا من الناس فيقول القرآن عنه: (وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ){النور: 2}.

اما المجرم المتستر الذي يراعي تقاليد الجماعة حتى وهو يقع في الخطيئة فهو اقل ضررا على المجتمع لان جريمته لن تشيع ولا يكون هناك خطر

العدوى بالقدوة السيئة وهو متروك لضميره وعذاب الاخرة ينتظره في نهاية المطاف وعسى ان يتوب فيتوب الله عليه.

فمن حرص الاسلام على اعراض الناس ورحمته امر بالتستر بان يستر المرء جريمته وان لا يفضح نفسه ولا اخاه ويحثهم من وراء ذلك بالتوبة والاستغفار والله تواب رحيم.

عن أبي المسيب ان رجلا من اسلم يقال له هزال شكا رجلا إلى الرسول الله ﷺ بالزنى وذلك قبل ان يترل قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) {النور: 4} فقال له النبي ﷺ يا هزال لو سترته بردائك لكان خيرا لك. اخرجه مالك وابو داود.

ويجاء إلى الخليفة عمر بمسلم ارتكب ما يوجب حد الزنى ويشهد عليه ثلاثة شهادة تدينه و لم يبق الا شهادة الرابع ثم يصير الحد عقابا محتوما ويرسل عمر ويستدعي الشاهد الرابع ولا يكاد يراه مقبلا حتى تاخذ عمر رهبة وحين تقترب خطاه ينظر اليه امير المؤمنين ويقول ارى رجلا ارجو ان لا يفضح الله به واحدا من المسلمين، ففهم الشاهد المقبل ما يقصده عمر رضي الله عنه فبقدم هذا الشاهد ويقول لم ار شيئا يوجب الحد ويتنفس عمر الصعداء ويفرح لان مسلما نجا من العقاب.

وياتيه رجل يسعى ذات يوم ظانا انه يحمل اليه بشرى فيقول يا امير المؤمنين رايت فلانا وفلانة يتعانقان وراء النخيل فيمسك عمر بتلابيبه ويضربه بمخفقته ويقول له بعد ان يوسعه ضربا هلا سترت عليه ورجوت له التوبة فان رسول الله ﷺ قال: من ستر على اخيه ستره الله في الدنيا والاخرة.

ويأتيه يوما رجل يستغيثه قائلا ان ابنتي قد اصابت حدا من حدود الله (ارتكبت معصية) وأخذت شفرة لتذبح نفسها فادركناها وقد وقعت بعض اوداجها فداويناها حتى شفيت ثم تابت بعد ذلك توبة حسنة وهي اليوم تُخطب إلى قوم: أفاخبرهم بالذي كان؟ فيجيب عمر أتعمد إلى ما ستره الله فتبديه (وتظهره)؟! والله لأن أخبرتَ بها احدا من الناس لأجعلنك نكالا (وعبرة) لاهل الامصار، اذهب وانكحها (وزوجها) نكاح (وزواج) العفيفة المسلمة.

ومن عظم التربية الاسلامية وعمق تاثيرها في رفع النفوس حتى في حالة زللها النموذجان الآتيان اللذان لا نجد لهما نظيرا في التاريخ الا في من تربوا في ظلال القرآن.

عن بريدة ﵁ قال اتى ماعز بن مالك الاسلمي ﵁ (ﷺ) فقال يا رسول الله اني ظلمت نفسي وزنيت واني اريد ان تطهرني فرده.

فلما كان من الغد أتاه فقال يا رسول الله: إني زنيت فرده الثانية فارسل رسول الله (ﷺ) إلى قومه فقال: هل تعلمون بعقله بأسا تنكرون منه شيئا؟ فقالوا ما نعلمه الا وفي العقل من صالحينا فيما نرى فقد رده رسول الله (ﷺ) وسأل قومه عنه لعله مجنون ذلك من اجل ان يجد له ذريعة شرعية فيبعد عنه حد الرجم رحمة به فاتاه الثالثة فارسل اليهم أيضاً فسال عنه انه لا باس به ولا بعقله فقد رده الرسول (ﷺ) أيضاً عند مجيئه اليه في المرة الثالثة الا ان الرجل لم يتراجع عن كلامه واعترافه فجاء اليه في المرة الرابعة ورسول الله (ﷺ) لا يريد ان يقيم عليه الحد حتى قال له (ﷺ) في رواية تبكيتا له بلفظ صريح: هل نكتها؟ قال نعم فحينذاك حين لم يبق امام

رسول الله (ﷺ) اية ذريعة كانت يتوسل بها من اجل ان يبعد تنفيذ الحكم عن هذا الرجل فلما كان الرابعة حفر له حفرة فامر به فرُجِمَ

وبعد ذلك اختلف فيه الصحابة في أمر توبته لكشف ما اقترفه وكان جديرا به ان يستتر على نفسه فمن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة وان الله ستير يحب الستيرين. فحين سمع الرسول ﷺ اختلافهم وكلامهم هذا فيه قال: لقد تاب توبة لو قسمت بين أُمَّة لوسعتهم. رواه الخمسة.

وقد جاء في رواية اخرى قصة هذا الرجل ماعز بن مالك "فامر به فرجم فسمع النبي ﷺ رجلين من اصحابه يقول احدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجِم رَجْم الكلب فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفه حمار شائل رجليه فقال اين فلان وفلان فقالا نحن ذان يا رسول الله قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار. فقالا: يا نبي الله من ياكل من هذا؟ قال: فما نلتما من عرض اخيكما آنفا اشد من اكل منه (فكلامكما واهانتكما اخيكما اشد من اكل جيفة هذا الحمار) والذي نفسي بيده انه الان لفي انهار الجنة ينغمس.

وعن بريدة رضي الله عنه أيضاً قال: فجاءت الغامدية ، وهي امراة من جهينة وقد زنت برجل ليس بماعز بن مالك الأسلمي بل بغيره، فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله اني قد زنيت فطهرني، وكانت متزوجة محصنة وتعلم ان عقابها هو الرجم حتى الموت فردها رسول الله ﷺ. ولم يقم عليها الحد ثم جاءت اليه فيما بعد فلما كان من الغد، وكانت قد علمت وسمعت بقصة ماعز كيف ان رسول الله ﷺ رده ثلاث مرات قبل ان يقيم عليه حد الرجم في المرة الرابعة لذلك حين جاءت اليه مرة اخرى، قالت يا رسول الله لِمَ تردني لعلك تريد ان تردني كما رددت ماعزا فو الله اني لحبلى من الزنى

قال: اما لا، أي: الا تريدين ان تستري على نفسك فاذهبي الان، فـــاذهبي حتى تلدي فرجعت وبقيت شهورا حتى ولدت ولو لم تأته لانقذت نفسها فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة قالت: يا رسول الله، هذا ولدي قد ولدته قال: فاذهبي فترضعيه حتى تفطميه، فقد كان رسول الله ﷺ يرد هذه المراة في كل مرة فلم يحبسها أو يبعث عليها حراسا يراقبونها فكان بامكانهـــا ان تهرب أو في الاقل ان لا تأتيه، وهذا ما كان رسول الله ﷺ يبغيه رأفة بهـــا فبقيت ترضعه وتربيه حتى اصبح قادرا على اكل الطعام والاســـتغناء عـــن ثدييها وحليبها فلما فطمته اتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت يـــا نـــبي الله:هذا ولدي بالزنى فطمته وقد اكل الطعام، حينذاك لم يبق لرسول الله ﷺ أي ذريعة شرعية كانت ليبعد بها حد الرجم عن هذه المراة فشكّت عليهـــا ثيابها أي: لفت عليها ثيابها لئلا تتكشف عند رجمها، ثم امر بها فحفر لها إلى صدرها وامر الناس فرجموها، فاقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه بحجر فرمى راسها فنضح الدم على وجهه فسبها فسمع النبي ﷺ سبه اياها فقال، مهلا يا خالد فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس،المرتكب اشـــنع المعاصي، لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت اخرجه مسلم وابو داود.

وفي الحديث الذي رواه الخمسة الا البخاري عن عمران بن حصين ثم صلى عليها فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت فقال: لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من اهل المدينة لوسعتهم وهل وجـــدتَ توبـــة افضل من ان جادت بنفسها لله تعالى.

فقد كان رسول الله ﷺ ارحم بهذه المراة الزانية من نفسها الا انهـــا كانت اشد حرصا منه على تنفيذ حكم الله فيها، فلم تزل تلح عليه وتأتيه بعد كل عدة ينقضي اجلها حتى اقيم عليها حكم الله.

فما اعظم التربية التي غرسها هذا الدين في نفوس أتباعه، مما لا نجد لها مثيلا حتى في الأساطير. فيا اهل الارض فيا اهل الشرق والغرب هذه هـــي مبادئنا صنعت ما صنعت من المعجزات فأرونا ماذا صنعت مبادئكم؟

اللهم طهر قلوبنا من معاصيك وكما سترت علينا في الدنيا عيوبنـــا فاسترها علينا يوم الدين. اللهم امين.

أول فتنة في الإسلام

بسم الله والحمد لله على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

يا حي يا قيوم بك نستغيث فاصلح لنا شؤوننا كلها ولا تكلنا إلى انفسنا ولا الى غيرك طرفة عين.

يوم الثامن عشر من ذي الحجة يذكرنا باستشهاد عثمان ﵁.

تولى عثمان ﵁ الخلافة اثنتي عشرة سنة، وكان احب إلى قريش من عمر بن الخطاب ﵁؛ لأن عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم. فاستغل ضعاف الايمان والمنافقون هذا اللين فكانوا سبب الفتنة.

أخرج ابن عساكر عن الزهري قال: قلت لسعيد بن المسيب، هل انت تخبرني كيف كان قتل عثمان؟ وما كان شأن الناس وشأنه؟ فقال ابن المسيب: قتل عثمان مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا. فقد ولى عثمان ﵁ عبد الله بن أبي سرح مصر، فمكث عليها واليا سنين. فجاء اهل مصر إلى عثمان ﵁ يشكون اليه واليهم هذا بانه يظلمهم فكتب عثمان ﵁ إلى والي مصر كتابا يتهدده فيه وابى بن أبي سرح ان يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من اتاه من قبله من اهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله، فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة ﵃ في مواقيت الصلاة من صنع ابن أبي سرح بهم فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد، وارسلت عائشة رضي الله عنها اليه تطلب منه ان يسمع لشكوى هؤلاء المصريين وينصفهم من عاملهم وواليهم أو يعزله، ودخل عليه علي بن أبي طالب ﵁ فطلب منه مثل ذلك.

تامل هنا اخي القارئ عظم الحرية التي منحها الاسلام لعامة المسلمين كيف ضمن لهم ان يطالبوا بحقوقهم أعلى سلطة في الدولة الاسلامية وبصفة

خاصة وجها لوجه وبدون حجاب وحراس، وتأمل ماذا كان رد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، انه لما سمع شكواهم من واليهم قال لهم: اختاروا رجلا أولِّيه عليكم مكانه.

هذا الكلام يمثل اعلى درجات ما سمى اليوم (الديمقراطية) يطلب رئيس الدولة من الشاكين أن يختاروا من يرضونه واليا عليهم، فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر، وعزل والي مصر بن أبي سرح على الرغم من انه كان من اقربائه.

وخرج معهم عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين اهل مصر وابن أبي سرح فخرج محمد ومن معه، فلما كانوا على مسيرة ثلاثة ايام من المدينة إذا هم بغلام اسود على بعير فقال له اصحاب محمد ما قصتك وما شأنك كأنّك هارب أو طالب؟ فمرة يقول لهم انا غلام مروان ومرة يقول انا غلام امير المؤمنين وجهني الى والي مصر، ففتشوه فوجدوا معه كتابا مكتوبا من عثمان إلى ابن أبي سرح إذا اتاك محمد وفلان وفلان فاحتل (ودبر حيلة) في قتلهم وأبطل كتابه (ولا تأخذ به) وقر على عملك (وابق في منصبك) حتى يأتيك رأيي. واحبس من يجيء اليك يتظلم (ويشكو) منك لياتيك رأيي في ذلك ان شاء الله تعالى.

فلما قرؤوا الكتاب فزعوا ورجعوا إلى المدينة، فجمعوا طلحة والزبير وعليا وسعدا ومن كان من اصحاب محمد ثم فكوا الكتاب بحضرتهم وأخبروهم بقصة الغلام واقرؤوهم الكتاب فلم يبق احد من اهل المدينة الا غضب على عثمان رضي الله عنه.

فحاصر الناس عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين، فلما رأى ذلك علي رضي الله عنه بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة وكلهم بدري

ممن جاهدوا في معركة بدر ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير،فقال له علي: أهذا الغلام غلامك؟ قال نعم. والبعير بعيرك؟ قال نعم. والخاتم خاتمك؟ قال نعم.

قال: فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا، وحلف بالله ما كتبتُ هذا الكتاب ولا امرتُ به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط ولا علم لي به.

فخرج اصحاب محمد من عنده وعلموا ان عثمان لا يحلف بباطل، ثم بدا لهم ان الذي كتب الكتاب مروان كتبه من غير علم عثمان ومن غير اذنه.

ولا يستبعد ان يكون الذي قام بهذا التزوير نفر من زعماء الثوار، ولا غرابة ان يفعلوا ذلك اذ لهم سابقة في مثل هذا التزوير فحين عزموا امرهم على الخروج من مصر والكوفة والبصرة إلى المدينة دس بعض زعمائهم حيلة، يحملون بها اكبر عدد من المسلمين على الخروج معهم فزوروا كتابا على لسان ام المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم يدعون المسلمين فيها إلى الزحف على المدينة لقتال عثمان، و لم تعرف حقيقة هذه الخدعة الا بعد وقوع الواقعة واغتيال عثمان رضي الله عنه.

وكان مروان عنده في الدار، فطلبوا منه ان يسلمهم مروان الذي كان رئيس ديوان الخليفة أو يعتزل عن الخلافة. ولكي يحافظ عثمان رضي الله عنه على هيبة الدولة الاسلامية، رفض هذين الامرين الا انه كان قد وعد الثائرين بعزل مروان وعزل امراء الامصار الذين يشتكون منهم واعطى عليا وعدا صادقا وعهدا وثيقا بذلك.فلم يسلمهم مروان لانه علم انهم سيقتلونه، و لم يفعل ذلك رضا بما فعله مروان "وانما هي طبيعة رجل لا يطيق ابدا ان يسلم بيديه انسانا إلى ساحة القتل والاعدام"؛ لذلك رفض المطلب الاول.

اما فيما يخص المطلب الثاني وهو اعتزاله عن الخلافة فقد استشار عثمان رضي الله عنه عبد الله بن عمر احد العبادلة الثلاثة واحد فقهاء الصحابة الذين شهد لهم الرسول ﷺ بعلمهم وورعهم واصابة رأيهم فقال عثمان رضي الله عنه: ان هؤلاء القوم يريدون خلعي فإن اجيبهم تركوني وان ابيتُ قتلوني فماذا ترى؟ فاجابه عبد الله بن عمر لا، فلا تسن هذه السنة في الإسلام وتخلع قميصا البسكه الله. كما ان عثمان رضي الله عنه قد ذكر وصية كان الرسول ﷺ قد اوصاه بها: وهذه الوصية النبوية هي: "يا عثمان إذا الله كساك يوما سربالا واراد المنافقون على خلعه فلا تخلعه لظالم". وفي رواية اخرى ان الرسول ﷺ قال له: يا عثمان ان الله عسى ان يلبسك قميصا فإن ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني يوم القيامة. فقد البسه الله لباس الخلافة وها هم الثوار المتمردون المنافقون كما وصفهم الرسول ﷺ يريدون بقوة السلاح ان يكرهوه على خلعه وعثمان رضي الله عنه يريد تنفيذ الوصية التي اوصاه بها رسول الله ﷺ.

حاصر الثوار دار عثمان رضي الله عنه ومنعوا عنه الماء الذي تتفجر به بئر رومة التي اشتراها من خالص ماله في اوائل ايام الهجرة إلى المدينة وجعلها صدقة منه للمسلمين فبلغ ذلك عليا رضي الله عنه فبعث اليه بثلاث قرب مملوءة ماء، فما كادت تصل اليه وجرح بسببها عدد من المدافعين عنه من موالي بني هاشم وبني امية حتى وصل اليه الماء، ثم قال لابنيه الحسن والحسين اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا احدا يصل اليه وبعث الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه وبعث عدد من اصحاب رسول الله ﷺ ابناءهم يمنعون الناس عنه حتى خُضب الحسين بن علي بالدماء وكذلك جُرح محمد بن طلحة وشج قنبر مولى علي رضي الله عنه.

فقد ابلت ثلة طاهرة تحت امرة الحسن والحسين وابن الزبير وابن عمر بلاء حسنا في صد المتمردين الواقفين على باب دار الخليفة لقتله حتى ردتهم على اعقابهم.

واخرج احمد عن المغيرة بن شعبة انه دخل على عثمان وهو محصور فقال: انك امام العامة وقد نزل بك ما ترى واني اعرض عليك خصالا ثلاثا: إما ان تخرج فتقابلهم فإن معك عددا وقوة وانت على الحق وهم على الباطل، وإما ان نخرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على راحلتك فتلحق بمكة فإنهم لن يستحلوك وانت بها (فلن يستطيعوا قتلك هنالك)، وإما ان تلحق بالشام فانهم اهل الشام وفيهم معاوية، فقال عثمان: أما ان اخرج فأقاتل فلن اكون اول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأما ان اخرج إلى مكة فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول يلحد (ويكفر) رجل من قريش بمكة فيكون عليه نصف عذاب العالم فلن اكون انا،وأما ان الحق بالشام فلن افارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ.

لقد وقف الحسن والحسين ابنا علي ارسلهما ابوهما ليحرسا منافذ الدار وكان معهما عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر واخرون.

وكانوا جميعهم مستعدين لصد الثوار جميعا وكانوا قادرين على ذلك الا ان عثمان رضي الله عنه امر كل من وقف ليدافع عنه بأن يلقي سلاحه ويذهب عنه وكان يقول لهم "اعزم عليكم لمَّا رجعتم فوضعتم اسلحتكم ولزمتم بيوتكم" وكان يقول لهم "اناشدكم الله الا تهرقوا بسببي دماء".

فقد حاصر الثوار "داره شاهرين سيوفهم وتواتيه فرص قتالهم وقتلهم فيرفضها قائلا كلمته الخالدة: "ما احب ان القى الله وفي عنقي قطـــرة دم لامرئ مسلم".

ثم تواتيه فرص الخروج من الدار المحاصرة والنجاة من القتلة المتربصين فيرفضها معلنا انه على موعد في الجنة مع الرسول وصاحبيه وانه يتهيأ الان للسفر إلى موعده".

وقد عرض معاوية على الخليفة عثمان ان يصحبه إلى الشام فـــرفض عثمان رضي الله عنه عنه قائلا: "لا اختار بجوار رسول الله جوارا".

وعاد معاوية يعرض عليه ان يرسل جيشا من الشام يرابط بالمدينـــة ويحافظ على حياة الخليفة، فرفض عثمان أيضاً هذا الأمر وقال: "اخشى ان يزحموا المدينة فتضيق بهم على اصحاب رســـول الله ﷺ مـــن المهـــاجرين والانصار".

وعاد معاوية يقول لعثمان رضي الله عنه: اذن سيقتلونك وكان جواب الخليفة العظيم: حسبي الله ونعم الوكيل". هنا تبدو عظمة الاسلام من بين الـــنظم والاديان في صنع الرجال وعظمة الخليفة عثمان من بين الملوك، فأي ملـــك من ملوك الدنيا في غير أُمة القرآن تعرض بمثل هذه المحنة ثم رفض نصرة من اراد ان ينصره خوفا من ان تسفك قطرة دم من اجله؟ بل عثمان رضي الله عنه رفض نجدة من اراد ان ينجده خوفا على رعيته من ان تضيق بهم طرقهم. فيالها من تضحية وايثار وحرص على مصلحة الامة ففدى بعرشه ونفسه من اجل ان لا تشتد إلى حد ما محنة رعيته.

اما محمد بن أبي بكر فقد كان من الثوار الا انه تراجع وندم في آخر الأمر وراح هو الآخر يدافع عن عثمان حتى استطاع ان يصدهم عنه لمـــا

اقتربوا منه لقتله، فلما راوا ان محمد بن أبي بكر قد تخلى عنهم وان عددا من بني هاشم جرحوا وخشوا ان تحصل بينهم وبين بني هاشم مواجهة كبيرة فاسرعوا في تدبير حيلة لاغتياله فنظروا فاذا دار مجاورة لدار الخليفة قريبة المنال فتسوروا عليه من هذه الدار فقتلوه ﷺ وخرجوا هاربين من حيث دخلوا و لم يعلم احد ممن كان يحرسه ويدافع عنه لأنهم كانوا جميعا فوق البيت وصرخت امراته و لم يسمع صراخها احد لِما كان في الدار من الجلبة وصعدت إلى الناس فقالت: ان امير المؤمنين قد قتل فدخل عليه الحسن والحسين ومن كان معهما فانكبوا عليه يبكون فدخل الناس فوجدوا عثمان مقتولا فبلغ ذلك عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا من بيوتهم وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان ﷺ وهو مقتول فاسترجعوا وقال علي لابنيه الحسن والحسين كيف قتل امير المؤمنين وانتما على الباب، فرفع يده ولطم الحسن والحسين رضي الله عنهما فخرج علي ﷺوهو غضبان فلقيه طلحة فقال له مالك يا ابا الحسن ضربت الحسن والحسين لو دفع عثمان مروان لم يقتل، فقال علي ﷺ لو خرج اليكم مروان لقتل قبل ان تثبت عليه حكومة (وتهمة) لقتل قبل ان يحاكم.

وروي عن ابن عباس ﷺ ان رسول الله ﷺ قال لعثمان تقتل وانت مظلوم.

واخرج البخاري عن أبي عبد الرحمن السلمي ان عثمان حين حوصر اشرف عليهم، فقال: انشدكم بالله، ولا انشد الا اصحاب النبي ﷺ: الستم تعلمون ان رسول الله ﷺ قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزته؟، الستم تعلمون ان رسول الله ﷺ قال: من حفر بئر رومة فله الجنة؟ فحفرتها فصدقوه بما قال.

حتى ذُكر ان عثمان ﷺ اشترى الجنة مرتين.

وقد استمر حصار المرتدين لعثمان في داره اربعين ليلة وقيل خمسين.

وقد دفن عثمان ﷺ بملابسه و لم يغسل، وعن سهل بن حنبس وكان ممن شهد قتل عثمان قال: لما امسينا قلت: لئن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثلوا به فانطلقنا به إلى البقيع فامكنا له من جوف الليل ثم حملناه فغشينا سواد من خلفنا (فظنناهم قتله عثمان وانصارهم) حتى كدنا نتفرق (خوفا منهم) فاذا مناد (من بين هذا السواد) لا روع عليكم (لا خوف عليكم) اثبتوا فانما جئنا لنشهد معكم وكان ابن حنبس يقول هم الملائكة.

وعن عبد الله بن سلام قال: دخلت على عثمان لأُسلم عليه وهو محاصر فقال مرحبا يا اخي، فقلت يسرني لو كنت فداءك يا امير المؤمنين، فقال الليلة رايت رسول الله ﷺ وقد مثل لي في هذه الخوخة (كوة وفتحة من الدار) وأشار عثمان بيده إلى خوخة في اعلى داره فقال لي: يا عثمان حصروك؟ قلت نعم. قال: عطّشوك؟ قلتُ نعم قال: فدلى دلوا فشربت منه فها أنا اجد برودة ذلك الدلو بين ثديي وكتفي فقال: ان شئتَ افطرتَ عندنا وان شئتَ نُصرتَ عليهم فاخترتُ الفطر.

لذلك صام تلك الليلية فقُتل وهو صائم ويقرأ القرآن من سورة البقرة فقطرت من دمه على قوله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾{البقرة 137}

واول ما ضرب على يده بالسيف فقطعت يده فقال: اما والله انها اول كف خطت القرآن (وكتبته بين يدي رسول الله ﷺ). فقد كان عثمان ﷺ من كتاب الوحي.

واستشهد عثمان ﷺ يوم الجمعة 8 من ذي الحجة سنة 35 للهجرة يوم 17 حزيران سنة 656 ميلادية وكان عمره82 سنة.

وعن الحسن قال شهدت عثمان بن عفان دفن في ثيابه بدمائـــه، وفي البخاري انه لم يغسل وانه دفن بالبقيع.

وعن زيد بن أبي حبيب قال: ان عامة من أشار إلى قتل عثمان جنوا. وعن محمد بن الحنيفة ان عليا قال يوم الجمل: لعن الله قتله عثمان في السهل والجبل.

وعن عبد الله بن الحسن انه قد ذكر عند علي ﷺ قتل عثمان فبكى حتى بل لحيته: اخرجه ابن السمان.

ومن الدروس التي نستنبطها من هذه الموعظة ان عظم الديمقراطية(1) التي منحها الاسلام لعامة المسلمين كانت السبب الذي ادى إلى قتل عثمان ﷺ، بل كانت هذه الديمقراطية التي طبقها الاسلام بمبادئه السامية قبل اربعة عشر قرنا اعظم من الديمقراطية التي تتباهى بها امريكا اليوم وتفخر بها على العالم والمبنية على الفسق والفجور، فقد سمع وشاهد العالم كله عبر وسائل الإعلام والاذاعة والتلفزيون والجرائد والمجلات بداية هذا العـــام 1999م انباء تورط الرئيس الامريكي بيلك كلنتن بفضيحة جنسية، فقـــد رفعـــت مواطنة امريكية تعمل موظفة في البيت الابيض شكوى ضده ادعت بانـــه كانت له علاقة غرامية معها وانه تحرش وزنى بها في حرم البيت الابيض.

---

(1) لا يصح ان نسمي الاسلام نظاما ديمقراطيا لان الديمقراطية مصطلح حديث قامت على أسس غير الأسس الإسلامية ، لكن استخدمنا هذا المصطلح لبيان عظمة الإسلام في هـذا الجانب.

وسمعت باذني من اذاعة امريكا ولندن وفرنسا ان من التهم التي وجهتها اليه هذه الموظفة انه كان يطلب منها ان تقبض فرجه، وقد عرضت على شاشة التلفزيون عدة مرات تدلي بشهادتها ويصرح المذيع باسمها، وكنت اراها مبتسمة دائما غير مبالية بما فضحت به نفسها.

فطلب اعضاء من الكونغرس محاكمة الرئيس الامريكي، فكذب الرئيس اول مرة واستمرت الموظفة الامريكية تؤكد ما تدعيه بدليل تلو دليل وكان من ادلتها انها قدمت احد ملابسها وهو ملطخ بالمني فثبت بالفحص انه كان مني الرئيس الامريكي، ثم اعترف في اخر الامر بعلاقته معها وانه قد زنى بها في البيت الابيض، وأعلن ندمه وتوبته حتى سمعت من الاذاعات انه طلب من الكنيسة ان تغفر له ذنبه هذا.

ثم استمر اعضاء الكونغرس في محاكمته حتى انتهت نتيجة المحاكمة بعدم عزله عن الرئاسة لا لأن المحكمة اثبتت براءته ولكن لكونها عدت هذا الفعل الذي صدر منه لا يستوجب عزله.

فديمقراطية الاسلام وصلت إلى ان يتمرد المتمردون فيعمدون إلى قتل امير المؤمنين عثمان ﷺ، لأنه فقط لم يسلم اليهم مروان، رئيس ديوان الخلافة، على الرغم من اعترافهم بان عثمان ﷺ كان بريئا من التهمة التي وجهت اليه.

في حين ان ديمقراطية امريكا اقرت ببقاء الرئيس الامريكي في سلطته على الرغم من اعترافه امامهم بانه قد اهان هيبة الدولة الامريكية حين زنى بموظفة تعمل عنده في قصر الدولة والرئاسة.

فاين ديمقراطية امريكا اليوم من ديمقراطية الاسلام بالامس؟!

اللهم رد امة محمد ﷺ إلى دينها وجنبها الفتن ما ظهر منها وما بطن وجنبنا اللهم كل فتنة حتى نلقاك غير مفتونين اللهم امين.

لا إكراه في الدين
ولماذا الفتوحات الإسلامية

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، قال الله تعالى: (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {8} إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ){الممتحنة:8-9}

كان الدافع للفتوحات الإسلامية أمرين أساسيين:

الأول: هو الدفاع عن الدولة الإسلامية الفتية، إذ كانت مهددة بالقضاء عليها من الدولة الفارسية من جهة الشرق، والدولة الرومانية من جهة الغرب، فاندفع المسلمون شرقًا وغربًا لإزاحة هذين الخطرين.

الثاني: هو أنَّ المسلمين وجدوا أنفسهم مكلفين بتبليغ الناس بالإسلام، وأنّ الله سبحانه قد أناط بهم هذه المسؤولية الإنسانية ، بل قد أمرهم بهذا ضمنًا حين أمر نبيهم بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ){المائدة: 67} وشرفهم الله سبحانه بأداء هذا الأمر الرباني؛ بأن جعلهم شهداء على الناس يوم القيامة، قال الله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا){البقرة: 143}

فقد وجد الرعيل الأول من المسلمين أنفسهم بأنَّهم قد أصبحوا مكلفين، بأن يكونوا بمثابة رسل الله مبشرين ومنذرين؛ ذلك عن طريق حمل

الرسالة الإسلامية، وإيصالها إلى الناس؛ ليقيم الله الحجة على الناس، يوم يقوم الناس لرب العالمين، كما قال الله تعالى: (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا){النساء: 165}

فاندفعوا مضحين بأموالهم وأنفسهم خارج أوطانهم؛ لإنقاذ شعوب الدنيا من ذل عبوديتهم للحكام، إلى عزعبوديتهم لله، إلاّ أنّ الطواغيت التي تحكم تلكم الشعوب لم يرق لهم أن يروا شعوبهم قد تحررت بالإسلام، فسخروا جيوشهم المغلوبة على أمرها لصد الدعاة المسلمين من أداء هذا الأمر الرباني الذي فيه خلاص البشرية من عذاب الدنيا والآخرة؛ مما اضطر الصحابة والتابعين لحمل السيف ضدهم؛ ليتسنى لهم تبليغ شعوب العالم بدين الله فحسب، من غير إكراههم على اعتناقه؛ ليسلم منهم طوعًا من رغب في الإسلام؛ فلولا تلك الفتوحات التي تحمل عناءها المسلمون الأوائل، لما كان ثلث البشرية ينعمون اليوم بنعمة الإسلام التي لا تعادلها نعمة؛ فرضي الله عنهم جميعًا، وجزاهم الله عنا كل خير.

وبعد هذا نقول بأنَّ الإسلام قد رسم لنا منهجا عاما في التعامل مع غيرنا من غير المسلمين ويمكن ان يمثل السياسة الخارجية للدولة الاسلامية، وهذا المنهج هو ان نحسن إلى من هم ليسوا على ديننا إذا احسنوا الينا و لم نلق منهم الأذى والعدوان سواء كانوا يهودا أم نصارى ام مشركين وكافرين. لكن علينا ان نجابه منهم من يظهر لنا عدوانه واذيته.

فكما نجد من النصارى من يحاربنا في ديننا وعقيدتنا نجد قسما اخر منهم يدافع عنا ضد زملائه وبني جنسه،وقد تسمع من يطعن في الاسلام انه انتشر بالقوة والسيف، فيقول: ان القرآن يقول (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ)

{آل عمران: ١٩}، ويقول: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ){آل عمران: ٨٥} وهذا يعني ان من لم يسلم يجب قتاله لانه لا يقبل عند الله الا الاسلام.

يقول ميشينر وهو استاذ اجنبي غير مسلم يُدرِّس في جامعة هارفرد في كلية التربية بولاية كولورادو الامريكية الحاصل على جائزة كوبترر 1947م، وقد مارس تدريس نظرية تدريس التاريخ، نقلا من مجلة ريدرز دايجست حزيران 1975م، بالغ من العمر 70 عاما.

يقول هذا الاستاذ في مقال نشره في هذه الجريدة:

((انه في احدى الكنائس في امريكا لصقت عليها صور للمسيح وموسى وبوذا بشكل تظهر انهم دعاة سلام في حين اظهروا صورة لمحمد (ﷺ) وبيده سيف يلوح به: إما الاسلام أو الموت.))

فانتقد هذا الاستاذ الكبير هذه المعاملة التي تعامل بها بلاده الاسلام ومما ذكره: "من اغرب الحقائق في عالمنا المعاصر ان الاسلام تعرض إلى فهم بائس".

ثم بعد ذلك راح يثني كثيرا على الاسلام ومعاملته السمحة.

هذه التهمة التي يوجهها ضد الاسلام مستشرقون غربيون لا تستند إلى واقع، بل هؤلاء المستشرقون انفسهم يعلمون علم اليقين انها كذب ومفتريات الا انهم يسعون من شيوعها في بلدانهم صرف الناس عن هذا الدين، لذلك نجد مستشرقين اخرين اكثر منهم علما لم تخف عليهم سخف هذه التهمة فراحوا يفندونها بالادلة المنطقية والواقعية.

من الكتب التي اطلعت عليها كتاب: تاثير الاسلام على اوربا، تاليف المستشرق مونتمكري واط ترجمة الدكتور عادل نجم عبو الاعرج. يقول هذا المستشرق، ص13-14:

((ان حضارات القبائل الوثنية في الجزيرة العربية كان عليها ان تختار بين الاسلام والسيف الا ان تعامل المسلمين كان مختلفا تجاه اليهود والمسيحيين والزرادشتيين وغيرهم ممن احتسبوا ضمن (اهل الكتاب) حيث عدوا دياناتهم الديانات الشقيقة للاسلام برغم الدعوى القائلة بان الاتباع المعاصرين لتلك الديانات قد ابتعدوا عن جوهرها، ومهما كان الامر فانهم عدوا (اهل الكتاب).

وعد المسلمون "معظم سكان الاقطار التي فتحوها اول الامر خارج الجزيرة العربية ضمن (اهل الكتاب) لذلك فإن فرض الجهاد لم يكن يرم إلى تحويل اولئك السكان إلى الاسلام بقدر ما كان يرمي إلى اعترافهم بالحكم الاسلامي وبمترلتهم اناسا يحميهم الاسلام وكانت حمايتهم للذميين واجبا مفروضا وكانت تمثل بالنسبة للدولة الاسلامية كلمة شرف تلتزم بها الدولة وتنفذها"[1]

ويذكر ص120 بان الاوربيين يزعمون ان الاسلام انتشر بحد السيف فعقب على ذلك بقوله: (("ان التصور الاوربي للاسلام في هذا الجانب بعيد كل البعد عن الحقيقة فكما وضحنا في الفصل الاول: ان الاختيار بين الاسلام والسيف لم يفرض على اليهود والمسيحيين واتباع الديانات السماوية الاخرى بل اقتصر على الوثنيين"))[2].

(1) تاثير الاسلام على اوربا/ واط، ص13-14.

(2) المصدر نفسه، ص120.

ويقول: ((لم يكن يوما من اغراض الحرب في الاسلام اكراه النـــاس على اعتناقه لا في مبادئه النظرية ولا في واقعه التاريخي، اللـــهم الا فلتـــات عارضة وقعت خطأ ممن لم يفهموا حقيقة الدعوة الاسلامية ولا تحسب على الدين لانها ليست من هذا الدين)) [1].... ويقول سير، ت،و، ارنولــد في كتابه: الدعوة إلى الاسلام، ترجمة حسن ابراهيم وزميليه ص51: "ومـــن هذه الامثلة التي قدمناها انفا عن ذلك التسامح الذي بســـطه المســـلمون الظافرون على العرب المسيحيين في القرن الاول من الهجـــرة واســـتمر في الاجيال المتعاقبة نستطيع ان نستخلص بحق ان هذه القبائل المسيحية الـــتي اعتنقت الاسلام انما فعلت ذلك عن اختيـــار وارادة حـــرة وان العـــرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح.)) ويقول ص 48(("ويمكن ان نحكم من الصلاة الودية التي قامت بين المسلمين والمسيحين من العرب بأن القوة لم تكن عاملا حاسما في تحويل الناس إلى الاسلام فمحمد ﷺ نفسه قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية واخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في اقامة شعائرهم الدينية. كمـــا اتاح لرجال الكنيسة ان ينعمـــوا بحقـــوقهم ونفـــوذهم القـــديم في أمـــن وطمأنينة")) وهناك كتب عديدة غير التي تقدم ذكرها الفها غربيون تتعلق بالسيرة النبوية أو الحضارة الإسلامية وهم بذلك يردون على اخوانهم الذين يطعنون في بعض جوانب من شخصية الرســـول ﷺ أو في جوانـــب مـــن التشريع الاسلامي.

---

(1) المصدر نفسه،

وقد اطلعت أيضاً على كتاب حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر وصاحب هذا المؤلف كان قد طاف البلاد الاسلامية والعربية في اواخر القرن التاسع عشر واحتك بالمسلمين وتعرف إلى طرق حياتهم، والتقط صورا كثيرة في اثناء تجواله منها صور لمكة والكعبة في اثناء الحج وكان قد طبع كتابه باللغة الفرنسية عام 1888م ثم ترجم إلى العربية اول مرة عام 1947م.

ومما قاله عن انتشار الاسلام: ص127-128 ((وسيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب واسباب انتصاراتهم، ان القوة لم تكن عاملا في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين احرارا في اديانهم، فاذا حدث ان اعتنق بعض الاقوام النصرانية الاسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لِما راوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من ساداتهم السابقين ولما كان عليه الاسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل.

وقد اثبت التاريخ ان الاديان لا تفرض بالقوة فلما قهر النصارى عرب الأندلس فضل هؤلاء القتل والطرد عن آخرهم على ترك الاسلام.

و لم ينتشر القرآن بالسيف اذن بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب.... وبلغ القرآن من الانتشار في الهند،عن طريق التجار المسلمين لا عن طريق السيف.))[1]

وبيَّن في هذا الكتاب نفسه التسامح الاسلامي تجاه الاديان الاخرى وقسوة الصليبيين ضد المسلمين فقال: (("وكانت القدس تابعة في ذلك الحين لسلطان مصر الذي استردها من الترك فاستولى عليها الصليبيون في

(1) حضارة العرب للمستشرق الفرنسي غوستاف لوبون، ص127-128.

15 يوليه سنة 1099 وقد جاء في الاقاصيص ان القديس جورج تراءى للصليبين (يعني ظهر لهم وهو في عداد الاموات كما يقولون عن ظهور مريم احيانا للنصارى فظهر لهم هذا القديس) من جبل الزيتون وانه حرضهم على القتال فانقضوا على اسوار القدس واقتحموها.

وكان سلوك الصليبين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب نحو النصارى حين دخلها منذ بضعة قرون.

قال كاهن مدينة لوبي ريموندا جيل:حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على اسوار القدس وبروجها فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا اقل ما يمكن ان يصيبهم وبقرت بطون بعضهم فكانوا يضطرون إلى القذف بانفسهم من اعلى الاسوار وحرق بعضهم في النار فكان ذلك بعد عذاب طويل (يعني يعذبون في البداية عذاب طويلا ثم بعد ذلك يحرقونهم في النار) وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى اكداس من رؤوس العرب وايديهم وارجلهم فلا يمر المرء الا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا. وروى ذلك الكاهن الحليم خبر ذبح عشرة الاف مسلم في مسجد عمر فعرض الوصف اللطيف كالآتي،....ولم يكتف الفرسان الصليبيون الاتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمرا اجمعوا فيه على ابادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود والخوارج النصارى الذين كان عددهم نحو ستين الفا فافنوهم على بكرة ابيهم في ثمانية ايام. ولم يستثنوا منهم امراة ولا ولدا ولا شيخا "[1].

([1]) المصدر نفسه، 326-327.

وقال: ((وكان تعميد العرب كرها (أي تحويلهم إلى نصارى) فاتحة ذلك الدور... ولم تتم عملية التطهير بالنار الا بالتدرج لتعذر احراق الملايين من العرب دفعة واحدة، ونصح كردينال طليطلة التقي الذي كان رئيسا لمحاكم التفتيش بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب رجالا ونساء وشيوخا وولدانا، ولم ير الراهب الدومينيكي بليد الكفاية في ذلك فاشار بضرب رقاب من تنصر من العرب، ومن بقي منهم على دينه، وحجته في ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من العرب؛ فمن المستحب اذن قتل جميع العرب بحد السيف لكي يحكم الرب بينهم في الحياة الاخرة ويدخل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم.

ولم تر الحكومة الاسبانية ان تعمل بما أشار به هذا الدومينيكي الذي ايده الاكليورس في رايه لِما قد يبديه الضحايا من المقاومة، وامر في سنة 1610م باجلاء العرب من اسبانية، فقتل اكثر مهاجري العرب في الطريق، وابدى ذلك الراهب البارع ارتياحه لقتل ثلاثة ارباع هؤلاء المهاجرين في اثناء هجرتهم، وهو الذي قتل مئة الف مهاجر من قافلة واحدة كانت مؤلفة من 140.000 مهاجر مسلم حينما كانت متجهة إلى افريقية))[1].

والله سبحانه هو الذي سخر هؤلاء ليبينوا الحقائق لاقوامهم لتكون دلائلهم ابلغ وحجتهم اقوى، لأن الذي رد عليهم واوضح زيف كلامهم اناس منهم ينتمون إلى نفس القومية واللغة والدين والبلد واوسع واشهر منهم علما وافضل منهم اخلاقا وسيرة.

([1]) المصدر نفسه، 270-271.

وذكر الشيخ إبراهيم النعمة أنَّ من صور الاضطهاد الاخرى ضد المسلمين ان الاستعمار الفرنسي في افريقيا الوسطى منع تدريس اللغة العربية لابناء المسلمين في أي مدرسة كانت... وجعل مفتشين يقومون بتفتيش المدرسة الوحيدة للمسلمين في العاصمة (بانكي)، ومن هؤلاء المفتشين رجل فرنسي ولد في الجزائر يحسن العربية كتابة وقراءة كان مكلفا للتفتيش بل كان ياتي في الاوقات كلها فاذا علم الطلاب المسلمون أو المدرسون بقدومه اخفوا ما معهم من كتب العربية تحت الحصير ثم جلسوا فوقها ووضعوا امامهم كتبا اخرى، بل كان هذا المفتش الصفيق يأتي إلى مدير المدرسة في بيته ويبحث عن كتب العربية عنده، حتى يبحث عنها تحت سريره.

كما الهم وضعوا حراسة مشددة على الحدود السودانية والتشادية، فاذا جاء احد من السودان أو تشاد يريد دخول البلاد فتشوه، فاذا وجدوا كتبا معه بالعربية سحبوه واخذوا منه الكتب، وظل الامر على هذا الحال حتى الاستقلال عام 1960[1].

ان القرآن الكريم لم يدع إلى نشر الاسلام بالقوة بل قال تعالى: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ){النحل: ١٢٥} وقال تعالى: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ){البقرة: ٢٥٦}

وذكر الأخ إدريس الكلاك في مقال نشره في مجلة التربية الاسلامية بعنوان: الجهاد ومشروعية القتال في الاسلام ما ملخصه: إنَّ القران لا يريد

---

[1] هذا ما ذكره الشيخ ابراهيم النعمة في كتابه الاسلام في افريقيا، وكان الشيخ ابراهيم النعمة قد زارهذه البلاد ودرس فيها.

نشر الاسلام بالقوة لان الذين يدخلون الاسلام عن هذا الطريق يكونـــون منافقين.

وبروز ظاهرة النفاق في المدينة اعطت المسلمين درسا في الابتعاد عن اكراه الناس على قبول الاسلام.

وكان الرعيل الاول مرهفي الحس في هذا الصدد، فقد روي ان عمر بن الخطاب ﷺ وجد امراة من غير المسلمين –يهودية أو نصرانية– بلغـــت ارذل العمر، جاءته تسأله (تستجدي منه) فقال: هل اسلمتِ؟ قالـــت: اني اريد ان اموت على ديني، فخشي عمر ﷺ أن يكون قد اغلظ لها في القول مما يشبه الاكراه: وقال: اللهم اني لا اريد ان اكرهها ثم تلا قوله تعالى: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

وقد بالغ كثير من العلماء في احترام حرية الاديان، وما يعجـــب في هذا الموضوع ما يقوله علماء الشافعية: إذا اسلمت زوجـــة الـــذمي. أي: زوجة النصراني أو اليهودي لا يعرض الاسلام على زوجها لان في عـــرض الاسلام عليه اكراها له على الاسلام من طريق خفي وذلـــك ان الاســـلام يفرق بينها وبين زوجها.

ومن الامور المعروفة في التاريخ الاسلامي ان محمدا (ﷺ) حين اوحي اليه وامر من قبل الله بتبليغ الناس ونشر الاسلام لم تكن له وقتئذ اية قـــوة كانت، واية سلطة كانت، فراح ينشر الاسلام والناس يـــدخلون في هـــذا الدين طوعا وعن رضا وقناعة، فأيَّة قوة وأي سيف اجبر مثلا ابا بكر وعمر

وعثمان وبلالا على الدخول في الاسلام. واي مطمع دنيوي حرك فـــيهم دافع الايمان؟.[1].

بل هؤلاء والصحابة من الرعيل الاول جميعا رضي الله عنهم اسلموا على الرغم من ان السيف كان مشهورا من قبل المشركين ضدهم ليحـــول بينهم وبين دخولهم الاسلام، اسلموا على الرغم من ان الاسلام عرضـــهم للخوف والفقر والقتل والهجرة ومفارقة الاهل والاولاد، أي: أن هذا الواقع التاريخي يشهد بعكس ما ادعاه أعداء الاسلام تماماً

ويؤلف المسلمون في الحبشة 60% من السكان، وقد اعلن امبراطور الحبشة هيلا سيلاسي في خطابه الذي القاه في الكـــونغرس الامريكـــي ان المسلمين اقلية دخلت الاسلام على ايدي عدد من التجار الاجانب وانهـــم قريبا سيعودون إلى دين ابائهم واجدادهم.

وهذا اعتراف صريح من هذا الطاغية من حيث لا يشعر بان الاسلام لم ينتشر بالسيف في بلاده.

وقد اسلم من قبلُ النجاشي ملك الحبشة في عهد رسول الله (ﷺ) و لم يصل اليه ولا إلى بلاده سيف اسلامي واحد فقد اسلم على يد المســـلمين الذين هاجروا اول مرة إلى الحبشة وما يزال في الحبشة اكثر من عشـــرين مليون مسلم.

وهذه اندنوسيا يبلغ عدد المسلمين فيها (150) مليـــون مســـلم لم تصل اليها الفتوحات الاسلامية بل اسلم اهلها عن طريق وصول التجـــار المسلمين اليها وكذلك بلدان مناطق اخرى كبلدان الســـواحل الشـــرقية

(1) مجلة التربية الاسلامية

لافريقيا وشمال الصين وما كان يسمى بالامس جمهوريات الاتحاد السوفيتي وغيرها من المناطق والبلدان.

كما ان الاسلام عقيدة وتشريعا قائم على أساس مبدأ عدم الاكراه. فكل امر يقوم على الاكراه امر باطل في الاسلام.

فالانسان في الاسلام لا يحاسب على امر هو مسير فيه لا مخير فلا يحاسب ولا يسال مثلا: لِمَ كان انثى و لم يكن ذكرا؟ ولِمَ ولد في هذا البلد و لم يولد في غيره؟ واولاد الزنى لا يسالون يوم القيامة لِمَ ولدوا من ام زانية؟ فلا يحاسب الإنسان على مثل هذه الامور لانه مكره عليها ولكن يحاسب على ما هو مخير فيه عن صلاته: لِمَ لم يصل؟ وعن صيامه لِمَ لم يصم؟ وعن اخلاقه لم كانت سيئة و لم تكن حسنة؟ لانه غير مكره على ترك الصلاة والصيام وغير مكره على القيام بالخلق السيء.

وفي الاسلام إذا شرب العبد الخمر حوسب وعد آثما واذا أُكره على شربها لا يحاسب ولا يعد آثما واذا صلى العبد أُجر على ادائه هذه الفريضة، اما إذا اداها عن طريق الاكراه لا يؤجر عليها فكل امر مكره عليه العبد حكمه باطل في الاسلام.

بل عد شرع الله من اعتنق الاسلام عن طريق الإكراه منافقا والمنافق في نظر الشرع اشد خطرا على الاسلام من الكافر ولهذا فان الاسلام جعل من مبادئه الاساسية في الدعوة عدم اكراه الناس على اعتناق دين الله.

بل الرسول ﷺ والرعيل الاول من المسلمين لم يكرهوا عبدة الاصنام على اعتناق الاسلام سوى انهم دعوهم إلى ترك هذه العبادة المتمثلة في السجود والركوع للاحجار والاعتقاد بانها تضر أو تنفع، وهم بعد ترك هذه العبادة مخيرون في ان يختاروا أي دين سماوي من الاديان التي عد

الاسلام اهلها اهل كتاب، واصحاب رسول الله ﷺ لم يقاتلوا المشركين الا لان المشركين ارادوا قتالهم فقتال المسلمين للمشركين كان دفاعا عن النفس ودفاعا عن دين الله ولصرف المشركين من ان يحولوا بينهم وبين دعوة الناس إلى الإسلام فالمسلمون لم يقتلوا مشركا واحدا لانه مشرك بل ما قتلوا من المشركين الا الذي اراد قتالهم وقتلهم. والامثلة من السيرة والسنة النبوية كثيرة منها.

ان رسول الله ﷺ لما ذهب إلى الطائف ليدعو اهلها إلى الاسلام قابله صبياها بضربه بالحجارة حتى ادموا قدميه فترل عليه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال واخبره ان الله يقرئه السلام ان شاء الله ان يطبق عليهم الأخشبين، وهما جبلان بمكة، الا ان الرسول ﷺ لم يدع عليهم لإهلاكهم على الرغم من الهم مشركون ولقي منهم الاذية بل دعا الله ان يخرج من أصلاهم من يقول لا اله الا الله.

وفي احدى غزواته كان رسول الله ﷺ نائما تحت شجرة بعيدا عن اصحابه فرآه رجل من المشركين فنوى في نفسه شرا فجاء اليه وجعل السيف فوق رقبة رسول الله ﷺ عازما قتله فقال له: يا محمد من يمنعك الان مني؟ فقال ﷺ، الله فوقع السيف من يده وتسلمه رسول الله ﷺ، فقال له: ومن يمنعك مني؟ فقال الرجل المشرك: كن خير آخذ، فعفا عنه رسول الله ﷺ. ولم يقتله على الرغم من انه كان رجلا مشركا من جهة ونوى قتله من جهة اخرى.

وفي كتب السيرة، وتراجم الصحابة أنَّ ثُمامة بن أُثال بن النعمان جاء من اليمن إلى المدينة متوشحا بسيفه، فلما راه عمر ارتاب به. وقال له: ماذا تريد؟ فقال: اريد قتل محمد، فاخذ عمر السيف منه وربط الرجل في سارية

من سواري المسجد ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ يخبره بقصة الرجل، فجاء اليه فقال له الرسول ﷺ: قل: لا اله الا الله محمد رسول الله. فقال الرجل المشرك: لا اقولها. فاعادها عليه. قل: اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله. فقال في الثانية: لا اقولها. ثم التفت الرسول ﷺ الى اصحابه وقال:هل اعددتم له طعاما؟ وعمر رضي الله عنه لم يكن يتوقع ان يسمع من الرسول ﷺ ذلك، بل كان قد اشتد غضبه على الرجل المشرك وكان ينتظر ان يامره الرسول بقتله فيقتله. فقال عمر: أي طعام نعده لهذا الذي جاء لقتلك يا رسول الله؟ ثم امر الرسول ﷺ احد الصحابة ان ياتي له بطعام من بيته.فلما فرغ من اكله. قال ﷺ فكوا وثاقه واطلقوا سراحه.

فلم يمش الا عدة خطوات حتى عاد إلى الرسول ﷺ فقال: يا محمد اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله. فقال له رسول الله ﷺ: لِمَ لم تقلها قبل قليل؟ فقال: لم أقلها وأنا موثق اليدين لئلا يقال عني اني اسلمت مكرها خوفا منك ومن اصحابك، أما الان وقد اطلقت سراحي فاني اعلنت اسلامي ليعلم الناس اني اسلمت من غير اكراه واني اسلمت ابتغاء مرضاة الله. ثم قال: لقد جئت إلى المدينة وليس احد أبغض عندي من محمد وخرجت منها وليس عندي احب الي من محمد ﷺ.

حكمة النسخ في القرآن

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد.

ذكر قريب لي ان الله لم يحرم الخمر، اذ لم توجد اية فيها لفظ حرمت عليكم الخمر.

كما في قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ){المائدة: 3}

وهذا كلام صادر من انسان يجمع بين استحواذ الشيطان على قلبه وبين جهلة المطبق بالتعبير القراني، فالقران الكريم بليغ في اسلوبه، فهو ان كان لم يعبر عن تحريم الخمر بلفظ (التحريم) فقد عبر عنه بلفظ (الاجتناب) والاجتناب اوسع من التحريم. فالله سبحانه ما اراد ان يحرم الخمر فحسب بل اراد ان يحرم كل سبيل يؤدي اليها، فلو قال: حرمت عليكم الخمر، لكان المحرم منها شربها فحسب ولحل ما عدا ذلك كشرائها وبيعها والتجارة بها والعمل في صناعتها ونحوه ولكن لما اراد تحريم ذلك كله قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ){المائدة: 90}

وكذلك لم يقل سبحانه عن الزنى: حرم عليكم الزنى، فلو حرمه بهذا التعبير لكان المحرم هو الزنى فقط الذي يعني دخول الفرج في الفرج الذي ياتي منه الحمل والولد، ولحل أيضاً ما عدا ذلك كالاختلاط بالنساء

الاجنبيات ومعاشرهن ومغازلتهن وتقبيلهن ومداعبتهن والعوم معهن عاريات. وما إلى ذلك مما هو ليس بجماع.

لكن لما اراد الله سبحانه تحريم ذلك كله قال جل شأنه: (وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى){الإسراء: 32}. ليدخل في التحريم الزنى وكل طريق وسبب يدفع إلى الانزلاق فيه: أما الميتة والدم ولحم الخنزير فان الله سبحانه لو عبر عن تحريمها كما عبر عن تحريم الخمر والزنى لوقع الناس في حرج كبير ولحرموا من منافع كثيرة، لأنه بتعبير الاجتناب وعدم الاقتراب لا يحرم اكل الميتة فحسب بل يحرم كذلك الاستفادة من شعر الميتة وصوفها وجلدها وكذلك يحرم حمل الدم وبيعه وشرائه ونقله من انسان إلى انسان للعلاج وانقاذ الانفس من الموت، فليس في اباحة هذه الامور ضرر، فلما اراد الله سبحانه عدم تحريم هذا كله قال جل شانه (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ){المائدة: 3} ولو قال: فاجتنبوها، أو لا تقربوها لحرم الاقتراب من الميتة ولحرم حتى ازاحتها عن طريق الناس.

وقد قرات في كتيب لمؤلف هندي نصراني يدعو إلى تنصير المسلمين ويطعن فيه بالقران لوجود النسخ فيه بانه كيف يجوز ان تنسخ اية اية اخرى، ولقد تبين لي من خلال كلامه انه رجل جاهل بمبادئ الشرائع السماوية عامة فضلا عن جهله المطبق بالشريعة الاسلامية وعلوم القرآن.

والنسخ في الاصطلاح: رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي آخر متأخر، ويسمى الحكم الرافع (الناسخ) والحكم المرفوع (المنسوخ) ويسمى الرفع (النسخ) ودليل وجود النسخ في القرآن الكريم قوله تعالى: (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ){البقرة:106} وقوله تعالى: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ){النحل:101}.

من خصائص القرآن تدرجه في التشريع. فأحكام الشرع الاسلامي لم تترل من الله جملة واحدة بل جاءت متفرقة وروعي فيها قابلية النفوس لتلقي الاحكام والسيرعليها ولو ان الله سبحانه الزمها القيام بكل تلك الأحكام دفعة واحدة لثقل عليها الامر، بل كان من المتعذر انقيادها وإصلاحها، وانه لمن اشق الامور على المرء ان يتخلى عن جميع معتقداته وعاداته وميوله بين عشية وضحاها. ويستبدل بها معتقدات وعادات وميول جديدة. لذلك اقتضت حكمة الله مراعاة التدرج في نزول الأحكام.

فالصلاة مثلا كان اول ما شرع منها ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي لان النفوس التي لم تتذوق حلاوة الايمان بعد يثقل عليها ان تكلف مباشرة بالقيام بخمس صلوات في كل يوم فاقتضت الحكمة التسهيل لأدائها بركعات قليلة في اول النهار واخره، فلما طابت نفوسهم بذلك وتغلغل الايمان في قلوبهم واخذوا يستشعرون اللذة الروحية في الوقوف بين يدي الله ومناجاته اصبحت نفوسهم مهياة لان تتقبل زيادتها، عند ذاك فرض الله الصلوات خمس مرات في اليوم لتصبح بهذا العدد الركن الثاني من اركان الاسلام.

وقد كان شرب الخمر عند العرب قبل الاسلام عادة متاصلة وشائعة قد تمكنت من النفوس وهيمنت على المشاعر وكان من الصعب اقناع المدمنين على شربها بالاقلاع عنها لذلك اتبع القرآن اسلوب الحكمة في تدرج تحريمها.

فبدأ القرآن بالإشارة اليها في قوله تعالى: (وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ){النحل: 67}.

ففي هذه الاية أشار القرآن إلى العنب بأته يصنع منه شيء يسكر هو الخمر، وهذا تلميح بسيط على ان السكر لا يليق بالمؤمن التقي فربما انتبه اليها نفر من المسلمين فآثروا العزوف عنها.

ثم جاءت اية اخرى اكثر منها تصريحا بضرر الخمر فقال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) {البقرة:219}.

فهذه إشارة اخرى إلى بيان ضرر الخمر قبل اعلان تحريمها فلعلها تكون تنبيها لنفر اخر من المسلمين لحثهم على اجتنابها، ثم جاءت الاية الثالثة، فقد كان بعض المسلمين يصلي إماما وهو سكران فيخطئ في القراءة فترل قوله تعال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ) {النساء:43}.

ولما كانت الصلوات خمس مرات في اليوم تبدأ من طلوع الفجر وتنتهي إلى صلاة العشاء وجد المسلم نفسه انه ملزم بعدم شرب الخمر أو الاقلال منها كثيرا في النهار لئلا ياتي وقت الصلاة وهو ما يزال سكران، لذلك اقتصر على شربها بعد العشاء ليلا.

وقد ظل الكثير من الصحابة بعد نزول هذه الايات في المواضع الثلاثة يتحدثون عن الخمر، فمنهم من هجرها ومنهم من تحرج في الاستمرار على

شربها ومنهم من راح يترقب عاقبة امرها ويتوقع ان تنزل اية صريحة بتحريمها فاصبح المسلمون في حرج وحيرة حتى اخذ عمر بن الخطاب ﵁ يدعو الله بقوله: اللهم انزل فيها بيانا شافيا.

فهذا الوضع النفسي مهد السبيل وجعل القلوب المؤمنة مستعدة لان تتقبل أي حكم رباني يصدر بشان الخمر باطمئنان ورضا ورحابة صدر، عند ذلك نزل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {90} إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ){المائدة:90-91}.

روى البخاري ومسلم عن انس بن مالك ﵁ قال: اني لقائم اسقي (الخمر) ابا طلحة وابا ايوب ورجالا من اصحاب النبي ﷺ في بيتنا، اذ جاء رجل فقال:هل بلغكم الخبر؟ فقلنا: ما هو؟ فقال: ان الخمر قد حرمت، فقال: طلحة يا انس ارق (واسكب) هذه القلال (والجرات المملوءة بالخمر فسكبوها جميعا) قال فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل.

فقد اخذ بهم كما ترى إلى تحريم الخمر درجة بعد درجة، ولو انه فاجأهم في اول الاسلام بتحريمها وهم قد عكفوا عليها وادمنوا شربها، واتخذوها شعيرة من شعائر الكرم والفخر والفتوة والأريحية لصعب عليهم ذلك كثيرا، ولاحتمل ارتداد نفر منهم أو عدم امتثالهم لأمر التحريم.

وأضرار الخمر الكبيرة لا تخفى على احد، ففي بداية عام 1990 قالت صحيفة رسمية في الصين ان المسؤولين الصينيين رُوِّعوا بالمشاكل الاجتماعية التي يسببها شرب الخمر كحوادث القتل والطلاق.

"وقد كشفت دراسة عالمية صدرت في امريكا على ان شرب الخمر كان وراء اغلب حالات الاعتداء الجنسي على اطفال الأسرة والمحارم مثـــل الاخوات والبنات كما الها مسؤولة عن 85% من حوادث القتل.

وقد بدأت السلطات في منغوليا الداخلية تتحدث عن احتمال اصدار قوانين تحريم الخمور" وهذا ما تتمناه كل الحكومات الغربية والاوربية لـــو استطاعت قوانينها ان تصرف شعوبها عن شرب الخمر الا ان قوانينـــهم لا تملك القوة التي يملكها الاسلام في التاثير في النفوس واصلاحها، فأين نظام البشر من شرع الله؟!.

"ففي بداية القرن العشرين ارادت الولايات المتحـــدة الامريكيـــة ان تخلص شعبها من مضار الخمر وتجرب ما جاء به القانون الاسلامي فشَّرعت في سنة 1930م قانون تحريم الخمر الذي حرم على الناس بيع الخمور أو شراءها أو صنعها أو تصديرها أو استيرادها، وقد مهدت الحكومـــة لهـــذا القانون بدعاية واسعة عن طريق السينما والتمثيل والاذاعة ونشر الكتـــب والرسائل وكلها تبين مضار الخمر مدعومة بالاحصائيات الدقيقة والبحوث العلمية الطبية.

وقد قدر ما انفق على هذه الدعاية (65) مليون دولار وســـودت تسعة الاف مليون صفحة في بيان مضار الخمر والزجر عنها.

وبلغت الغرامات التي فرضت على المخالفين (16) مليـــون دولار وصودرت ممتلكاتهم ما يبلغ (400) مليون دولار، واعدم من اجل تنفيذ هذا القانون (300) نسمة وسجن 532.335 امريكيا ولكن مـــع ذلك لم تزدد الامة الامريكية الا غراما بشرب الخمر وعنادا واصــــرارا في تعاطيها وكان اخر المطاف ان اضطرت الحكومة الامريكية إلى الغاء قانون

التحريم في تشرين الثاني سنة 1933م و لم تنفعها تلك الاموال الطائلة والتضحيات الجسيمة لحمل الناس على ترك الخمر الذي ثبتت عندها اضرارها"[1].

فما اعظم هذا الدين وما اعظم اثره في النفوس، فقد كان قبل تحريم الخمر نفر من الصحابة في مجلس وكؤوس الخمر بين ايديهم، فلما رنَّت في اذانهم اية التحريم التي انتهت بقوله تعالى:(فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) {المائدة: ٩١} كسروا من فورهم كؤوس الخمر جميعا وقالوا بصوت واحد انتهينا يا رب انتهينا.

فقد أراقوا خمورهم بأيديهم لا بيد شرطي أو جندي أو رقيب.

الرقيق في الإسلام

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

والرق هو استعباد الناس، والرقيق هم العبيد عند أسيادهم

تفخر امريكا اليوم على العالم؛ لان رئيسها ابراهام لنكن الذي تولى رئاسة الولايات المتحدة عام 1860م يعد اول رئيس في العالم وفي تاريخ البشرية اعلن الغاء الرق.

وكذلك تفخر اوربا بنفسها لانها اصدرت مثل هذا الاعلان في القرون الاخيرة، ويعززون هذا الفخر بان الاسلام لم يفعل مثل ما فعلوا؛ اذ لم يحرم الرق كما حرموه.

---

[1] التشريع الرباني والقانون الوضعي للاستاذ أبي الاعلى المودوي وينظر: المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية للدكتور عبد الكريم زيدان، ص42-43.

نقول في البدء ان الاسلام لم يوجد الرق و لم يشرعه، لانه جاء والرق منتشر بين الناس وعند الامم كلها و لم يوجد في القرآن نص يبيح الرق وانما جاء فيه وفي السنة النبوية الدعوة إلى تحرير العبيد، واتخذ وسائل شتى لانقاذ العبيد من العبودية، من هذه الوسائل ما ياتي:

جعل الاسلام عتق السيد عبده طريقا إلى رحمة الله وجنته، قال تعالى: (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ {11} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ {12} فَكُّ رَقَبَةٍ {13} أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ){البلد: 11- 13}

و(فك رقبة) تحرير عبد من سيده في سبيل الله.

جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة، فقال: عتق النسمة وفك الرقبة، فقال يا رسول الله، اوليسا واحدا؟ أي اليس عتق النسمة وفك الرقبة معناهما واحدا، فقال: لا، عتق النسمة، ان تتفرد بعتقها، وفك الرقبة ان تساعد في ثمنها.

وجعل الاسلام كفارة الحنث في اليمين، أي: يحلف الله على فعل شيء و لم يفعله، جعل الاسلام كفارة ذلك امورا من بينها عتق الرقبة. فقال تعال: (لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ){المائدة: 89}.

وكذلك جعل الاسلام الظهار وهو ان يقول الرجل لزوجته: انت علي كظهر امي انه جعل كفارة ذلك لتحل له زوجته عتق رقبة. فقال الله تعالى: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ){المجادلة: 3}.(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا){النساء: 92}

وقد جعل القرآن الكريم كفارة القتل الخطا تحرير رقبة. قال الله تعالى:.(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا){النساء: 92}

. وجعل من نذر ان يحرر رقبة وجب عليه الوفاء بنذره.

فهذه الذنوب التي كثيرا ما يقع فيها الناس حين جعل الاسلام كفارتها عتق العبيد ادى ذلك إلى تحرير عدد كبير منهم.

فالإسلام بهذه التشريع ضيق من مصادر الرق وفتح للرقيق ابواب التحرير.

بل نستطيع ان نقول في هذا الصدد ان امريكا واوربا الغتا الرق في مجال الدستور ولكن لم تلغياه في مجال الواقع والتطبيق في حين ان الاسلام وان لم يلغ الرق في مجال الدستور الا انه الغاه في ميدان العمل والمعاملة، وهذا هو المهم، وقد شرع الاسلام في هذا الميدان مبدأين:

أولهما: مبدأ المكاتبة: شرع الاسلام مبدأ المكاتبة وهو منح الحرية للعبد متى ما طلبها بنفسه مقابل مبلغ من المال. وهذا الامر ثابت في نص

القرآن قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ){النور 33}

وعتق العبيد هنا، أي تحريرهم امر إجباري لا يملك السيد رفضه ولا تاجيله بعد اداء المبلغ المتفق عليه، والا تدخلت الدولة الاسلامية، القاضي أو الحاكم لتنفيذ عتق العبد بالقوة.

وبتقرير مبدا المكاتبة يكون الاسلام قد فتح في الواقع باب تحرير العبد متى ما رغب العبد في ذلك، و لم ينتظر من سيده ليمنَّ عليه بتحريره، والدولة تساعده بتسديد هذا المبلغ كله أو شيء عن ادائه قال الله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ){التوبة: 60} وفي الرقاب: هم العبيد.

بل الاسلام بتقرير هذا المبدأ قد الغى الرق في الحقيقة والواقع والتطبيق، أو بتعبير ادق انه قد الغى الرق من قبل الدولة ومن قبل السيد، وبقي الغاء الرق منوطا فقط بالعبد نفسه.

والمبدأ الثاني: ان العبودية قبل الاسلام كانت قائمة على ان السيد اعلى من عبده درجة وان للسيد الحقوق كلها على عبده وان العبد لا يملك أي حق كان على سيده، فكان السادة يعاملون العبيد كما تعامل البهائم أو ادنى، فلما جاء الاسلام الغى هذه الفروقات بينهما وساوى بينهما في الإنسانية وفي الحقوق جميعا، فلما راى السادة ان العبيد في ظل الاسلام ارتقوا إلى مستواهم وانهم لا يتميزون منهم بشيء وجدوا انفسهم انهم لا حاجة لهم بعد ذلك في استرقاق العبيد فتركوا الرق طوعا.

وقد انتبه على هذه الحقيقة مستشرق غير مسلم من قساوسة الغرب لا يؤمن بالاسلام وهو مونتكمري واط في كتابه الذي اطلعت عليه: محمد في المدينة، ترجمة شعبان بركات، فقد ذكر ص450-451 من هذا الكتاب ان دعوة القرآن والرسول إلى اخوة العبيد والسادة جعلت السادة يتركون الرق لانهم لم يعدوا انفسهم متميزين منهم، وهذا ادى إلى ان يفقد المسلم السيد الرغبة في استرقاق اخيه فتركوا الرق بعد ان شعروا ان عبيدهم قد صاروا مثلهم في ظل الاسلام.

فالاسلام الغى الرق في الواقع فقد اتبع الاسلام في هذه القضية وفي كل قضية الاسلوب الحكيم في تحرير العبيد، وهو الاسلوب الذي تفتقده انظمة الدنيا كلها قديمها وحديثها.

فقد الغى الغرب الرق في مجال الدستور في حين بقي العبيد عندهم مكبلين باغلال العبودية في الواقع نفسيا وماليا والدليل على ذلك ان الرئيس الامريكي حين اصدر قرارا منع بموجبه الرق وامر السادة بتسريح عبيدهم ضاعوا وتاهوا وجاعوا حتى عاد كثير منهم بعد اسابيع واشهر إلى سادتهم يرجون منهم ان يعيدوهم عبيدا عندهم كما كانوا لانهم وجدوا انفسهم لا يحسنون غير عمل العبودية.

فقد كان الغاء الرق عندهم من الظاهر ومن اجل الإعلام، والا كما يقول احد الكتاب المسلمين فاين هو الرق الذي أُلغى،؟! فما اسم ما كانت تصنعه فرنسا في المغرب العربي.؟

وما اسم ما كانت تصنعه امريكا في الزنوج وانكلترا في الملونين في جنوب افريقيا.؟

اليس الرق في حقيقته هو تبعية قوم لقوم اخرين وحرمان طائفة من البشر الحقوق المتاحة للاخرين.؟

تزعم اوربا انها أعلنت إلغاء الرق في بلادها وهي لاتملك و لم تطبق من مبادئ المساواة بين السادة والعبيد غير هذه الاعلان.

واوربا لم تلغ حين الغته متطوعة، وكتّابهم يعترفون بأن الرق الغي حين ضعف انتاج الرقيق لسوء احوالهم المعيشية وفقدان الرغبة والقدرة على العمل حيث اصبحت تكاليف العبد من إعالة وحراسة اكثر من انتاجه، فهي اذن حسبة اقتصادية لا غير، يحسب فيها الكسب والخسارة ولا ظل فيها لاي معنى من معاني الانسانية التي تشعر بكرامة الجنس البشري فتمنح الرقيق حريتها من اجلها.

كما ان اوربا اضطرت إلى الغاء الرقيق نتيجة الثورات المتتابعة التي قام بها الرقيق فاستحالت معها دوام استرقاقهم.

وأين إلغاء الرق الذي تدعيه امريكا فماذا يسمى التمييز العنصري الذي تمارسه ضد الزنوج، انه حين مشى رجل اسود بجانب فتاة بيضاء بإذنها ورضاها لا كرها منها ثارت حفيظة البيض، لا لأن واحدة منهم قد دنس عرضها، فتدنيس الاعرض عندهم شيء مباح، ولكن لأن واحدا من السود استطاع ان يصادقها فثاروا بغضب وطرحوه ارضا وما زالوا يضربونه باحذيتهم حتى فاضت روحه.

كل هذا حدث ورجل البوليس ينظر ويشاهد بعينه هذا القتل البشع وهو واقف لا يتحرك ولا يتدخل ولا يهم لنجدة اخيه في الوطن واللغة والدين فضلا عن الاخوة البشرية.

كل هذا لانه اسود فاين الحرية واين المساواة والغاء الرق التي يدعون بها؟

الغوا الرق في الاسم لكن لم يلغوه في الواقع، فها هي امريكا في القرن العشرين الذي اعلن رئيسها ابراهام لنكن الغاء الرق قبل اكثر من قرن ونصف، ها هم الامريكان اليوم في مدنهم يضعون على فنادقهم لافتات مكتوب عليها (للبيض فقط) وعلى لافتات اخرى (ممنوع دخول الكلاب والسود).

وتتجاوز التفرقة إلى تكاليف التعليم فالاسود تنفق عليه الحكومة الامريكية 58 دولارا في السنة في حين تنفق على الابيض 1047 دولارا في السنة.

وقد اصدرت امريكا التشريعات التي تدعو إلى الغاء التفرقة فلم تستطع الغاءها كما حدث في نوفمبر عام 1957م في ولاية اركياس، اذ حكمت المحكمة الامريكية بالغاء التفرقة العنصرية ودخول اولاد الزنوج مدارس البيض، فتحدى حاكم الولاية هذا الحكم ودعا رجال الحزب الوطني في ولايته ليمنعوا بالقوة تنفيذ هذا الحكم.

ومما روته انباء العالم في اكتوبر عام 1957م ان وزير مالية غانة لكونه اسود طرد من احد المطاعم في مدينة دوفر بالولايات المتحدة الامريكية لانه غير مسموح للملونين (أي السود) بتناول الطعام في هذا المطعم.

و لم تزل ونحن في القرن العشرين نجد بعض الولايات الامريكية تنص دساتيرها على احكام غريبة لا يستسيغها الضمير الانساني ولا يقرها عقل سليم، فمن ذلك النص ان الزواج بين شخص ابيض وامرأة سوداء يعد

زواجا باطلا والنص على ان كل من يطبع أو ينشر أو يوزع ما فيه حث للجمهور على اقرار المساواة الاجتماعية والزواج بين ابيض واسود أو تقديم حجج للجمهور أو مجرد اقتراح في هذا السبيل يعد عمله جريمة يعاقب عليها القانون بغرامة 500 دولارا أو بسجن لا يتجاوز اشهر أو بالعقوبتين معا.

وتاكيدا لما ذكر عن التمييز العنصري، فقد سمعت بأُذنيَّ من إذاعة أمركا، ليلة 2000/6/27م في برنامج (صور من الحياة في امريكا) تحدث فيها المذيع عن قصة حياة رجل اسود تقاعد عن منصبه بعد ان خدم امريكا نصف قرن اسمه سيركد مارشال بانه في بداية هذا القرن، القرن العشرين اراد الالتحاق بكلية القانون في جامعة مارلن فرفضته الجامعة مع كونه طالبا يتمتع بدرجات عالية ومن المتفوقين رفضته لا لشيء الا لكونه رجلا اسود فاضطر ان يلتحق بجامعة اخرى خاصة بالكلاب السود فتخرج فيها محاميا وقاضيا بارعا ووسع من عمله في مجال اختصاصه حتى ان الكثير من افكاره اخذ بها القانون الامريكي واصبح استاذا مشهورا مما اضطرت ان تقبله جامعة مارلن استاذا يدرس فيها وهي الجامعة التي رفضته من قبل ان يكون طالبا فيها.

ثم عينه الرئيس الامريكي عام 1976م قاضيا في المحكمة العليا ويعد اول رجل اسود يعين في هذا المنصب حتى تقاعد عام 1991م.

وسمعت من المذيع يعرض افكار هذا القاضي الاسود انه من الافكار التي دافع عنها دعوته إلى الغاء التفرقة العنصرية بين السود والبيض، وانه لا ينبغي ان يمنع من التحاق المواطن الامريكي اية مدرسة أو جامعة كانت لكونه اسود.

وكان يدعو أيضاً إلى الغاء التفرقة في الاهتمام بتعليم البيض دون الاهتمام بتعليم السود وكان يقول ان هذه التفرقة مخالفة للقانون الامريكي ويبدو انه قصد القانون الذي اصدره ابراهام لنكن حيث ترأس امريكا عام 1860م.

فهذه نماذج من التفرقة العنصرية التي لم تزل تمارسها جماعات أو ربما ولايات في المجتمع الامريكي والاوربي، فاين هي من المعاملة التي تمتع بها العبيد السود في ظل الاسلام، فقد روى علي ﵁ عن الرسول ﷺ أنه قال: اتقوا الله فيما ملكتْ أنفسكم، والمعنى احذروا الله في معاملة الأرقاء الذين تملكونهم وفي الأثر عنه ﷺ قال: لقد أوصاني حبيبي جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننتُ أن الناس لا تُستعبَد ولا تُستخدَم، وقد رأى أبو هريرة ﵁ رجلا على دابته وغلامه (عبده) يجري خلفه، فقال له: احمله خلفك يا عبدالله فإنما هو أخوك وروحه مثل روحك، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: اضرب عبدك إذا عصى الله واعف عنه إذا عصاك. وقد وصى رسول الله ﷺ بالرقيق قبيل وفاته بقوله: اتقوا الله فيما ملكتْ أيمانكم، أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، ولا تعذبوا خلق الله، فإن الله ملككم إياهم، ولو شاء لملكهم إياكم

يضاف إلى ذلك أنه في ظل الإسلام طبقت المساواة بينهم وبين السادة بصفة عملية من ذلك ان رسول الله ﵁ آخى بين بلال بن رباح الحبشي وخالد بن رويحة الخثعمي، وآخى بين مولاه زيد وعمه حمزة بن عبد المطلب وبين المولى خارجة بن زيد وابي بكر ﵄ جميعا، وكانت هذه المؤاخاة صلة حقيقية تعدل رابطة الدم وتصل إلى حد الاشتراك في الميراث.

ولم يكتف الاسلام بهذا الحد فقد زوج الرسول ﷺ السيدة القرشية زينب بنت عمه من مولاه زيد، وكان زيد عبدا اشترته خديجة ثم اهدته لرسول الله ﷺ والزواج قضية مهمة جدا من جانب المرأة فهي ترغب في ان تتزوج من يفضلها مقاما، ولكن تابى ان يكون زوجها دونها في الحسب والنسب والثروة وتشعر ان مثل هذا الزواج يحط من شانها، ولكن رسول الله ﷺ كان يرمي من وراء ذلك رفع الرقيق إلى اعلى مراتب السادة وبلغ الامر إلى ان يقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري "اسمعوا واطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله تبارك وتعالى.

فاعطى الاسلام الموالى (العبيد من قبل) الحق في تولي اعلى مناصب الدولة، وهي خلافة المسلمين، وقد قال عمر رضي الله عنه وهو يستخلف: لو كان سالم العبد مولى حذيفة حيا لوليته فيسير على المبدأ نفسه الذي سار عليه رسول الله ﷺ بل مثل هذا ما وقع في عهد رسول الله ﷺ فقد ولى رسول الله ﷺ مولاه زيد بن حارثة قيادة جيش قوامه ثلاثة الاف مقاتل يضم خيرة الصحابة من سادات قريش لمقاتلة الروم في غزوة سميت بغزوة مؤتة وامر عليه الصلاة والسلام انه إذا قتل زيد يتولى القيادة من بعده جعفر بن أبي طالب، واذا قتل جعفر يتولى القيادة من بعده عبد الله بن رواحة، وقد استشهد الثلاثة في هذه الغزوة.

فقد جعل لرسول الله ﷺ ابن عمه جعقر بن أبي طالب تحت إمرة عبده ومولاه زيد بن حارثة.

وبعد استشهاد زيد رضي الله عنه جهز رسول الله حملة اخرى لمقاتلة الروم في بلاد الشام، جعل هذه الحملة بقيادة اسامة بن زيد بن حارثة، وقد كان

شابا، بيد ان مرض الرسول ﷺ ووفاته حالت دون ارسال هذه الحملة في حياته ﷺ،فلما تمت البيعة لابي بكر الصديق رضي الله عنه كان اول عمل قام به بتنفيذه غداة بيعته هو انقاذ بعثة اسامة، وقد ضم جيش اسامة عددا كبيرا من الصحابة من اهل المدينة، وقد شكا نفرمن الصحابة من تامير أُسامة بن زيد على الجيش وفيه عدد من كبار الصحابة في حين ان أسامة كان شابا من جهة وابن عبد ومولى من جهة اخرى، وطلب هذا النفر من عمر رضي الله عنه ان يكلم ابا بكر الصديق بشأن تبديله فلما فعل ذلك عمر رد عليه أبو بكر بغضب شديد قائلا: ثكلتك أُمُّك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ (وعينه قائدا) وتامرني ان أنزعه؟!، وقد كان عمر رضي الله عنه جنديا من جنود اسامة في هذا الجيش.

وانطلق جيش اسامة من المدينة في اخر شهر ربيع الاول سنة 11 هجرية وخرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه في توديعه، وهنا يحصل في ظل هذا الدين اعظم معجزة اذ يجيء ابو بكر الصديق الخليفة والسيد القرشي وصاحب رسول الله ﷺ في الهجرة والغار إلى ولي رسول الله ﷺ وعبده من قبل ان يلتمس منه ليأذن له ان يتخلف عن هذه الغزوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سيد قريش في الجاهلية والاسلام. لحاجته الماسة اليه في ادارة الدولة فاذن له بذلك.

لم يحظ العبيد بمثل هذه المعاملة و لم يحلموا بها في ظل أي نظام اخر منذ ان وجد الرقيق في الدنيا.

فقد عاش العبيد في ظل الاسلام عيشة السادة الأعزاء، وكم من سيد يعيش اليوم في ظل غيره عيشة العبيد الاذلاء.؟

وقد كان الصحابي ابو ذر الغفاري ﷺ سيدا وصحابيا جليلا اختلف مع بلال في حضرة الرسول ﷺ فقال له ابو ذر: يا ابن السوداء فعيره باصله بانه عبد، فغضب رسول الله ﷺ وقال: طف الصاع طف الصاع (أي: تجاوز الامر الحد وبلغت العصبية اقصاها) وصاح في وجه أبي ذر: انك امرؤ فيك جاهلية ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى، فيشعر ابو ذر بالذنب ويندم لما زل به لسانه وسرعان ما ينام على وجه الارض ويضع خده على رمالها ويطلب من بلال ان يطأ خده بنعاله ليكفر عن ذنبه.

فهذه مبادئنا وأنى لامريكا واوربا مثل هذه المبادئ؟!.

ومما يثار في هذا الموضوع قضية الجواري في الإسلام.

الجواري في الإسلام

قال الله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ){النساء: 3}

فيما يتعلق بقوله تعالى (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) فان استرقاق الجواري كان مباحا ومشروعا وشائعا قبل الاسلام، وقد ذكرته الكتب السماوية، فهاجر جارية تزوجها ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) وقد كان من نسلها اسماعيل عليه السلام، ومن نسل اسماعيل محمد (ﷺ).

واسترقاق النساء وجعلهن جواري انتشر قديما لثلاثة أسباب:

الاول: الحروب، فكانت إذا قامت حرب بين دولتين، فان الدولة الغالبة المنتصرة تقتل رجال الدولة المغلوبة وشبابها ويبقى النساء والبنات فتجلبهن إلى بلادها اسيرات تبيعهن لمن يرغب في شرائهن.

والثاني: الفقر، فقد كانت شدة الفقر تدفع احيانا بعض الآباء إلى بيع بناهم

والثالث: الاختطاف، فكان ثمة لصوص يخرجون إلى القوافل التجارية في الطرق البعيدة، أو يصعدون إلى السفن العائمة وسط البحار فيخطفون ما شاؤوا من النساء والبنات ويبيعوهن في المدن في اسواق بيع العبيد، وحين جاء الاسلام حرم استرقاق النساء والبنات اللواتي يؤتى بهن عن طريق البيع أو الاختطاف، واجاز فحسب استرقاق اسيرات الحرب، وقد اجاز ذلك، لان الدول المعادية للاسلام كانت تغزو المدن الاسلامية فتقتل الرجال والشباب وتسبي نساءهم وبناهم وتاتي بهن اسيرات وتبيعهن لكل غاد ورائح فيأخذ الرجل الكافر والمشرك ما شاء من النساء والبنات المسلمات وتمسي كل منهن متاعا مباحا مشاعا يعاملوهن كما تعامل المراة الزانية- فقد يشترك في جماع المرأة المسلمة الاسيرة الرجل وابناؤه واخوانه واصدقاؤه؛ من اجل ذلك اباح الاسلام بالمثل استرقاق النساء الكافرات اللواتي يؤتى بهن بعد الحرب، الا ان ثمة فرقا كبيرا بين معاملة المسلمين للجواري غير المسلمات من معاملة الكفار للاسيرات المسلمات.

فقد شرع الفقه الإسلامي كيف يجب أن يعامل السيد المسلم عبيده، ذكوراً كانوا أم إناثاً، وجعل لهم حقوقاً كثيرة نجمل فيما يأتي عدداً منها:

1-لا يجوز للسيد أن يأمر عبده بمعصية الله، أو ينهاه عن طاعته.

2-ليس له حق في إجبار عبده الكافر أن يسلم، لأنه لا إكراه في الدين.

3-ليس له حق أن يزوج عبده بمن لا يرضاها، أو يجبره على تطليق زوجته.

4-ليس له حق أن يمنع عبده الذمي، اليهودي والنصراني من شرب الخمرة، أو أكل لحم الخنزير أو الذهاب إلى الكنيسة لأن ذلك من دينه.

5-لا يجوز أن يكلف عبده أو عبدته بالقيام بأعمال شاقة فوق طاقتهما.

6-يجب على السيد المسلم أن يحافظ على حياة عبده فليس له أن يقتل عبده، أو جرحه، أو قطع شيء من أعضائه، كقطع أذنه، أو جدع أنفه على الوجه، فإن فعل السيد بعبده شيئاً من ذلك وجب عليه أن يعتق عبده، أي: أن يطلق سراحه بأمر إجباري من القاضي.

7-للعبد على سيده نفقة واجبة، طعامه وكسوته وسكنه، قدر حاجته وكفايته، فإن امتنع السيد من دفع النفقة لعدم القدرة أو رفض دفعها مع القدرة، فللقاضي الحق أن يبيع ممتلكات السيد لتأمين النفقة على عبيده.

8-على السيد إذا مرض عبده، أو عجز عن العمل بسبب ما، أن ينفق عليه، كما يجب أن ينفق على عبده الصغير، وعلى السيد نفقات دفنه.

9-على السيد أن يجعل عبده عفيفاً، فإذا كان العبد رجلاً أعزب، وجب عليه أن يزوجه خشية انحرافه، وإذا كان العبد امرأة عزباء، وجب عليه أن يزوجها، أو أن يطأها هو خشية انحرافها، أما إذا كان العبد متزوجاً فعليه أن يمكنه من الاستمتاع بزوجته ليلاً.

10- ليس للسيد الحق أن يجبر عبدته المتزوجة على تطليق زوجها، أو منعها من المبيت معه ليلاً.

فتأمل أخي القارئ كيف كان يعامل أعداؤنا أسرانا وسبايانا، وكيف كنا نحن نعامل أسراهم وسباياهم.

فقد حرم الاسلام ان تكون الجارية متاعا مشاعا، فاوجب ان تكون الجارية أو الجواري ملكا لرجل واحد، ولا يجوز بل يحرم ان يجامعهن غيره، كما اوجب الاسلام عليه ان ينفق عليهن وان لهن ما يحتجن اليه من الطعام والكسوة، وان يكرمهن كما حث الرسول ﷺ من الزواج بهن، ليصبحن حرات سيدات، كما حث ورغَّب في تعليمهن وتاديبهن ونهى عن ضربهن، فقد قال عليه الصلاة والسلام: من كانت له جارية فعلَّمها وأحسن إليها وتزوجها كان له أجران في الدنيا والآخرة : أجر النكاح والتعليم وأجر العتق فهذا التشريع هو خير لهن من ان يتركن يتسكعن في الطرقات والشوارع ولا معيل لهن أي: ان الاسلام شرع ملك اليمين واسترقاق الجواري حرصا على مصلحتهن وخوفا عليهن من ان يتشردن فيتعرضن للاهانة في شرفهن وكرامتهن كما ان في هذا التشريع حفظا للبلاد من انتشار الفساد إذا تُركنَ بغير معيل يعيلهن ولا راع يرعى شؤونهن.

فما اعظم هذا الدين وما ارحمه وما اسمى معاملته حتى مع ألد أعدائه.

واسترقاق الجواري يشرع عند وجود أسبابه، وقد امحت هذه الأسباب في الوقت الحالي.

قوة هذا الدين

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

تتفق الرسالات السماوية ومن بينها الإسلام بالحق الذي تحمله؛ لأنها جميعا من مصدر حق واحد هو الله سبحانه.

إلا أن الإسلام يتميز من بين سائر هذه الرسالات بقوة عظيمة مذهلة لا مثيل لها، فقد تعرض الإسلام لمحن كثيرة مختلفة إلا انه تغلب عليها واحدة تلو أخرى وكان يخرج دائما من كل محنة وهو أقوى صلابة وارسخ ثباتا، على حين أن الأديان السماوية التي نزلت قبله لم تستطع أن تتصدى لأعدائها فاضمحلت واندثر أصلها المترل و لم يبق فيه شيء يذكر على الرغم من أن المحن التي تعرضت لها كانت اقل واهون كثيراً من المحن التي تعرض لها الإسلام فما سر ذلك؟.

لا شك في ان هذا الدين قوة وانها متأتية من ان الله سبحانه تعهد بحفظه ونشره بين الناس و لم يتعهد بحفظ الديانات السابقة ولولا ذلك لاندثر الإسلام لعظم المصائب التي ابتلى بها كما اندثر اصل كل دين قبله، فليس في الإسلام حق فحسب بل بجنب ذلك قوة ربانية حمت هذا الحق من العواصف التي هبت عليه وسجلت له مآثر في كل جولة من جولات التحدي.

في هذا الدين قوة متأتية من قوة الله، لأنه دين الله، لذلك اصطفى الله محمداً (ﷺ) سيد أولى العزم من الرسل ان يكون نبي هذا الدين، فقد جاء إليه سادات قريش وكبراؤها من المشركين ليساوموا رسول الله (ﷺ) في أمر ترك دعوته وقدموا بين يديه أعظم المغريات فإن شاء الغنى جمعوا من اموال

اغنيائهم حتى جعلوه أغناهم وان كان يسعى للسيادة جعلوه سيدهم وملكهم ولا يصدرون الا عن رأيه وتوسطوا عند عمه أبي طالب ليرضى بهذه الصفقة فكان جوابه ﷺ: والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الدين ما تركته حتى يظهره الله او اهلك دونه، فقد استمد رسول الله من هذا الدين قوة جابه بها أعتى طواغيت الدنيا وأعتى مغرياتها.

وحين تولى أبو بكر ﷺ الخلافة ارتدت قبائل عربية عن الإسلام بقيادة مسيلمة الكذاب فاستفحل أمرهم وكثرت أنصارهم وقويت شوكتهم حتى ان عمر ﷺ الذي تميز من بين الصحابة بشدته لان تجاههم وأشار مع نفر من الصحابة، إلى عدم قتالهم لئلا تتسع الفتنة، إلا أن أبا بكر ﷺ شعر لتوليه الخلافة انه قد أصبح المسؤول الأول عن أمر هذا الدين فاستعان الله ليكون بمستوى هذه المسؤولية فأيده بالقوة والعزم حتى صاح بوجه عمر ﷺ أمغوار في الجاهلية خوار في الإسلام؟! والله لو منعوني عناقاً[1] كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه. فقاتلهم بقوة الله وبتأييده فقتل مسيلمة وهزم جيشه وأنقذ الأمة الإسلامية من خطر فتنة كادت تقوض أركان دولة التوحيد حتى جاء عمر ﷺ فقبل رأس ابي بكر ﷺ وقال: إنا فداؤك لولاك لهلكنا.

وقد أحس بقوة الإسلام المشركون أنفسهم يوم كان الإسلام فتيا قليل الأنصار. فقد جاء الوليد بن المغيرة الذي كان كأبي جهل في محاربته للإسلام جاء إلى رسول الله ﷺ فعرض عليه ان يتخلى عن معاداة أصنامهم

([1]) العناق: (بفتح العين) هو الأنثى من الماعز، وروى: عقال بعير: (بكسر العين) وهو الفتية من الإبل.

فلم يكلمه رسول الله ﷺ بل قرأ عليه سورة السجدة سورة فصلت حتى إذا بلغ قوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ){فصلت: ١٣}.

فإذا بالوليد بن المغيرة ترتعد فرائصه ويضع يديه على رأسه خشية أن تنزل عليه صاعقة من السماء تصعقه، ويطلب من رسول الله ان يكف ولا يستمر في قراءته فقد شعر وهو يسمع صوت القرآن بصدق هـذا الـدين وقوته واشتد خوفه منه فجعلت ترتعش بين يدي رسول الله ﷺ أكتافه.

وقد شعر كذلك بهذه القوة الربانية سند هذا الدين أهل الكتاب، فقد قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكباً منهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم وأمر هؤلاء الأربعة عشر يؤول إلى ثلاثـة منـهم وهم: العاقب واسمه عبد المسيح وكان أمير القوم وصـاحب مشـورتهم، والسيد: وهو الأيهم وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم وأبو حارثة بن علقمة وكان اسقفهم وصاحب مدارستهم وكان رجلاً من العرب من بني بكر بن وائل لكنه تنصر فعظمته الروم وملوكها وشرفوه وبنـوا لـه الكنائس لما يعلمونه من صلابته في دينهم، وكان هذا الوفد مـن نصـارى نجران جاؤوا ليحاجوا رسول الله ﷺ في امر المسيح عيسى بن مريم، فهـم يقولون هو الله ويقولون هو ابن الله ويقولون هو ثالث ثلاثة وفي شأن هذه المحاجـة في امـر عيسـى عليـه السـلام انـزل الله قوله تعالى: (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَـدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ){العمران: 61}

والمباهلة هي الملاعنة وهي ان يجتمع الفريقان بأبنائهم ونسائهم ورجالهم ثم يدعو كل فريق منهم الله أن يترل اللعنة والعذاب على الفريق الظالم والكاذب، وفي حديث ابن عباس من شاء باهلته أن الحق معي، فلما عرض عليهم رسول الله ﷺ المباهلة ليعرف بها من هو الظالم والكاذب ترددوا لذلك قالوا له: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه ثم انصرفوا عنه ثم اختلوا بالعاقب فاجتمعوا به وكان أمير رأيهم فقالوا يا عبد المسيح ماذا ترى فقال والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل ولقد جاء بالفصل من خبر صاحبكم (عيسى عليه السلام) ولقد علمتم انه ما لاعن قوم نبياً قط إلا هلك كبيرهم وصغيرهم وانه الاستئصال منكم إن فعلتم فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم عيسى بأنه هو ابن الله أو هو الله فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا النبي ﷺ فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا.

وفي تفسير ابن كثير "قال الإمام احمد عن ابن عباس قال: قال أبو جهل قبحه الله إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأتيته حتى أطأ على رقبته فقال: لو فعل لأخذته الملائكة عياناً.. ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح.

وفي تفسير ابن كثير أيضاً أن أميري وفد نجران العاقب والسيد أبياً أن يباهلا رسول الله ﷺ وأقرا له بالاستسلام وبدفع الجزية والخراج. وقال رسول الله ﷺ والذي بعثني بالحق لو قالوا (لا) لأُمطِرَ عليهم الوادي ناراً،

والمعنى أنهم لو باهلوه أو رفضوا الاستسلام ودفع الجزية والخراج لأمطر الله عليهم ناراً وأبادهم عن آخرهم بيوتهم وأموالهم وأهليهم وأولادهم.

فقد تراجعوا لأنهم لم يدركوا فحسب أن الحق مع الإسلام بل أدركوا أيضاً أن معه قوة الله وتأييده فمن خاصمه فقد خاصم الله ويا ويله عندئذ من بطش الله.

والمعروف في علم الاجتماع والتاريخ أن دين الأمم الغالبة هو الذي يؤثر في عقيدة شعوب الأمم المغلوبة، فالمرء يشعر باليأس من دينه حين يشعر أنه ينتمي إلى دين أُمة قد هزمت أمام خصمها ولا سيما إذا كانت الهزيمة نكراء ويعظم ويميل إلى دين الأمة المنتصرة.

فقد هُزِمَت الأمة الإسلامية في جولات عبر التاريخ أمام أعدائها من الأمم الأخرى، إلا انه دين هذه الأمة لم يهزم في قلوب أتباعه وما ازداد إلا رسوخاً. بل حصل ما يعد معجزة للإسلام، فبدلاً من أن يتزعزع الإسلام في نفوس المسلمين المهزومين إذا به نجده يدخل في قلوب قادة أعدائه المنتصرين فبعد سقوط الخلافة العباسية غزت جيوش المغول التتار البلاد الاسلامية وكانت هذه الجيوش تدين بديانات وثنية وكان من عقيدتهم أن كل فرد منهم يكون عدد خدمه في اليوم الآخر بعدد ما يقتل من المسلمين ويمثل فيهم لذلك راحوا يقتلون المسلمين شيوخاً وأطفالاً ونساءً ظفروا بهم بوازع دينهم الوثني ودمرواً المدن الإسلامية وحضارتها وكانت من بينها بغداد عاصمة الخلافة العباسية. ورموا بما تحتوي عليه مساجدها من مخطوطات في علوم دينية وإنسانية وعلمية مختلفة رموا بها في نهر دجلة حتى روي انه لكثرتها اتخذ منها عليه جسر وتغير ماء لونه، هؤلاء الذين غزونا باسم الوثنية وقتلوا الأنفس وسفكوا الدماء وهتكوا الأعراض وخربوا المدن

هؤلاء انفسهم بعد فترة من حكمهم فإنهم بدلا من ان ينشروا بيننا وثنيتهم تسلم قادتهم وملوكهم وكان من بينهم محمود غازان، وبعد ان اعتنقوا الإسلام وجعلوه دين الدولة الرسمي ندموا على ما اقترفه أسلافهم بحقه وحق حضارته وأبنائه فأرادوا ان يكفروا عن ذنوبهم وذنوب أجدادهم فأكثروا من بناء المساجد والمدارس الدينية وإكرام علمائها وبناء المؤسسات الخيرية. بل لم يكتفوا باعتناق هذا الدين بل راحوا يدعون إليه الأمم الأخرى فكانوا هم الذين نشروا الإسلام في بلاد الهند وانشأوا إمارات إسلامية في بلاد القوقاز- المحصورة بين البحر الأسود وبحر قزوين التي من آثارها اليوم الشيشان وداغستان وقد كان لإنشاء هذه الإمارات اثر في حمايتنا من غزوات أخرى فقد حالت مثلا دون توغل القياصرة في البلاد الإسلامية.

وبعد أربعة عشر قرنا من نزول الإسلام لم يزل أعداؤنا يشعرون بقوة ديننا فقد صرح مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام 1952م بأنه ليس هناك نظام في هذه الدنيا يهدد كيان أوربا ونظامها الا الإسلام وما قاله: "ليست الشيوعية خطرا على أوربا فيما يبدو لي ان الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدا مباشرا وعنيفا هو الخطر الاسلامي "ثم ذكر بعد ذلك ان الاسلام عملاق عظيم الا ان اهله نائمون فلنسع جميعا الى بقائهم نائمين لانهم اذا نهضوا وحملوا معهم لواء الاسلام كان ذلك انذاراً يهدد اوربا باسرها.

فبعد الأخذ بالاسباب المادية ليس للعرب ولا للامة الاسلامية من قوة تستند اليها الا الاسلام. بعد نكسة حزيران في حرب 1967 مع اسرائيل ذهب وفد عسكري مصري للتباحث مع زعماء السوفييت حول تزويد مصر بما افتقدته من اسلحة ومعدات حربية في اثناء الحرب والتقى الوفد

بعدد من العسكريين السوفييت ومن بينـــهم وزيـــر الـــدفاع الســـوفييتي مالينوفسكي قال الوفد المصري بالحرف الواحد: اننا لم نستطع ان نستعمل الاسلحة التي اشتريناها منكم لانها كانت جديدة علينا ولهذا خسرنا المعركة فما كان جواب مالينوفسكي الا ان رد عليهم بقوله لقد انتصر اجـــدادكم على الفرس والروم بسيوف صادئة قديمة رديئة وقـــد علمـــتني التجـــارب والوقائع وأنا في هذا المنصب بأنه لا شيء يساوي القوة المعنوية في الامة.

ويعد الاسلام اعظم قوة معنوية ملكتها او تملكها ايه امة كانت.

اللهم امنح هذه الامة قوة من عندك بردها الى دينك ردا جميلا. اللهم امين.

من آثار هذا الدين في نفوس أتباعه

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلـــى آلـــه وصحبه ومن والاه. اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الاخـــلاق والاهـــواء والاعمال. اللهم انا نعوذ بك من الجنون والبرص والجذام وسيء الاسقام.

يتميز الإسلام من بين سائر الأديان السماوية والمبادئ الأرضية بأنـــه دين التوحيد وكل ما عداه هو دين الإشراك ومذهب الذين اتخذوا من دون الله أولياء، وقد نعت الله هذه الأديان وهذه المذاهب جميعها بقوله تعـــالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًـــا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت: 41].

فسر ابن كثير هذه الآية بقوله: ((فهم في ذلك كبيت العنكبـــوت في ضعفه ووهنه... فإنه لا يجدي عنه شيئا... وهذا بخلاف المؤمن المسلم قلبه لله... فانه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها)).

فسر القدامى بيت العنكبوت بأنه الخيوط التي تصنعها التي تبدو دقيقة وواهية جدا.

أما علماء علم سلوك الحيوان في العصر الحديث فقد اكتشفوا أن الفولاذ وأي معدن آخر من المعادن الصلبة لو جعل خيوطا دقيقة بدقة خيوط العنكبوت لكانت خيوط العنكبوت أقوى من خيوط هذا المعدن الصلب أربع مرات، إذن لا يمكن أن يكون المقصود من الوهن الخيوط التي تصنعها العنكبوت، واكتشفوا أيضا أن أنثى العنكبوت هي التي تتخذ البيت باستدراج الذكر واستدعائه اليها لذلك قال سبحانه: (كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) ولم يقل سبحانه: كمثل العنكبوت اتخذ بيتا، واكتشفوا أيضا أن أنثى العنكبوت إذا تزوجت الذكر لدغته بعد ان يلقحها فتخدره بهذه اللدغة فتميته مع بقاء الروح والحياة فيه، فتخدره ولا تقتله من اجل ان يبقى طعاما طازجا لا يفسد إلى حين يولد صغارها فيتغذون عليه لحما طريا لانهم لا يجدون وقت ولادتهم طعاما سواه، وقد تأكل الأنثى صغارها او قد تفترس الذكر بعد التلقيح، فإذا جاء صغارها أكل بعضهم بعضا.

في ضوء هذه الحقائق العلمية الحديثة يتبين ان المقصود من البيت في الاية هو بيت الزواج وتكوين الاسرة لا بيت الخيوط؛ والدليل على ان المقصود من الاية ذلك انتهاؤها بقوله تعالى: (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) لان الناس وقت نزول القران كانوا لا يعلمون هذه الحقائق عن بيت العنكبوت وأحوال أسرتها، وهذا من معجزات القران الكريم.

فيكون التفسير الحديث الصحيح ان المراد بالوهن في الآية الوهن الاجتماعي لا الوهن المادي فان بيتا تقتل فيه الزوجة زوجها او تفترس أولادها والأولاد يأكلون آباءهم او يأكل بعضهم بعضا لهو حقا أوهن بيت

وأسرة من الناحية الاجتماعية فالمعنى: ان كل جماعة او أُمَّة تتخذ وليا لها من دون الله؛ وتتخذ لها دينا غير دينه وشرعا غير شرعه، فإن هـــذه الجماعـــة وهذه الأمة يكون حالها كحال بيت العنكبوت يأكل بعضهم بعضا ويظلم بعضهم بعضا يتنافسون بينهم بالباطل كل منهم يحاول ان يهضم حق غيره، وهذا ما هو حاصل الآن بين الأفراد والجماعات والأمم التي ابتعدت عـــن شرع الله وهداه.

فبشرع الله هذا وهداه صنع الإسلام المعجزات في تربية ابنائه بفضل تعاليمه الربانية التي تربط الانسان بربه وتذكره بيوم عظيم يوم الحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين، والنفوس لا تســـمو الا بهـــذه الصـــلة الربانيـــة والاخروية، واما الديانات السماوية الاخرى فقد حرفت جميعها ومسخت عن الاصل مسخا، لذلك فقدت تاثيرها في تزكية الروح لانها فقدت صلتها الربانية والنظم الدنيوية لا تملك هذه الصلة ولا تذكر الانسان الا بالـــدنيا ومتاعها الفاني، لذلك لا تجد دينا سماويا ولا مبدأً ارضيا اصـــلح النفـــوس ورفعها الى المعالي الا الاسلام.

بعد ان انتخب المسلمون ابا بكر ﷺ ان يكون خليفة على المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يكن راغبا فيها طلب من عمر ﷺ ان يساعده في تولي القضاء، بأن يكون حاكما وقاضيا بين المسلمين في المدينة يحتكم اليـــه الناس ليفضَّ بينهم نزاعاتهم، فبقي عمر ﷺ قاضيا سنة كاملة ولم ترفع اليه قضية واحدة ولم يختصم اليه اثنان فتخلى عن هذا المنصب وأخبر بذلك ابا بكر ﷺ بأنَّ قوما عرف كل منهم ما له وما عليه لا يحتـــاجون الى قـــاض يقضي بينهم.

هذا ما يحصل في المجتمع الاسلامي ويحصل العكس من ذلك في المجتمعات غير الاسلامية، لنأخذ مثلا واحدة من الدول التي تسمي نفسها دولا علمانية متحضرة. تقول احصاءات للجرائم انه يحصل في المجتمع الامريكي 26 جريمة في كل دقيقة من سنة 1988م كإطلاق النار او الطعن او اغتصاب الاطفال والفتيات او السرقة والسطو على اموال الناس بقوة السلاح وسجل التقرير السنوي عن الجرائم في امريكا الذي اصدره مكتب التحقيق الاتحادي 20675 جريمة في سنة 1988 أي بزيادة 9 . 2% على عدد هذا الجرائم في سنة 1987م.

و لم يكتف الإسلام بتزكية النفوس بل سما بها الى العلا درجات وقد خلف للانسانية نماذج من هذا السمو في كل ميدان من ميادين الحياة ولنأخذ على سبيل المثال ميدان حب الشهادة في سبيل الله.

فقد شاور رسول الله (ﷺ) يوم بدر الصحابة في قتال المشركين فقالوا: يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك ولو سرتَ بنا الى كذا وكذا لسرنا معك ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: (فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) [المائدة: 24] ولكن نقول اذهب فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون.

وبعد انتصار المسلمين في معركة بدر جمع المشركون الجموع واقبلوا في نحو من ثلاثة الاف حتى نزلوا قريبا من أحد تلقاء المدينة فصلى رسول الله (ﷺ) يوم الجمعة فلما فرغ منها صلى على رجل من بني النجار يقال له مالك بن عمرو واستشار رسول الله ﷺ الناس: ايخرج اليهم ام يمكث في المدينة؟ فاشار عبد الله بن أُبي بالمقام في المدينة فإذا بقى المشركون في مكانهم هلكوا وان دخلوا المدينة قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء

والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين وكان هذا الرأي صائبا وهو الموقف الذي كان يحبذه رسول الله ﷺ، إلا انه أشار جماعة من الصحابة ممن لم يشهدوا بدرا بالخروج إليهم، فقد شعروا انهم حرموا شرف الجهاد في سبيل الله في معركة بدر فتشوقوا للجهاد في جولة أخرى فانتظروها بلهف حتى إذا اقبلت جولة احد دفعهم شوقهم للجهاد في سبيل الله ومقاتلة العدو وجها لوجه الى ان يشيروا الى رسول الله ﷺ بالخروج لقتال المشركين دون البقاء في المدينة. فدخل رسول الله ﷺ خيمته او بيته ولبس لأمته، أي درعه وخرج عليهم ملبيا رغبتهم ونزل الى رأيهم، وقد ندم بعضهم وقالوا لعلنا استكرهنا رسول الله ﷺ والححنا عليه بالخروج فقالوا: يا رسول الله ﷺ: إن شئتَ أن نمكث أن نبقى في المدينة بقينا فقال رسول الله ﷺ: ما ينبغي لنبي اذا لبس لأمته ان يرجع عن القتال حتى يحكم الله ثم حدث ما قدر الله.

وكان زيد بن الخطاب وهو أخو عمر بن الخطاب لأبيه، قد اسلم قبل عمر رضي الله عنه، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان زيد رضي الله عنه يحمل راية المسلمين في معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب، وقد رأى انكشاف المسلمين وتراجعهم وجعل يصيح بأعلى صوته: اللهم اني اعتذر اليك من فرار أصحابي وابرأ اليك مما جاء به مسيلمة، وكان لثبات زيد وجماعة من الصحابة اثر في تغيير مجرى الحرب لمصلحة المسلمين؛ اذ قُتِل مسيلمة وانهزم جيشه وانتصر جيش المسلمين.

وقاتل زيد في هذه المعركة بثبات وايمان حتى استشهد رضي الله عنه، ولما بلغ عمر بن الخطاب خبر استشهاد اخيه لم يبكه و لم يحزن عليه بل ولا استرجع فقال: انا لله وانا اليه راجعون، اذ لم يعد قتل اخيه مصيبة بل غبطه كما

يغبط احدنا انسانا اذا سمع انه قد فاز بمنصب عال من مناصب الدنيا، فقد قال حين وصل اليه الخبر: لقد سبقني الى الحسنيين (اخـــي) اســـلم قبلـــي واستشهد قبلي.

وفي غزوة تبوك تهيأ جيش المسلمين للقتال وكل اخذ عدته التي يحتاج اليها للجهاد في سبيل الله، الا ان رجالا من المسلمين أتوا رســـول الله ﷺ وهم الباقون وهم سبعة نفر من الانصار وغيرهم كانوا فقراء وذوي حاجة لا يملكون عدة الحرب من دابة وسلاح فاستحملوا رسول الله ﷺ وطلبـــوا منه عليه الصلاة والسلام ان يجهزهم بعدة الجهاد فاعتذر لهم رسول الله ﷺ وقال: (لا أجد ما أحملكم عليه) وفي ذلك نزل قول الله تعالى: (لَّيْسَ عَلَـــى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَـــرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {91} وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّـــواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَـــا يُنْفِقُونَ){التوبـــة: 91-92}.

فرجعوا وهم يبكون لأنهم لم تتهيأ لهم الفرصة ليشاركوا اخوانهم في الجهاد؛ ولقد كان بكاؤهم صادقا لان الذي اخبرنا عن حالهم هو الله الذي يعلم اسرار الناس ونياتهم ويعلم من يبكي ممن يتباكى.

فيا سكان الارض هل قرأتم او سمعتم في التاريخ ان رجالاً من غير أمّة القرآن قد قطرت أعينهم بقطرة دمع واحدة، لأن قائدهم اعتذر لهم عـــن المشاركة بالقتال؟!

وفي معركة القادسية يأتي عبد الله بن أم مكتوم وكان رجلاً اعمـــى وشيخاً كبير السن يطلب من القادة ان يشارك في القتال والجهاد في ســـبيل

الله فيعتذرون له بأنهم لا حاجة لهم فيه وماذا يصنعون به وهو شيخ اعمى؟ فطلب منهم ان يكلفوه باي عمل كان وما زال يلح عليهم حتى أعطوه حمل الراية فاستشهد وهو يحملها.

وهذه الخنساء أشعر شاعرات النساء عاشت في الجاهلية والإسلام وفي ظل الجاهلية قُتل أخوها صخر فحزنتْ عليه وجعلتْ أكثر قصائد شِعرها في رثائه ومن أبياتها فيه:

إنَّ ضخراً لتأتم الهداة به   كأنَّه عَلَمٌ في رأسه نارُ

ومنها

أعينَيَّ جودا ولا تجمدا   ألا تبكيان لصخر الندى

ومنها:

يذكرني طلوع الشمس صخراً   وأذكره لكل طلوع شمس

ولولا كثرة الباكين حولي   على إخوانهم لقتلتُ نفسي

وما يبكين مثل أخي ولكن   أُعَزِّي النفس عنه بالتأسِّي

حتى إنها لشدة جزعها عليه علقتْ نعليه على صدرها فربطت خُفَّيه بحبل ثم تقلدته فجعلته لها كالقلادة.

هذه الشاعرة نفسها أسلمت فرباها الإسلام ثم اشترك أولادها الأربعة في معركة القادسية فاستشهدوا فيها جميعاً فلما جاء إليها خبر استشهادهم لم تقابل هذا الخبر كما تقابله كل امرأة من نساء الدنيا بالبكاء واللطم والعويل بل قابلته بصبر وثبات وبقولتها المشهورة: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم واستشهادهم جميعاً.

هكذا أصبح حال الخنساء في ظلال القران فأين هذا الحال من حالها في ظلال الجاهلية؟!

فكل حال يرتفع بالإسلام وينحط بغيره، اللهم ارفعنا بالإسلام وامتنا على شهادة الإسلام اللهم آمين.

فريضة الصلاة في الاسلام

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه

(ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم)

(ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب)0

اللهم انا نعوذ بك من شر ما عملنا ومن شر ما لم نعمل.

قد يرى الذين ليسوا من ديننا، وقد تحس شرذمة من ابناء المسلمين بأن القيام بالصلاة خمس مرات في اليوم كثير، وانه يكفي تاديتها مرتين، كأن تكون احداها في الصباح، والاخرى في المساء.

إن القيام بالصلاة خمس مرات في اليوم ليس كثيراً؛ لكن الاحساس بكثرتها، ومشقة ادائها يأتي من ضعف الايمان والاسلام، او يأتي من الاعتقاد بأن امرها هين. ويزول هذا الاحساس وذلك الاعتقاد تماماً عند الشعور باهميتها عند الله وفي اهمية تاثيرها في اصلاح النفوس والحياة الانسانية.

ان الصلاة التي قد عدها الله عماد الاسلام، وباب الدخول في رحمته وجنته التي عرضها السموات والارض، لتبدو خفيفة الوزن جدا في الوقت والجهد إذا ما قيست بالأعمال الأخرى التي يقوم بها الانسان من اجل قضايا دنيوية تافهة زائلة.

ان وقت الصلوات الخمس كثيراً ما يكون اقصر من الوقت الذي يصرفه الانسان في طريق ذهابه الى محل عمله، فضلاً عن المجيء منه الى بيته، بل قد ينتظر المرء في موقف المركبات ما يزيد عن وقت الصلوات جميعاً.

ان زمن الصلوات المكتوبات اقل من الزمن الذي يصرفه الانسان في الامور غير الضرورية التي لا يحسب لها حساب، مع العلم انه ينبغي ان يقاس بالزمن الذي يشغله الانسان في اعماله الدنيوية.

فإذا كان ربع يوم الانسان او اكثر يشغل بالعمل من اجل متاع الدنيا التافه والزائل، لا يعد كثيرا في اعتقاد الناس، فكيف يعد كثيرا في اعتقادهم نصف ساعة يشغلها العبد من اجل ربه، والحياة الآخرة التي هي خير من الدنيا وأبقى؟!

في يوم ما كنت بين نصارى، وتحدثنا معا عن عدد الصلوات في الاسلام والنصرانية. فسألت بعضهم: كم مرة تصلون في اليوم؟ فقال: مرتين، في الصباح، وفي المساء، فسالني وأنتم؟ قلت: خمس مرات فرد بعضهم، فقال ما معناه: ليس المهم كثرة الصلوات، انه يكفي ان تُؤدى مرة او مرتين في اليوم.

ففكرت في هذه المسالة لحظات، فوثب الى ذهني ما اضرم في قلبي الايمان والاسلام وزاد من تصديقي لرسالة محمد ﷺ.

لقد قلت في نفسي وقتئذ لو ان رسول الله ﷺ جعل الصلاة مرتين في اليوم لما انكر عليه ذلك احد، بل لرحب المسلمون بهذا التخفيف، كما انه سيكون وسيلة تشجع غير المسلمين على الدخول في الاسلام وهذا الامر سيكون من مصلحة محمد ﷺ فلِمَ لَمْ يفعل مثل ذلك، عليه الصلاة والسلام؟!

مما لا ريب فيه، انه لم يفعل ذلك؛ لان الصلولت واوقاتها فرضها الله وليس محمد، ولان القرآن والاسلام من عند الله لا من عند محمد ﷺ، فليس

محمد ﷺ الا بشر يتلقى الأوامر من عند الله، ثم يبلغها نفسه والمسلمين ويفرضها على نفسه وعلى المسلمين.

انه ما من شك ان الأمر لو كان بيد محمد ﷺ او كان كاذباً بنبوته — حاشاه من ذلك — لجعل الصلوات ثلاثاً او مرتين، لان هذا ما يتفق مع مصلحة النبي الكاذب ومع هوى النفس والأكثرية، لكن جعلها خمس مرات في اليوم دليل من ادلة كثيرة على صدق نبوة المصطفى، وعلى صدق رسالته، عليه الصلاة والسلام.

الصلوات الخمس أخف تكليف:

فرض الله الصلاة، وقد جعل القيام بها من احد الامور المهمة واولها، التي تبلغ صاحبها رضا الله، والدخول في جنته. فبما ان الامر كذلك، فإن جعلها خمس مرات في اليوم هو أقل ما يمكن للتمييز بين المؤمن الصادق والمؤمن الكاذب. انها تكاد تكون اخف من أي تكليف انيط بالانسان في اموره الدنيوية.

لقد فرض الله الصلاة لتكون تكليفاً يختبر به العباد وجعلها تبلغ الحد الادنى من التخفيف، فان خففت اكثر، عادت غير تكليف، وانحدرت الى مستوى حيث يؤديها الناس كانها تسلية يتسلون بها، او نزهة يتمتعون ويقضون بها وقت فراغهم، كما حدث ذلك في صلوات الأديان الأخرى، وعندئذ ستفقد غايتها، فلا تكون وسيلة ناجعة لفرز الجاد في ايمانه من الهازل؛ لانها ستنزل من مرتبة التكليف الى مرتبة اللعب، والناس يُعرف جوهرهم بالأول لا بالثاني، فكل نفس تهوى ان تلعب فكل نفس تهوى الصلاة إذا كانت تُؤدى بغير وضوء وبغير اغتسال وغير مقيدة باوقات

واركان، وبخاصة إذا كانت تُؤدى جنباً الى جنب مع النســاء الحاســرات السافرات في المعابد.

الجد والضبط في الصلوات

امتازت العبادات الاسلامية ومن ضمنها الصلاة بالجد والضبط، فهي تختلف من هذه الناحية عن الصلاة في الاديان الاخرى، من ذلك مثلاً انهــا في الاسلام لا يجوز ان تُؤدى الا عن طهر ووضوء فإذا كان المسلم علــى جنب وجب عليه الاغتسال، وإذا أحدث الحدث الأصغر وجب عليــه ان يتوضأ، يفعل ذلك قبل ان يقدم عليها كما انها يلزم ان تقام في اوقاتها المعينة التي حددها الله سبحانه. فصلاة الصبح يجب ان تُؤدى ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فلا يجوز ان تُؤدى قبل الفجر ولا بعد الشروق، وكذلك اوقات الصلوات الاخرى الظهر، والعصر والمغرب، والعشاء، فقد حددت بداية كل منها ونهايته.

ومن علامات الجد والضبط الاخرى، انه لا يجوز البتة تأجيلــها لاي سبب كان، حتى في حالتي السفر والمرض، بيــد انــه وضــعت رخــص لتخفيفها، فتقصر وتجمع في الحالة الاولى، وفي الحالة الثانية من لم يستطع أن يصلي وهو واقف، صلى وهو قاعد، ومن عجز عن الصلاة قاعداً، صلاها مضطجعاً، وجاز التيمم بالتراب لمن تعذّر عليه الحصول علــى المــاء، او استعماله، بدلاً من الوضوء والاغتسال. كل ذلك شرع لكــي لا يســمح بتاجيلها.

ومن الامثلة الاخرى على هذا الموضوع، انه من صلى صــلاة قبــل وقتها بدقائق وجب عليه إعادتها، وإلا عد كأنه لم يصل، ومن أخّرها بغير

عذر فإنه مع وجوب ان يصليها قضاء عُدَّ آثماً واوعد بالحساب ان لم يستغفر ربه.

ان الاسلام لا يقبل من أي مسلم التهاون في امرها، فلا يقبل من مؤخر فريضة الصبح الى بعد طلوع الشمس ان يعتذر بقوله عن تاخيرها، انه كان سهران او تعباً او اجنب في ليل من ليالي الشتاء فلما نهض للفجر وجد الماء بارداً فثقل عليه كثيراً ان يغتسل فيصلي، إن هذه الحجج وامثالها قد يسمح بها بصورة شرعية في غير الاسلام، أمَّا في الاسلام فإنه لا يفتح أُذنه ليسمع مثل تلك الأعذار لأن العبادة في هذا الدين التي من بينها الصلاة، لم تفرض للتسلية، كما هو الحال في بقية الأديان، كأنها دمية يلعب بها الطفل متى ما هواها، وفي أي وقت شاء وباي صورة.

ان الصلاة في الاسلام تتصف بصفة الجد، تشبه في ضوابطها القوانين العسكرية، فكما ان العسكري يجب ان يلتزم في تأدية واجباته دون إفراط أو تفريط، وان صدر منه أي تهاون كان عوقب؛ ليلقن درساً يذكره كلما فكر في التهاون مرة ثانية، فكذلك المسلم عليه ان يلتزم بتادية صلاته من دون إهمال، وإلا لقي الحكم في قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ {4} الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ){الماعون: ٤-٥}

صفة الضبط هذه تجعل للصلاة معنى، تجعل المصلي يحس بها، عندما يؤديها يشعر بأنه قد أدى واجباً، تجعله يثق بالنتيجة، بضمان المستقبل، أي: تجعله يثق بدخول الجنة.

فكل طالب مثلا لا يرغب أن يكون في كلية ليس فيها ضبط لدوام الطلبة، ولا في امتحاناتهم، يتساوى لدى الأدارة من يلتزم ممن لا يلتزم، لا يُضبط الاختبار، فيسهل على الكثير الغش، فينجح الغبي والمهمل، بل

يفوزون باعلى الدرجات بسهولة وبدون اجتهاد، ولا يضبط التصحيح، والأدارة لا تحاسب طلبتها ولا اساتذتها فكل يجري حسب هواء، يشيع في الكلية التسيب والفوضى، مما لا شك فيه إني لو كنت طالباً ووجدت مثل هذه الكلية، فإني أُوَلِّيها الدُّبُر ولا ارغب فيها، وهذا ما يفعله كل طالب ازاءها ليس كرها للتسيب، فكل نفس تهوى الهزل، وان لا تحاسب، لكن لا يرغب فيها؛ لأنه يهتم بمستقبله؛ لأنه يحس بأن الكلية هذه لا عاقبة محمودة وراءها، فيعود لا يثق بنتيجتها، وسيشعر بجدوى دراسته وضمان مستقبله عندما يلتحق بكلية ثانية يجد فيها الإدارة تحاسب طلابها تضبط دوامهم وامتحاناتهم بشدة، تحاسب من يتأخر او يحاول الغش، وتفصل من لا يلتزم بقوانين الدراسة.

هذا الحال الأخير ستجعل الدارس يثق بكليته، ويثق بنتيجة تعبه فيها، فكذلك الصلاة في الاسلام، ان الضبط الذي فيها تجعل المسلم يحس بحقها، وبجد نتيجتها، بخلاف الصلاة في الأديان الأخرى التي لا ضبط فيها، تُؤدى بدون تكليف التي تجعل صاحبها يشك في أمرها، وفي أمر ما تنتسب اليه.

إن صلاة تُؤدى حسب أهواء البشر، لا وضوء فيها ولا اغتسال، ولابأس ان صلاها قبل وقتها أو بعده، يجتمع في أدائها النساء والرجال بلا مسوغ، محسورات الرأس والساقين، ان صلاةً مثل هذه تجعل صاحبها من الصعب ان يصدق انها من عند الله، وانها ستدخله جنة عرضها السموات والارض، وهو يعلم ان ادنى وظيفة في الدنيا لايبلغها المرء، ولا يأخذ اجرها الا بعد ان يؤدي واجباتها وقوانينها كاملة وبإخلاص وإتقان، فكيف تصدق نفس ان تنال جنة الخلد بعبادة هزلية؟!

إن قوانين الضبط التي فُرِضت على المصلي في صلاته في الاسلام دليل من أدلة كثيرة على أنها من عند الله، وأن التهاون الذي تـراه في صـلاة الأديان الاخرى، دليل من ادلة كثيرة على أنها خرجت من عند الله منـذ زمن، وباتت في أيدي البشر، فصاغوها كما تهوى انفسهم، وتهوى نفوس التابعين.

في الصلاة الاسلامية قوانين فيها حزم وجد، ولكن ليس فيها عسـر وتكليف فوق قدرة الانسان، فقد قال تعاى: (يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْر){البقرة: ١٨٥}.

فيجب التفريق بين الضبط والشدة، إن الشباب لا يشكون من التعب في أداء الخدمة العسكرية في الجيش؛ لأنه في الحقيقة ليس فيها اعمال مرهقة؛ لكن يشكون من قوانينها التي يجب ان تنفذ بحذافيرها، وإتقـان مـن دون تأخير، ودون التماس الاعذار للتماص منها، وإلا عوقب.

وهكذا كانت الصلاة في الاسلام، إن الاسلام يريد من المسلمين بأداء هذه الفريضة أن يكونوا جميعاً شباباً وشيوخاً، نساء ورجالاً، جنوداً ملتزمين تعلمهم عباداتهم بما فيها من ضبط، على الضبط لتنفيذ القوانين الربانية وفي قضاء امورم الدنيوية.

اللهم إنا نعوذ بك من شر أسماعنا ومن شر أبصارنا ومن شر قلوبنـا ومن شر السنتنا ومن شر منينا. اللهم اهدنا وسددنا،اللهم إنا نسألك الهدى والسداد،اللهم امين.

الجهاد والشهادة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلـــى الـــه وصحبه ومن والاه. (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَـــاهُ وَأَدْخِلْنِـــي بِرَحْمَتِـــكَ فِـــي عِبَـــادِكَ الصَّالِحِينَ){النمل: ١٩}

عن ابي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (لا يلج النار رجل بكـــى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبـــار في ســـبيل الله ودخان جهنم) رواه الترمذي.

وعن ابي هريرة ﷺ قال مر رجل من اصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة (عين صغيرة) من ماء عذبة فأعجبته فقال: (وهو يحدث نفسه) لو اعتزلت الناس فاقمت (أنا وأولادي وأهلي) في هذا الشعب، ولن افعل حتى استأذن رسول الله ﷺ فقال: لا تفعل، فإن مقام احدكم في سبيل الله (يدعو الناس الى الله او يجاهد الاعداء في سبيل الله تعالى) افضل من صلاته في بيته سبعين عاماً الا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في ســـبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة. رواه الترمذي وقال حديث حسن والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

و (فواق الناقة) هو ما بين رفع يدك عن ضـــرعها وقـــت الحلـــب ووضعها. وقيل: هو ما بين الحلبتين.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال: مقام الرجل في الصف في سبيل الله افضل عند الله من عبادة الرجل ستين ســـنة. رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري.

وعن ابي هريرة ﷺ قال: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله (كم يساوي من العبادة او غيرها) قال: لا تستطيعونه فأعـادوا عليـه مرتين او ثلاثا، كل ذلك يقول لا تستطيعونه، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم (الذي يقوم الليل متهجداً كل ليلـة والطويـل في الصلاة) القانت بآيات الله لا يفتر (ولا ينقطع) من صلاة وصـيام حـتى يرجع المجاهد في سبيل الله. رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

وعن ابي سعيد ﷺ ان رسول الله ﷺ قال: من رضـي بـالله ربـاً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة، فعجب لها ابو سعيد فقال: أعِدها عليَّ يا رسول الله فأعاد عليه ثم قال: وأخرى يرفع الله بها للعبد مئة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض، قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: الجهاد في سبيل الله". رواه مسلم وابو داود والنسائي.

وعن كعب بن مرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من بلـغ العدو بسهم رفع الله له درجة. فقال له عبد الرحمن بن النحام: وما الدرجة يا رسول الله؟ قال: أما انها ليست بعتبة أُمك ما بين الدرجتين مائة عـام، "رواه النسائي وابن ماجه في صحيحه.

وقد اراد رسول الله (ﷺ) ان ينفي عنه ظنه ان تلك الدرجة من نحو الدرجات المعهودة كعتبة الدار او درجة السلم فقال له ذلك، وفي رواية "اما انها ليست بعتبة بابك".

وعن ابي بكر بن ابي موسى الاشعري ﷺ قال: سمعـت ابي وهـو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ: ان ابواب الجنة ظلال السـيوف. فقال رجل رث الهيئة فقال: يا ابا موسى أَسَمِعْتَ رسول الله يقول هـذا؟ قال: نعم، فرجع الى اصحابه، فقال: اقرأ عليكم السلام (فسلم عليهم يريد

بذلك ان يودعهم) ثم كسر جفن سيفه فألقاه (لأنه عزم ان لا يضعه فيه مرة اخرى حتى يستشهد) ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل. رواه مسلم والترمذي وغيرهما.

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل مقتع بالحديد (مستعداً للقتال) قال: يا رسول الله، اقاتل او أسلم؟ قال: أسلم ثم قاتل، فأسلم ثم قاتل فقتل شهيداً، فقال رسول الله: عمل قليلاً وأجر كثيراً "رواه البخاري واللفظ له ومسلم.

وعن أنس ﷺ انه لما قدم المشركون في معركة بدر قال رسول الله ﷺ لاصحابه: قوموا الى جنة عرضها السموات والارض قال: عمير بن الحمام (وهو من بني سلمة): يا رسول الله، جنة عرضها السموات والارض؟. قال: نعم، قال: بَخٍ بَخٍ (وهي كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء) فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك: بخ بخ؟ فقال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء ان اكون من اهلها (يعني لا يحملني على قول بخ الا طمعي ان اقتل في هذا اليوم وادخل الجنة) قال: فإنك من اهلها، فأخرج تمرات من قرنة (اخرج تمرات من كيسه الذي كان يضع فيه سهام القتال) فجعل يأكل منهن، ثم قال: إن أنا حييت (وبقيت في الحياة) حتى آكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل ﷺ، وكان لسان حاله يقول (وعجلت اليك ربي لترضى) وهكذا كان.

وعن شداد بن الهاد ﷺ، ان رجلا من الأعراب جاء الى النبي ﷺ فآمن به واتبعه (وكان ذلك عند خروجه الى غزوة خبير) ثم قال: أهاجر معك، فاوصى به النبي بعض اصحابه فلما كانت غزوة خبير غنم النبي ﷺ (في هذه الغزوة غنائم) فقسم (الغنائم بين المقاتلين المسلمين) وقسم له

(للأعرابي نصيبه من الغنيمة) فاعطى اصحابه ما قسم له وكان (الأعرابي) يرعى (ويحرس) ظهرهم، فلما جاء دفعوه اليه (دفعوا له حصته) فقال: ما هذا؟ قالوا قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه، فجاء به الى النبي ﷺ، فقال: ما هذا؟ قال: قسم قسمته لك قال: ما على هذا اتبعتك (اني لم اتبعك من اجل الحصول على شيء من الغنائم) ولكن اتبعتك على ان أُرمى ها هنا بسهم وأشار الى حلقه؛ فأموت فادخل الجنة، فقال (له النبي ﷺ) ان تصدق الله.. يصدقك، فلبثوا قليلا، ثم نهضوا الى قتال العدو، فأُتي به الى النبي ﷺ (مقتولا) يُحمل (على الأكتاف) قد أصابه سهم (في حلقه) حيث أشار، فقال النبي ﷺ أهو أهو؟ (قالوا) نعم، قال: صدق الله فصدقه، ثم كفنه النبي ﷺ في جبته التي عليه (تكريما له لإخلاصه في جهاده) ثم قدمه فصلى عليه (وفي هذا دليل على مشروعية الصلاة على الشهداء) وكان مما ظهر من (دعائه في) صلاته (عليه): اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا، أنا شهيد على ذلك. رواه النسائي.

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ يحبون الشهادة في سبيل الله، لأنهم كانوا يحبون لقاء الله، وقد ازداد حبهم وشوقهم لها بعد وفاة رسول الله ﷺ، لأنهم زاد شوقهم للقاء الله وللقاء رسول الله ﷺ، فهذا بلال رضي الله عنه مؤذن الرسول الله ﷺ، لما توفي الرسول عليه الصلاة والسلام ترك الأذان، و لم يؤذن بعده، ثم ذهب الى الشام، وحين زارها الخليفة عمر رضي الله عنه طلب منه المسلمون ان يلح على بلال ليؤذن، فحين أذن تذكر المسلمون حياة الرسول ﷺ فضجت المدينة بالبكاء وكان عمر رضي الله عنه اشدهم بكاء.

وحين حضرت هذا الصحابي الوفاة وصار في سكرات الموت جعلت أُخته او زوجته تصيح:وامصيبتاه، فسمع صياحها، فلما أفاق من سكرته قال

لها: لا تقولي: وامصيبتاه، بل قولي وافرحتاه، غداً القى الأحبة محمدا وصحبه.

وفي عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ أُرسلت القوات الاسلامية المسلحة لتضرب طاغوت الروم الذي هدد دولة الاسلام وعندما وصلت القوات الإسلامية ودارت المعارك أسر هرقل حاكم الروم الصحابي الجليل عبد الله بن حذافه ﵁ مع جماعة من أصحابه المسلمين ودار بين حاكم الروم وبين الصحابي عبد الله بن حذافه ﵁ حوار فقال هرقل ملك الروم: ياعبد الله تَنَصَرْ (كن نصرانياً) وأُعطيك نصف ملكي فقال عبد الله بن حذامة ﵁: ياهرقل والله لو عرضت علي الدنيا كلها على ان اترك دين محمد ما تركته.

فقال هرقل: يا عبد الله إن لم تتنصّر فسوف أعذبك العذاب الأليم فقال عبد الله بن حذافة:افعلْ ما تشاء فإنما تعذب بدناً فانياً وجسداً مولياً أما الروح فلا يملكها إلا الله، فأمر هرقل ان يصلب على صليب وان يضرب بالسهام في يديه ورجليه وفي غير مقتل حتى يعذب العذاب الأليم، فصُلب على صليب ورُمي بالسهام وكلما أصابه سهم قال: لا اله الا الله قال هرقل: انزلوه، فأنزلوه فغلي له ماء في قدر حتى كاد الإناء ان يحترق من شدة الغليان وقال له: يا عبد الله إما ان تتنصّر وإما ان تلقي بنفسك في هذا الماء، وإذا بعبد الله بن حذافة ﵁ يمشي الى الماء يغلي فلما اقترب منه بكت عيناه فقال له هرقل:أبكيتَ يا عبد الله؟ فقال له: والله ما بكيتُ خوفاً فأنا أعلم انني سائر الى الله ولكني بكيت لأن لي نفساً واحدة وكنت أودُّ ان يكون لي مئة نفس تعذب في سبيل الله فقال هرقل:ارجعوه فأحضر له امرأة غانية جميلة من نساء الروم وقال: أدخلوه معها في غرفة مغلقة تراوده عن

نفسه ودخلت معه الغانية وغلقت الأبواب وأخذتْ تغدو وترجع أمامه وبعد ساعات مضت قال هرقل:احضروها لأسمع منها ما حدث فلما حضرت أخبرته وقالت له: يا سيدي أنا لست أدري الى من أرسلتني أأرسلتني الى بشر ام الى حجر كلما خطوتُ أمامه ما سمعت منه الا قول لا اله الا الله.

فقال هرقل أدخلوه في غرفة ولا تحضروا له طعاماً الا الخمر ولحم الختزير فأحضروا له ذلك وأغلقوا عليه الباب وليس معه طعام سواهما وظل عبد الله بن حذافة ﷺ ثلاثة أيام لا يأكل لحم ختزير ولا يشرب خمراً ثم دخلوا عليه فوجدوه يذكر الله يصلي والخمرة، كما هي، ولحم الختزير كما هو.

قال له اخوانه بعد ذلك: يا عبد الله ما منعك من الشرب والأكل وأنت مضطر لذلك والجوع يعبث بأمعائك، وقد أجاز الاسلام إباحة تعاطي مثل هذه المحظورات عند الضرورات؟ فقال لهم: خفتُ ان أشمت أعداء الله في دين الله.

فلما يئس منه هرقل قال له يا عبد الله: قَبِّلْ رأسي وأطلق سراحك فقال له: بل تطلق سراح إخواني المسلمين فوافق على ذلك ولما ذهب ليضع فمه على رأس هرقل قال لرب العزة: اللهم انك تعلم انه مشرك نجس ولكني سأبصق على رأسه ولن أُقَبِّلها فإذا سألتني عن ذلك يوم القيامة سأقول لك وعزتك وجلالك ما فعلتُ ذلك الا لأطلق سراح إخواني.

وذهب عبد لله ووضع فمه على رأس هرقل وبصق عليها دون ان يشعر، فأصدر هرقل سراحه وسراح إخوانه وبعد ذلك ذهبوا الى المدينة المنورة والتقوا بامير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وقصوا عليه ما جرى فقام

عمر بن الخطاب ﷺ وقال:حق على كل مسلم أن يُقبِّلَ رأسك يا عبد الله وأنا أبدأ بنفسي. وقام عمر بن الخطاب ﷺ وقَبَّلَ رأس عبد الله بن حذافة ﷺ إكراماً لعزته ولدينه.

ودعا الحاضرين من الصحابة أن يُقبِّلوا رأسه فَقَبَّلوا جميعا رأسه ﷺ.

اللهم ربنا أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمت علينا وعلى والدينا وأن نعمل صالحاً ترضاه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين. اللهم آمين.

معركة بدر الكبرى

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، سبحان الله، والحمد لله، ولا اله الا الله، والله اكبر، ولا حول ولا قوة الا بالله، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

"خرج الرسول ﷺ يوم الاثنين لثمان خلون من شهر رمضان المبارك، في السنة الثانية من الهجرة. وسلك طريقه من المدينة الى مكة يريد بدرا، وهو موضع ماء كانت تعقد عنده بعض المواسم التجارية ويبعد عن المدينة بحوالي مائة وستين كليومتراً. "خرج الرسول ﷺ مع صحابته وكان عددهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا من المهاجرين، وكانت ابلهم سبعين بعيرا وجعلوا يتعقبون، وهو ان يركب الواحد البعير مدة ثم يترل ليعقبه الآخر فيركبه، فكان كل اثنين وكل ثلاثة وكل اربعة يتعقبون بعيرا، وكان حظ محمد ﷺ كحظ سائر اصحابه، فكان هو وعلي بن ابي طالب ومرثد بن مرثد الغنوي يتعقبون بعيرا، وكان ابو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يتعقبون بعيراً.

"ويبدو ان المسلمين توقعوا ان يلقوا قافلة ابي سفيان عند بدر غير ان ابا سفيان كان شديد الحذر، اذ كان يتوقع خروج المسلمين للتعرض لقافلته، ومن ثم فقد اخذ يستطلع اخبارهم حتى اذا تاكد من الخطر الذي يحيق بالقافلة سارع الى تغيير طريق سيره باتجاه الساحل، وبذلك فوَّتَ على المسلمين فرصة الاستيلاء على القافلة، ثم قام بإرسال شخص من قبيلة غفار الى مكة ليستنفر قريشاً لنجدة أموالها.

وحين بلغت قريش أخبار تعرض قافلتها هبت لنجدتها، وكان اشدهم حماسا ابو جهل بن هشام الذي قال: والله لا نرجع حتى نرد بدرا ونقيم عليه ثلاثا فننحر الجزور ونطعم ونستقي الخمر وتعزف علينا القيان (والمغنيات) وتسمع بنا العرب وبمسيرتنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا ابدا.

جمع الرسول ﷺ الناس الذين معه لاستشارتهم فيما يفعل تجاه المشركين، فتحدث ابو بكر وعمر والمقداد بن عمرو من المهاجرين فأبدوا استعدادهم التام للتضحية والجهاد. "فقام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله: امضِ لما رآك الله فنحن معك" والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى: اذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. وسكت الناس، فقال الرسول ﷺ: اشيروا علي ايها الناس وكان يريد بكلمته هذه الانصار الذين بايعوه يوم العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ولم يبايعوه على اعتداء خارج مدينتهم فلما أحس الانصار انه يريدهم وكان سعد بن معاذ صاحب رأيهم التفت الى الرسول ﷺ وقال: كأنك تريدنا يا رسول الله قال: اجل. فقال سعد رضي الله عنه: (لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض لما اردتَ

فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد... إنَّا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك بنا ما تقرُّ به عينك، فَسِرْ بنا على بركة الله) و لم يكد سعد يتم كلامه حتى أشرق وجه الرسول ﷺ بالمسرة وقال: سيروا وابشروا، فإن الله قد وعدني احدى الطائفتين، والله لكأني انظر الى مصارع القوم وقد ارتحلوا جميعا.

قال الله تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ){آل عمران: 123}.

والمعنى نصركم الله وانتم قليلو العدد والعدة، ليبين الله للمسلمين ان النصر يكون من عند الله.

وقال الله تعالى: (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ {124} بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ){ال عمران 124-125}.

فقد وعد الله عباده المؤمنين ان يمدهم بنصره وبملائكته على قدر تقواهم فكلما اشتد صبرهم في قتال عدوهم وزاد توكلهم على الله سبحانه زاد الله في مدده لهم.

فيتزل ملائكته عليهم مردفين متتابعين الفا بعد الف كما قال تعالى في سورة الانفال: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ){الانفال: 9}.

وقد انزل الله سبحانه ملائكته لنصر المسلمين يوم بدر مسومين، أي كانت لهم علامة في نواصي خيولهم.

قال ابن عباس: لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها في ظهورهم، ويوم حنين عمائم حمر و لم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم بدر، فكانوا يترلون في معارك أُخرى إلا الهم لم يشاركوا في القتال، بل يكونون عددا ومدداً لا يضربون.

وقال الامام احمد عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطـــاب ﷺ قال: لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ الى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر الى المشركين فإذا هم الف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: اللهم انجزْ لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام فلا تعبد في الارض ابدا، قال: فما يزال يستغيث ربه ويدعوه حتى ســـقط رداؤه عن منكبيه فأتاه ابو بكر ﷺ فأخذ رداءه فرده ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِـــأَلْفٍ مِّـــنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ){الانفال: 9}.

فلما التقى الجمعان هزم الله المشركين فقُتِل سبعون رجلا وأُسِر منهم سبعون رجلا.

وقد كان ذلك اليوم هو السابع عشر من رمضان المبارك في الســـنة الثانية من الهجرة، في هذا اليوم نصر الله اهل الحق على اهل الباطل.

وكان من بين قتلى المشركين: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأُمية بن خلف، وأبو جهل بن هشام.

وبعد ان انتصر المسلمون رجع المشركون الى مكة خائبين اذلاء، اما المسلمون فأقاموا في بدر الى آخر النهار، ثم جمعوا الذين قُتلوا من المشركين فحفروا لهم قليبا (أي بئرا) فدفنوهم فيه.

وقضى الرسول ﷺ وأصحابه تلك الليلة في الميدان، وسهر اصحابه على جمع الغنيمة والحفاظ على الاسرى، وراح رسول الله ﷺ يفكر كيف نصر الله المسلمين على قلة عددهم وكثرة عدد عدوهم، حتى سمعه اصحابه في جوف الليل وهو يقول: يا اهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة ويا امية بن خلف، ويا ابا جهل بن هشام، واستمر يذكر من في القليب من قتلى المشركين واحدا بعد واحد. يا فلان ويا فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا. قال له صحابته: يا رسول الله اتنادي قوما جيفوا؟! فقال عليه الصلاة والسلام: ما انتم بأسمع لما اقول منهم ولكنهم لايستطيعون ان يجيبوني.

وقد حرم الرسول ﷺ التمثيل في الاسرى حتى لو كان ثمة مسوغ فقد ذكر ابن اسحاق ان عمر بن الخطاب قال للرسول:دعني انزع ثنيتي سهيل بن عمرو، أي أسنانه الأمامية ويدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا في موطن ابدا قال: فقال رسول الله ﷺ: "لا أُمثل به فيمثل الله بي وان كنت نبيا".

واستشار رسول الله ﷺ ابا بكر وعمر وعليا في شأن الأسرى ماذا يصنع بهم، و لم يشرع بعد في الاسلام معاملة الأسرى، فقال ابو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان، واني ارى ان تاخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا، فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: (والقصة هذه يرويها عمر رضي الله عنه قلت: والله ما أرى ما رآه ابو بكر ولكني ارى ان تمكني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان اخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله ان ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وائمتهم وقادتهم.

ولما فرغ ابو بكر وعمر من كلامهما، دخل رسول الله ﷺ قبته فمكث فيها ساعة ثم خرج والناس يخوضون في شأنهم يقف بعضهم في صف ابي بكر ويقف آخرون في صف عمر، فشاور صحابته فيما يصنع، وضرب لهم في ابي بكر وفي عمر مثلا فأما ابو بكر فمثله كمثل ميكال يترل برضا الله وعفوه عن عباده، ومثله في الانبياء كمثل ابراهيم كان الين على قومه من العسل، قدمه قومه الى النار وطرحوه فيها فما زاد على ان قال: (أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ){الأنبياء: 67} وقال: (فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌرَّحِيمٌ){ابراهيم: 36}.

ومثل عمر في الملائكة كمثل جبريل يترل بالسخط من الله والنقمة على اعداء الله، ومثله في الانبياء كمثل نوح اذ يقول: (رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا){نوح: 26} وكمثل موسى اذ يقول: (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ){يونس: 88}.

"لقد كان رأي ابي بكر الصديق اقرب الى عقل الرسول ﷺ وقلبه مما عرف عنه من ميل الى العفو والسماحة فقرر الأخذ برأيه، فأمر بحجز الأسرى ريثما تتم مفاداتهم او اطلاق سراح غير القادرين على فداء انفسهم منهم.

و لم يحاول الرسول ﷺ التشدد في شروط فداء الاسرى بل قبل من كل اسير ما يتناسب مع قدراته المالية اما المعوزون الفقراء الذين لا مال لهم فقد منَّ الرسول ﷺ على قسم منهم فأطلق سراحهم بدون فداء وطلب من القسم الآخر الذين يحسنون القراءة والكتابة ان يعلم كل واحد منهم عشرة صبيان من اولاد الانصار مقابل اطلاق سراحه.

وقد اوصى الرسول ﷺ أصحابه بحسن معاملة الأسرى فقال: استوصوا بالأسرى خيرا، لذا فقد روي عن ابي العاص بن الربيع وكان من الذين اسروا، وهو زوج زينب بنت الرسول ﷺ قوله: كنت مع رهط من الانصار (وأنا اسيرٌ بينهم) جزاهم الله خيراً كنا اذا تعشينا او تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز عندهم قليل والتمر زادهم (ويعني انهم كانوا يفضلونه على أنفسهم بالطعام فيقدمون له الخبز ويحرمون أنفسهم منه). وكان الوليد بن المغيرة، وهو أسير آخر يقول مثل ذلك وكانوا يحملوننا ويمشون.

وقد روى بشأن معاملة الاسرى ان ام سلمة زوجة الرسول ﷺ جاءت اليه تستأذن بشأن، معاملة كل من خالد بن هشام بن المغيرة وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة وهما ابنا عم لها وكانا أسيرين، فقالت يا رسول الله ﷺ: ان بني عمي طلبوا ان يدخل بهم علي فأضيفهم وأدهن رؤوسهم وألمّ شعثهم و لم أحب أفعل ذلك حتى أستأمرك فقال رسول الله ﷺ: لستُ أكره شيئاً من ذلك فافعلي ما بدا لك.

بهذه الروح الانسانية عامل الرسول ﷺ والرعيل الاول من المسلمين الاسرى الذين كانوا قد لقوا منهم في مكة أشدَّ الأذية والاضطهاد حتى اضطروهم الى ترك بلدهم وأهليهم وأموالهم

غزوة مؤتة وتبوك

بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

اللهم انت ربنا لا اله الا انت عليك توكلنا وانت رب العرش العظيم. ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم،

نعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما. اللـــهم إنّا نعوذ بك من شرور انفسنا ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربنا على صراط مستقيم.

قال ابن اسحاق حدثني بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثة الى مؤتة في جمادى الاولى سنة ثمـــان (للـــهجرة) واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أُصيب زيد فجعفر بن ابي طالب. على الناس فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس.

فتجهز الناس وتهيؤوا للخروج، وهم ثلاثة الاف فلما حضر خروجهم ودعهم رسول الله ﷺ وودعهم المسلمون ثم مضوا حتى نزلوا معان مـــن ارض الشام، فبلغ الناس ان هرقل (ملك الروم) قد نزل (وجيشه) مآب من ارض البلقاء في مئة الف من الروم، وانضم اليهم من لخم وجـــذام وبهـــراء وغيرهم (من قبائل العرب المتحالفين معهم) مئة الف منهم... فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في امرهم، وقـــالوا: نكتـــب الى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا (بأنهم مئتا الف ونحن ثلاثة الاف) فإما ان يمدنا بالرجال وإما ان يأمرنا بامره فنمضي له.

قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة، وقال: يا قـــوم والله (انكـــم) خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثـــرة، مـــا نقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به، فانطلقوا فإنمـــا هـــي احـــدى الحسنيين، إما ظهور (وانتصار على الاعداء) وإما الشهادة (في ســـبيل الله) قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة..

فمضى الناس.. حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم (وعملاؤهم) من العرب بقرية من قرى البلقاء، يقال لها (مشارف) ثم

دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعبأ لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة يقال له: قطبة بن قتادة بن مالك، وعباية بن مالك، قال ابن اسحاق: ثم التقى الناس واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم (وسال دمه فهلك) فاستشهد ، ثم أخذ الراية من بعده جعفر وتسلم قيادة الجيش فقاتل براية رسول الله ﷺ حتى إذا الحمه القتال (واشتد ودخل بين صفوف الاعداء) اقتحم من فرس له شقراء فعقرها فرمى نفسه من فرسه التي كان يركبها وقتلها من اجل ان لا يعتمد عليها. او قد تعيقه عن القتال، وقيل السبب في ذلك خشية ان تكون عند الأعداء فيقاتلون بها المسلمين، فراح يواجه الروم وحلفاءهم راجلا وجها لوجه، فقاتلهم حتى قتل واستشهد وكان جعفر اول رجل من المسلمين عقر في الاسلام، فقد نزل عن فرسه يقاتل ويرتجز شعرًا يحث به نفسه على القتال.

وقال ابن هشام وحدثني من أثق به من اهل العلم: ان جعفر بن ابي طالب أخذ اللواء بيمينه (بيده اليمنى) فقُطعتْ فأخذه بشماله (بيده اليسرى) فقُطعتْ فاحتضنه بعضديه حتى قُتِل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء... فلما قتل جعفر تسلم عبد الله بن رواحة قيادة الجيش وأخذ الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستترل نفسه وتردد بعض التردد، فاحجم بعض الشيء، عن ان يندفع الى القتال اندفاعا شديدا كما فعل صاحباه اللذان تقدماه بالشهادة: زيد وجعفر، ثم جعل بعد ذلك يلوم نفسه على هذا التردد، بأبيات من الشعر، يامر فيها نفسه ان يكون كما كان صاحباه زيد وجعفر،

ويخاطبها اقسمت عليكِ يا نفس أن تنزلي عن الفرس وتقاتلي، فان لم تنزلي طوعا نزلتِ عنها كرها اذا قُتلتِ فوقها ونعاكِ القوم واشتد عويلهم.

ثم نزل عن فرسه فأتاه ابن عم له بعرق من لحم (بعظم عليه شيء من لحم) فقال: شُدَّ بهذا صلبك، قوِّ بأكلك قطعة اللحم هذه نفسك على القتال، فانكِ قد لقيتَ في أيامك هذه ما لقيتَ، فأخذه من يده ثم انتهش منه نهشة (فأكل منه شيئاً قليلاً) ثم سمع الحطمة في ناحية الناس، سمع زحام الناس في القتال في مكان قريب منه، فقال يخاطب نفسه، أما زلتِ تحبين الدنيا وحطامها ومتاعها، فألقى عرق اللحم من يده قبل ان يتم أكله، ثم أخذ سيفه فتقدم بين صفوف الروم فقاتل حتى قتل واستشهد ﷺ. ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم اخو بني عجلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا: انتَ، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاش بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف الناس.

ثم أعلم الله رسوله ﷺ ما حل بجيش المسلمين وقادته الثلاثة قبل ان يعودوا بوحي او برؤيا صادقة، ثم اخذ يحدث المسلمين بأمرهم فقال لهم:أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل حتى قُتل شهيداً ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً، ثم صمتَ رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الانصار وظنوا أنه قد كان من عبد الله بن رواحة الانصاري بعض ما يكرهون ثم قال: ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ثم قال: لقد رُفعوا إليّ في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً (ميلاناً) عن سريري صاحبيه فقلت: عمَّ هذا؟ (لِمَ هذا الميلان) فقيل لي: مضياً وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى.

وبعد ان تسلّم خالد بن الوليد ﵁ قيادة جيش المسلمين فكر في الانسحاب من قتال الروم بعد ان وجد ان عدد جيش الروم يفوق عدد جيش المسلمين سبعين مرة، وأدرك انه اذا بقي يقاتلهم بهذه النسبة هلك جيش المسلمين عن آخرهم، فعدل عن مواصلة القتال حفاظاً على ارواح المسلمين، فاستطاع بتوفيق من الله ثمّ بحنكته العسكرية ان يتراجع وجيش المسلمين الى المدينة بسلام وقد أعذره رسول الله ﷺ، و لم يعاقبه على انسحابه بل بارك له فعله.

فقد اقبل خالد بن الوليد ﵁ بجيش المسلمين قافلا، فلما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون... وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فُرَّار أَفَرَرْتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله ﷺ: ليسوا بالفُرَّار ولكنهم الكُرار ان شاء الله تعالى: (انهم لم يعودوا فرارا من القتال ولكنهم عادوا ليتهيؤوا للقتال في جولة قادمة).

وعن ام سلمة زوجة النبي ﷺ، قالت قلت لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة: مالي لا ارى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ وكان سلمة ﵁ أحد المسلمين الذين شاركوا في غزوة مؤتة، قالت: والله ما يستطيع ان يخرج، فكلما خرج صاح به الناس: يا فرار افررتم في سبيل الله! حتى قعد في بيته فما يخرج.

لقد وصف رسول الله ﷺ صحابته الراجعين من غزوة مؤتة وليسوا بالفرار ولكنهم الكرار وها هو في غزوة تبوك يعيد الكرة عليهم ليفي بقوله ووعده، حتى صرح عليه الصلاة والسلام بأن الغاية من هذه الحملة هو محاربة الروم في عقر دارهم.

وكان الفصل الذي تم فيه تجهيز هذه الحملة فصل صيف وحر شديد وكانت بلاد الروم بعيدة واستغل المنافقون عاملي الحر والبعد لتثبيط عزائم الناس عن الجهاد بقولهم: يغزو محمد بني الاصفر مع جهد الحال والبلد البعيد، الا ما قبل له به، يحسب محمد ان قتال بني الاصفر اللعب. فتملص من المشاركة في هذه الحملة الأعراب والمنافقون ولكن الرسول ﷺ استطاع على الرغم من ذلك ان يجهز جيشا قوامه ثلاثون ألفا من المقاتلين المسلمين ومعهم عشرة آلاف فرس فقاده بنفسه وسار بجيش المسلمين حتى نزل في تبوك، وهي منطقة في شمال الجزيرة العربية وتقع ضمن دائرة نفوذ الامبراطورية البيزنطية وقد مكث في هذه المنطقة عشرين ليلة وهرقل ملك الروم يومئذ في حمص لم يتحرك لمهاجمة المسلمين.

وفي هذه الغزوة بعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد من تبوك في اربعئمة وعشرين فارسا الى أُكَيدر بن عبد الملك بدومة الجندل وكان أُكَيدر من كندة قد ملكهم وكان نصرانيا فتمكن خالد من أسر أُكَيدر وأتى به الى الرسول ﷺ فحقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله فرجع الى قريته وحذت حذوه قرى نصرانية أخرى، كأيلة وتيماء، كانت متحالفة مع الروم، فخاف ملوكها ان يفعل بهم محمد ﷺ ما فعل بأُكَيدر فأتوه جميعا فصالحهم فقطع عليهم الجزية، وقرروا تقديم الولاء للدولة الاسلامية بعد ان كانوا يؤدونه للامبراطورية البيزنطينية.

ثم عاد الرسول ﷺ بعد ذلك الى المدينة في شهر رمضان بعد ان مضى بعيدا عنها حوالي الشهرين بعد ان أكَّد للروم ولعملائهم انه لا قدم لهم بعد اليوم في الجزيرة العربية.

وفي هذه الغزوة نزل قوله تعالى: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ {81} فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ){التوبة: 81-82}.

شهادة أهل التوراة والإنجيل

اللهم أجرنا ووالدينا وذرياتنا من النار ولا تخزنا يوم يبعثون. اللـــهم آمين.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلـــى آلـــه وصحبه ومن والاه. يا حي يا قيوم بك نستغيث فأصلح لنا شؤوننا كلـــها ولا تكلنا الى أنفسنا ولا الى غيرك طرفة عين.

ليس غريباً اذا وجدنا اليهود والنصارى يطعنون في شخصية محمد ﷺ فهم الذين اتهموا ابراهيم عليه السلام بأنه كذاب. واتهموا لوطاً عليه السلام بأنه زنى بابنتيه واتهموا داود عليه السلام بانه اغتال اوريا وزنى بزوجته حتى حملت منه واتهموا سليمان بانه عبد الاصنام واذا كانت هذه حـــالهم مـــع انبيائهم فكيف يكون حالهم مع محمد ﷺ الذي قال عنهم: (والذي نفـــس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأُمَّة يهودي ولا نصراني ثم يموت و لم يؤمن بالذي ارسلت به إلا كان من اصحاب النار). رواه مسلم.

ومن سنة الله، سبحانه، ان يُهيئ من أعداء الاسلام من يـــرد علـــى زملائه الذين هم من بني قومه وجنسه ومذهبه دفاعا عن هذا الدين ونبيـــه، وهؤلاء المدافعون غالبا ما يكونون من المعروفين عند اقوامهم بالعلم والسيرة الحسنة، انها سنة قوله تعالى: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا){يوسف: 26}.

شهد بحقه ﷺ الكهان من العرب والأحبار من اليهود والرهبان مـــن النصارى فهؤلاء جميعا كانوا قد أُخبروا بقرب مبعث محمد ﷺ قبل بعثته لما تقارب زمانه أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فقد وجـــدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه أخبرتهم بذلك انبياؤهم أمَّا الكهان من العرب فقد أتتهم بأخباره الشياطين من الجن الذين كانوا يسترقون الســـمع مـــن

السماء قبل ان تحجب دونهم بالشهب ورجمهم بها فما يزال الكاهن والكاهنة يتحدثان عن اخبار النبي محمد ﷺ وعن احواله وصفاته والعرب ما كانت تعير لذلك اهتماما حتى اذا بعث النبي ﷺ وجدوا ان ما كان يتحدثان به ينطبق عليه عليه الصلاة والسلام.

شهدوا جميعا بحقه فمنهم من آمن ومنهم من بقي على استكباره. يقول المستشرق واط في كتابه (تاثير الاسلام على اوربا) ص119 ان القديس توماس اكونياس على الرغم من عدم إيمانه برسالة محمد اشار الى ان الكتاب المقدس قد تنبأ بمجيئه ﷺ. وأكد هذا المستشرق ان التمحيص و (التحقيق) أوضح ان التوراة والانجيل قد حرف فيهما الكلم منها علامات نبوة محمد ﷺ.

وروى البخاري في صحيحه عن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ قال: كنت في اليمن فلقيتُ رجلين (نصرانيين) من اهل اليمن كان اسم احدهما ذا كلاع واسم الاخر ذا عمرو فجعلتُ أُحدثهما عن رسول الله ﷺ فقال لي ذو عمرو لئن كان الذي تذكر من امر صاحبك (انه رسول حق) فقد مر على اجله (ووفاته) منذ ثلاث (ليال) وأقبلا معي حتى اذا كنا في بعض الطريق رفع لنا ركب من قبل المدينة فسألناهم فقالوا قبض (وتوفي) رسول الله ﷺ واستخلفه ابو بكر والناس صالحون.

فتح الباري 138/9.

فحتى يوم وفاته كان عند النصارى في انجليهم وعند اليهود في توراتهم فقد كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال الله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ){البقرة: 146}

وروى احمد في مسنده عن سلمة بن سلامة ﵁ وكان من اصحاب بدر قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الاشهل قال فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبي ﷺ فوقف على مجلس بني عبد الاشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث وأصغر مَن في هذا المجلس عمراً فخاطب من في المجلس انه سيظهر نبي من هذه البلاد وأشار الى مكة قالوا له: ومتى نراه. قال فنظر اليَّ فقال: ان يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه قال: فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ وهو حيٌّ بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً (يعني انه لما بعث الرسول ﷺ كان جار سلمة اليهودي ما يزال حياً فآمنا بالرسول ﷺ وكفر به اليهودي الذي بشرنا بقرب ظهوره) فقلنا له: ويلك يا فلان ألستَ قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى.

وفي سيرة ابن هشام. وقال ابن اسحاق وكان من حديث مخيريق وكان حبراً (من اليهود) وعالماً (من علمائهم) وكان رجلاً غنياً كثير الاموال من النخل وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يجد في علمه (ومما كان يقرؤه في التوراة عنه وعن صفته واسمه وزمانه) وغلب عليه الف دينه فلم يزل على ذلك حتى اذا كان يوم أُحد وكان يوم أُحد يوم السبت قال: يا معشر يهود والله انكم لتعلمون ان نصر محمد لحق (لأن ذلك مسطر عندكم من صفته) قالوا: ان اليوم يوم سبت قال:لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ بأحد (ليقاتل مع المسلمين) وعهد الى من وراءه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد ﷺ يصنع فيها ما أراه الله، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل فكان رسول الله ﷺ فيما بلغني يقول مخيريق خير يهود وقبض رسول الله ﷺ أمواله وكانت كافة صدقات رسول الله ﷺ في المدينة منها.

وفي سيرة ابن هشام ايضاً وقال ابن اسحاق:حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا إن مما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود كنا اهل شرك واصحاب اوثان وكانوا اهل كتاب عندهم علم ليس عندنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور (وعداوات) فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا انه قد تقارب زمان نبي يبعث الان نقتلكم معه قتل عاد وإرم فكثيرا ما كنا نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله ﷺ اجبناه حين دعانا الى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرنا اليه فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت هذه الايات من البقرة: (وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ){البقرة: 89}.

وفي سيرة ابن هشام ايضا وقال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حُدِّثْتُ عن صفية بنت حُيَي بن أحطب (وهي زوجة رسول الله ﷺ وكانت من اليهود) انها قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء (وهي قرية قريبة من المدينة دخلت الان ضمن المدينة) في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حُيَي بن أحطب وعمي ابو ياسر بن أحطب مغلسين (أي أقبل ابوها اليهودي وعمها الى رسول الله ﷺ في ظلام عميق) فرجعا (منه) مع غروب الشمس. كالّين (متعبين) ساقطين يمشيان الهوينى (مما اصابهما من الإعياء فقد كانا عند رسول الله ﷺ من ظلام الفجر حتى غروب الشمس) قالت فتهشيشتُ اليهما (فاستقبلتهما بابتسامة وفرح وترحيب) كما كنتُ اصنع (عند استقبالهما في كل مرة) فو الله ما التفتا اليَّ أحد منهما مع ما بهما من الغم (فلم يحتفلا بي كما احتفلتُ بهما و لم يرحبا

بي كما رحبتُ بهما وذلك من شدة ما اصابهما من غــم وهــم وحــزن) قالت: وسمعتُ عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حُيَي بن أحطب: أهو هــو؟ (أي: ان محمد الذي قابلناه فجر هذا اليوم هل هو نفس النبي المنتظر المكتوبة اوصافه وزمانه عندنا في التوراة هل تنطبق عليه العلامات كلها كما أُخبِرنا بها في كتبنا هل هو نفس النبي الذي وعدنا بمجيئه موسى نبي الله قال: نعم والله. قال: أعرفته وثبته قال: نعم قال: فما في نفسك منه (أي قــال عــم صفية لأبيها وماذا تقول في نفسك بعد ان عرفته بأنه هو النبي أتؤمن بــه أم ماذا تصنع؟) قال: عداوته والله ما بقيتُ. (يعني على الرغم من اني عرفــت بانه هو النبي نفسه الذي بشرنا موسى بمجيئه إلاَّ اني مع ذلك سأبقى أُعاديه ما بقيتُ حيا وما بقي حيا.

وقال ابن اسحاق وكان من حديث عبد الله بن سلام كما حــدثني بعض اهله عنه وعن اسلامه حين اسلم وكان حبرا وعالما (من احبار اليهود) قال: لما سمعتُ برسول الله ﷺ عرفتُ صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له (ونترقب لمجيئه) فكنتُ مسرا لذلك صامتا عليه لا أُحدث احدا بــذلك فبقي هذا السر عندي حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف (مهاجرا من مكة الى المدينة) اقبل رجل حتى اخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة اعمل فيها وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة فلمــا سمعتُ الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبَّرتُ (فصحت الله اكــبر) فقالــت لي عمتي حين سمعتْ بتكبيري: خيبك الله والله لو كنتَ سمعتَ بموســى بــن عمران قادما ما زدتَ (وما كبَّرتَ هذا التكبير، وابتهجت هذا الابتــهاج) قال:فقلت لها: أي عمة (يا عمَّة) هو والله أخو موسى بن عمران وعلــى دينه بعث بما بعث به قال: فقالت:أي ابن اخي (يا ابن اخي) اهو النبي الذي

كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها نعم. فقالتُ فذاك إذن قال: ثم خرجتُ الى رسول الله ﷺ فاسلمتُ ثم رجعتُ الى اهل بيتي فأمرتهم فأسلموا.

قال وكتمتُ (واخفيتُ) اسلامي (عن قومي) من يهود ثم جئتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله ان يهود قوم بهت (انهم قوم باطل وكذابون لا يقولون بالحق الذي عرفوه وهو ما مذكور من صفتك في التوراة) واني أُحب ان تدخلني في بعض بيوتك وتغيبني عنهم ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل ان يعلموا بإسلامي فإنهم ان علموا به بهتوني (وكذبوني) وعابوني.

قال فادخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته ودخلوا عليه فكلموه وساءلوه ثم قال لهم أي رجل الحصين بن سلام بينكم؟ قالوا: سيدنا وحبرنا وعالمنا قال: فلما فرغوا من قولهم: خرجتُ عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوا الله انكم لتعلمون انه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته فإني اشهد انه رسول الله وأُؤمن به وأعرفه وأصدقه فقالوا: كذبتَ ثمَّ وقعوا بي. فقلتُ لرسول الله ﷺ ألَم أُخبرك يا رسول الله انهم قوم بهت اهل غدر وكذب وفجور قال: فأظهرت (حينئذ واعلنت) اسلامي واسلام اهل بيتي واسلمتْ عمتي خالدة بنت الحارث فحسن اسلامها.

اللهم إنا نشهد انك انت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك ونشهد ان محمدا عبدك ورسولك ارسلته بالحق بشيرا ونذيرا، اللهم إنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين.

(أفي الله شك)

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى اله وصحبه.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

قال الله تعالى: (أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الأبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ){الغاشية 17} وجَّه القران الكريم العرب الى النظر الى الإبل ليشعروا من خلال تأملهم في تركيب هذا المخلوق بوجود الله وقدرته وخصت الإبل هنا بالذكر لعناية العرب بها ولانها تعد من اكثر دوابهم.

من المواضيع الرئيسة في كتب العقائد الاسلامية موضوع أدلة وجود الله، ومن اهم هذه الأدلة ما اودع الله في مخلوقاته من نظام وتدبير دال على عظم المنظم والمدبر، وفيما يأتي نماذج من ذلك:

1- أقدام الحيوانات والطيور: زُوِّد كل حيوان وطائر بأقدام ملائمة لطبيعة الارض التي يرتادها فلكون الجمل مثلا موطن معيشته الاساسي، رمال الصحراء، فقد جعلت ارجله تنتهي بأظلاف مشعوفة تحتها وسادة لينة ثخينه تسمى الخف تمنع القدم من الغوص في الرمال، وعلى ارجله كذلك اربعة من جلد خشن تحميه من الحصى والرمال عندما يبرك، والطيور التي يستلزم امر معيشتها البحث عن غذائها في الماء تتصل اصابعها بغشاء جلدي تستعمله كالمجذاف في سباحتها.

2- مناقير الطيور: لم يزود الطير بفم ذي اسنان لأنه يبتلع غذاءه بدون مضغ لذلك زود بدلاً من الفم بمنقار ثم اختلفت مناقير الطيور لاختلاف طريقة بحثها عن الغذاء فقد زود البط والوز بمناقير عريضة منبسطة مفلطحة كالمغرفة تلائم البحث عن الغذاء في الطين والماء وعلى جانب

المنقار زوائد صغيرة كالاسنان تساعدها على قطع الحشائش،وزودت الطيور الجارحة كالحدأة (1) والبوم بمنقار قوي مقوس حاد لتمزيق اللحوم، أما الدجاج والحمام وبقية الطيور التي تلتقط الحب من الارض فمناقيرها قصيرة مدببة، ومنقار البجعة طويل طولاً ملحوظاً ويمتد من أسفله كيس كبير يشبه الجراب ليكون كشبكة الصياد، اذ ان السمك غذاء البجعة(2) الأساسي ومن اعجب المناقير التي شاهدها علماء التاريخ الطبيعي وذكروها في اكثر من موضوع من مواضيع الدراسة مناقير غربان نيوزلندا، اذ يختلف منقار الذكر عن منقار الأنثى اختلافاً واضحاً، فمنقار الذكر صلب قوي سميك على حين ان منقار الانثى طويل مدبب معقوف مقوس، يضرب الذكر ساق الشجرة المصابة بالسوس بمنقاره القوي حتى ينتهي الى موضع الدود فيها، عندئذ ترسل الأنثى منقارها الطويل المعقوف الى داخل الساق فتخرج الدود منه ويتقاسماه معاً، فقد زود كل طائر بمنقار يلائم طريقة بحثه عن غذائه الذي يحتاج اليه حتى ذكر علماء الطبيعة انه يمكن للانسان ان يعرف غذاء أي طائر كان من النظرة العابرة الى منقاره، فلو جعل مثلاً منقار النسر كمنقار الحمام، ومنقار الحمام كمنقار النسر، لما استطاع كل منهما ان يستخدم منقاره، ولاستحالت عندئذ عيشته، لان النسر لا يستطيع ان يمزق اللحم بمنقار الحمام، ولا يستطيع الحمام ان يلتقط الحب بمنقار النسر، فمن وضع كل خلق في موضعه المناسب؟ أليس هو الله سبحانه؟.

3- عظام الطيور: اتضح بالتشريح ان عظام الطير رقيقة مجوفة لجعله خفيف الوزن وقادراً على الطيران.

([1]) الحدأة: من الطيور الجارحة التي تنقض على الجرذان والدواجن ونحوها.

([2]) البجعة: طائر طويل العنق والساقين والمنقار.

4-ريش الطيور: الطيور التي تضطر ان تبقى مدة طويلة في الماء من اجل الحصول على غذائها، قد زود ريشها بمادة دهنية خاصة تمنع من تعلق الماء بجسم الطائر لذا لا تحس بالبرودة ولا يصل الماء الى اجسادها. فمن علم ان هذه الطيور تحتاج الى هذه المادة الدهنية فزودها بها دون سواها؟!.

5-بصر الطيور: من طريف ما أيده العلم حديثاً ان معظم الحيوانات الثدية (ذات الثدي) تمتاز بحاسة شم قوية وحاسة بصر ضعيفة، ذلك انها تهتدي الى غذائها الذي يكون دائماً على الارض في طريقها بحاسة الشم ولا تحتاج الى حدة البصر لقرب غذائها منها، على حين ان حاسة البصر عند الطير قوية، ذلك أنَّ الطيور، وهي في السماء، تحتاج الى حدة في البصر لترى غذاءها من على بعد مرتفع عن الارض.

6-تخدير الحيوان فريسته: تستطيع طوائف من العناكب والزنابير ان تحفظ لحوم فرائسها اسابيع من غير ان يفسد، ذلك انها تحتاج اليها طرية، ولما كانت لا تستطيع ان تظفر بهذه اللحوم كل يوم تعمد الى إفراز مادة في ابدان ما زاد عن حاجتها من الحشرات التي تتغذى عليها، فتخدرها بهذه المادة دون ان تميتها، ليبقى غذاؤها طازجاً، بل حياً لحين استهلاكه وقد يصيد الزنبور الجندب(1) فيخدره ثم يحمله ليتغذى عليه صغاره حين يولدون، و لم يتمكن العلماء لحد الان من صنع مثل هذه المادة لتخدير ذبيحة الانسان، فمن صنع هذه المادة وزود بها هذه المخلوقات؟!.

7-قردة تعالج نفسها: راقب العلماء في تنزانيا احد القردة من نوع جيونون (**Guenon**) نهكها المرض وفقدت الشهية لكنها لم تيأس من

([1]) وهو نوع من الجراد.

حالها ففتشت عن شجر معين اسمه العلمي **ve monia anyo do** lina وهي من الاشجار التي لا تأكلها هذه القرود عادة، وقد قامت هذه القردة المريضة بمضغ الاغصان دون بلعها لاستخراج عصارتها فوجد العلماء احتواءها على مواد كيمياوية قاتلة للديدان والطفيليات ومواد شافية لبعض الاضطرابات الهضمية مما أدى الى شفاء القردة مما كانت تعانيه.

من أرشد هذه القردة الى هذا الدواء الذي يجب ان تستعمله لتشفى من دائها؟! إنه: (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى){طه: 50}.

8-الخفاش: حيرت العلماء قدرة الخفاش على تفادي الاصطدام بالمباني والاشجار والاسلاك الكهربائية وغيرها فهو يطير في الليل مع ضعف بصره، وقد تقدم العالم الإيطالي سبالانزالي بالتحقيق من هذه القدرة بتجربة لطيفة اذ علق في سقف حجرة عددا من الحبال في نهاية كل منها ناقوس صغير يدق اذا لمس هذه الحبال، ثم اظلم الغرفة اظلاما تاما واطلق فيها خفاشا وطار الخفاش مراراً ولكنه لم يمس هذه الحبال، اذ لم يدق أي ناقوس كان. وقذ علل العلماء هذه القدرة بأن جلد الخفاش يرسل اهتزازات تعود عليه اذا اصطدمت بشيء فيعلم به فيتجنبه، وان نظرية معرفته بالأجسام دون رؤيتها تعد نفس نظرية الرادار الذي اخترع في عصر الذرة. فمن زَوَّدَ هذا الطائر بهذا الرادار الطبيعي ليكون عوضا عن فقدان بصره؟! فتبارك الله احسن الخالقين.

9-لغة النحل: في كتاب الالسنية: علم اللغة الحديث، تأليف ميشال زكريا، دكتوراه في الالسنية من جامعة باريس وردتْ هذه المعلومة عن لغة النحل انقلها بايجاز.

من المعروف ان النحلة بعد ان تكشف مصدر الطعام تتغذى عليه، ثم تعود الى خليتها فتؤدي امامهم نوعا من الرقصات المعينة تكون على شكل رقم (8) ثمانية باللغة الانكليزية، فتكرر هذه الرقصة بعدد معين وبدائرة معينة وبشكل مائل الى اليمين او الى الشمال لأن ذلك كله محسوب لتحديد المسافة والجهة، وتنظر بقية النحل الى رقصة رفيقتهم فيفهمون منها جيدا مكان الطعام فسرعان ما تتهافت عليه دون ان ترافقهم النحلة التي اكتشفته، وقد تصل المسافة المشار اليها الى ستة كليومترات.

والانسان برغم ما وهبه الله من عقل ميزه بهذا العقل من الحيوان فإنه لا يستطيع ان يتفاهم بهذه اللغة مهما دُرِّبِ عليها. فمن علم النحل هذه اللغة ودَرَّبها هذا التدريب؟!.

10-تحريك الدجاجة لبيضها: خطر لعالم امريكي ان يستفرخ البيض دون حضانة الدجاجة، فلما جمع البيض ووضعه في جهاز التفريخ نصحه فلاح ان يقلب البيض اذ رأى الدجاجة تفعل ذلك، فسخر منه العالم معتقدا ان الدجاجة تفعل ذلك لايصال حرارة جسمها الى اسفل البيضة، اما هو فلا يحتاج الى تقليب البيض بعد ان احاطه بجهاز يشع حرارة ثابتة من الجهات جميعها، واستمر العالم في عمله حتى جاء وقت الفقس وفات ميعاده ولم تفقس بيضة واحدة، أعاد التجربة وقد استمع الى نصيحة الفلاح فقلَّد الدجاجة فصار يقلِّب البيض حتى اذا جاء ميعاد الفقس خرجت الفراريخ.

والتعليل العلمي لتقليب البيض هو ان الفرخ حين يخلق في البيضة، ترسب المواد الغذائية في الجزء الاسفل من جسمه فإذا بقي بدون تحريك تتمزق أوعيته لذلك لا تقلِّب الدجاجة بيضها في اليوم الأخير. فمن علم الدجاجة هذا العلم الذي جهله العالم الامريكي؟!

والدجاجة لم تفعل ذلك لعلمها بالعلة العلمية المذكورة، اذ هذه العلة جهلها من له علم وعقل وكيف يمكن ان تعلم بها ما لا علم لها ولا عقل؟ وانما هي تقلب البيض لأنها تجد نفسها مأمورة ان تفعل ذلك بوحي رباني، فسبحان الذي يصل امره الى كل شيء (أفي الله شك)!.

يذكر علماء العقيدة الاسباب التي تدفع أُناساً الى الالحاد، ولكن الذي يبدو في الواقع ان السبب الاساسي الذي حمل هؤلاء الى انكار وجـــود الله هو ظلمهم، والظالمون ليس من مصلحتهم ان يكون هناك بعـــث ويـــوم يحاسب فيه الناس، لانه اذا جاء ذلك اليوم خسروا خسراناً مبيناً، كما قال الله تعالى في مشركي مكة: (يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَـــافِرَةِ {10} أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً {11} قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِـــرَةٌ){النازعـــات: 10-12}.

في تفسير ابن كثير ان المقصود بالحافرة: الحياة بعد المـــوت او هـــي النار، فالمشركون كانوا يقولون: لئن كانت لنا رجعة الى الحياة بعد ان نصير عظاماً نخرة فستكون لنا رجعة خاسرة، لأننا لم نعد انفسنا لها، قال محمد بن كعب، قالت قريش: لئن أحيانا الله بعد ان نموت لنخسرن.

ان مجيء يوم الحساب خسارة وغبن للظالمين، قـــال تعـــالى: (يَـــوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ){التغابن: 9} قال ابـــن عبـــاس: التغابن اسم من اسماء يوم القيامة وذلك ان اهل الجنة يغبنون اهـــل النـــار، وكذا قال قتادة ومجاهد، قال مقاتل بن حيان: لا غبْنَ أعظم من ان يدخل هؤلاء الجنة ويذهب بأولئك الى النار.

سيبعث الكافرون وإن انكروا يوم البعث ويحشرون الى النار بـــرغم انوفهم، وفي تفسير ابن كثير ايضاً قال مجاهد وعكرمة وعروة بـــن الـــزبير

والسدي وقتادة: جاء أُبَي بن خلف، لعنه الله، الى رسول الله ﷺ وفي يده عظيم رميم (عظم صغير لميت قد بليَ) وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول: يا محمد تزعم ان الله يبعث هذا؟ قال ﷺ نعم يميتك الله ثم يبعثك ثم يحشرك الى النار.

يعذب الكافرون بعد موتهم في قبورهم ويستمر العذاب الى ان ينفخ اسرافيل نفخة الصعق، قال تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ) {الزمر: 68}.

وفي نفخة الصعق يموت كل مخلوق ويهلك كل شيء قال تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) {القصص: 88} حتى الاموات المعذبون في قبورهم يهلكون بأن ينقطع عنهم الاحساس بعذابهم، وتبقى هذه الحالة مدة لا يعلمها الا الله، ورد في الحديث انها تستمر اربعين عاماً ثم ينفخ اسرافيل نفخة البعث التي فيها تحيا الخلائق ويبعثون من قبورهم قال تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ {51} قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) {يس: 51-52}.

ومعنى الأجداث: القبور فهم منها ينسلون ويخرجون، انهم كانوا قبل بعثهم نائمين سعيدين بنومهم، وانهم اليوم يبعثون لحسابهم وعذابهم، لذلك يقولون متحسرين: من بعثنا من مرقدنا، من ايقظنا من نومتنا، تجيبهم الملائكة: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون.

وفي الحديث الذي رواه البخاري وقد تقدم ذكره يذكر رسول الله ﷺ قصة رجل من بني اسرائيل اسرف على نفسه بارتكاب المعاصي، عندما

حضرته الوفاة نادى ابناءه واوصاهم بانه اذا مات فعليهم ان يحرقوه حتى يصير رمادا، ثم يذروا هذا الرماد في يوم عاصف شديد هبوب رياحه، يذروا نصفه فوق البحر ونصفه فوق الصحارى ثم قال: والله لئن قدر الله عليَّ، يعني لئن قدر الله على إعادتي حياً بعد مماتي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين ظناً ان هذه الطريقة تبعده من ملاقاة ربه، فلما مات وفعل به ابناؤه ما اوصاهم به امر الله، سبحانه وتعالى ملائكة البحر وملائكة البر ان يجمعا ذرات جسمه فجمعت، فعاد كما كان بجسده نفسه كامل الاعضاء فمثل بين يدي رب العالمين، فخاطبه الله: يا عبد لِمَ فعلت بنفسك هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وانت تعلم فغفر الله له جزاء خوفه منه فما أعظم الله! وما أرحمه.

فلا مفر من مجيء يوم البعث والحساب، اذن لا مفر من الإيمان بوجود الله لنستعد لملاقاة ذلك اليوم العصيب اللهم يسره علينا تيسيراً اللهم آمين.

من معاني الحج في الاسلام

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والاخرة، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، اللهم احفظنا من بين ايدينا ومن خلفنا وعن ايماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ونعوذ بك ان نغتال من تحتنا.

قال الله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ {96} فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ){ال عمران:96- 97}.

قال ابن كثير في تفسيره: "يخبر الله تعالى ان اول بيت وضع للناس أي: لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون به ويعتكفون عنده (للذي ببكة) يعني الكعبة التي بناها ابراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم كل من طائفتي اليهود والنصارى انهم على دينه ومنهجه ولا يحجون الى البيت الذي بناه عن امر الله له في ذلك ونادى الناس الى حجه".

وهذه علامة واحدة من علامات كثيرة على ان الاسلام حق وما سواه زيغ وباطل.

"وبكة" من اسماء مكة على المشهور وقيل سميت ذلك... لان الناس يتباكّون فيها أي: يزدحمون. قال قتادة: ان الله بَكَّ بها الناس جميعا فيصلي النساء امام الرجال ولا يفعل ذلك ببلد غيرها".

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾{الحج: 26}

ذكر الله تعالى أنه بوّأ لابراهيم مكان البيت. أي: ارشده اليه وسلمه له وأذن له في بنائه واستدل به كثير ممن قال: ان ابراهيم عليه السلام هو اول من بنى البيت العتيق وانه لم يُبن قبله كما ثبت في الصحيح عن أبي ذر قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع اول؟ قال: المسجد الحرام (يعني الكعبة في مكة) قلت ثم أي: قال: بيت المقدس قلت: كم بينهما؟ قال: اربعون سنة.

وبعد ان أتم ابراهيم عليه السلام بناء الكعبة أمره ان يدعو الناس للحج اليها قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ {27} لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾{الحج: 27}.

أي: ناد في الناس داعيا لهم الحج الى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه فذكر انه قال: يا رب، كيف أُبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم، فقال (جل وعلا) ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، وقيل على الحجر وقيل على الصفا وقيل على (جبل) ابي قبيس(1) وقال: يا ايها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه فيقال: ان الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت ارجاء الارض (شرقا وغربا) وأسمع مَن في الأرحام (في بطون أُمهاتها) ومَن في الأصلاب (أصلاب آبائها ممن لم يولدوا بعد) وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر

([1]) أبي فبيس من اعظم جبال مكة وهو أحد الاخشبين اللذين تقع بينهما مكة، والثاني قيقعان.

وشجر ومن كتب الله (له) ان يحج الى يوم القيامة (فأجابوا صوته جميعا بقولهم) لبيك اللهم لبيك.

وهذا المضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف والله اعلم.

وقد شرع الاسلام للمطوف حول الكعبة استلام الحجر الأسود وتقبيله؛ ذلك ان هذا الحجر رمز لتوحيد المسلمين.

وورد في الاحاديث النبوية ان الحجر الأسود نزل من الجنة وكان أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني ادم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في الحجر الأسود: "والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق". رواه الترمذي وقال حديث حسن وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما. واستلامه بحق: ان يعلم انه حجر لا يضر ولا ينفع ولكنه يفعل ذلك تقربا الى الله واقتداء برسول الله (ﷺ).

وورد في الاحاديث النبوية ايضا ان الحجر الأسود يمين الله عز وجل في الارض يصافح بها خلقه، وانه شافع ويشهد لمن استلمه.

يؤدي المسلمون الصلوات الخمس في المسجد القريب من بيوتهم فبفضل هذه الفريضة يجتمع أبناء الحي الواحد كل يوم خمس مرات. ويؤدون صلاة الجمعة في الجامع القريب من أحيائهم فبفضل خطبة الجمعة يجتمع أبناء عدة أحياء مرة في كل اسبوع.

وفي فريضة الحج يتفاطر المسلمون من مختلف مدن العالم فيجتمعون في صعيد واحد لأداء مناسك هذه الفريضة.

والحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام، وفي تأدية هذا الركن تتحقق أغراض روحية وبدنية وسياسية واجتماعية وكونية.

1-الأغراض الروحية:

زيارة مكة والمدينة تذكر المسلمين بسيرة نبيهم (ﷺ)، بولادته ونشأته وبهجرته وهجرة صحابته رضي الله عنهم، وكيف انهم تركوا بلدهم وأموالهم وأولادهم وأهليهم من اجل ان يوصلوا الينا هذا الدين كما انزل من رب العباد.

وفي هذا التذكر استحضار لمآثر الجهاد والاستشهاد في سبيل الله فيزداد الحجاج المسلمون إيمانا على إيمانهم وتزداد مشاعر حبهم للنبي (ﷺ) وللرعيل الاول من المسلمين رضي الله عنهم.

والزحام الشديد الذي يلقاه الحجاج في عرفات وفي رمي الجمرات وفي السعي والطواف يذكر المسلمين بالزحام الذي سيكون عليه الناس يوم الحساب.

ومن مناسك الحج الإحرام من الميقات حتى الفراغ من طوائف القدوم، وكذلك عند التوجه الى عرفات حتى الفراغ من جمرة العقبة، والإحرام:هو تجرد الحاج من الملابس ومن كل ما هو مخيط، فيرتدي إزارين غير مخيطين، الاول: يلفه على بطنه ورجليه يستر عورته من السرة الى الركبتين، والثاني: يضعه على صدره وكتفيه، ويلبس نعلا يكون اغلب وجه القدم فيه مكشوفا.

فقد أُريد بهذا الزي ان يكون الحاج شأنه شان الذين يحشرون يوم القيامة حفاة عراة، قد تركوا الدنيا وأموالهم فيها خلف ظهورهم وجاؤوا الى ربهم فرادى مجردين من كل متاع دنيوي.

فتأدية مناسك الحج تجعل الحجاج يتذكرون اهوال يوم القيامة ومواطنه المختلفة فتفيض نفوسهم بالمعاني الروحية ويخف تعلقها بالدنيا وحطامها الفاني وبهذا تصلح النفوس وبصلاحها يصلح المجتمع.

2-الغرض الدنيوي:

يعوِّد الحج الانسان على تحمل الشدائد، فالسفر قطعة من العذاب كما قال عليه الصلاة والسلام، والحاج في حجه يؤدي مناسك الحج وهي الطواف حول الكعبة سبعة اشواط يؤدي ذلك عدة مرات مشيا وهرولة. ويؤدي كذلك السعي بين الصفا والمروة يؤديه ايضا سبعة اشواط مشيا وهرولة، وهناك الوقوف في عرفات والزحام والشدة التي يلقاها الحجاج عند رمي الجمار الثلاث لمدة يومين او ثلاثة.

مما لا شك فيه ان تأدية هذه المناسك رياضة بدنية وقد اصبح من المعروف اليوم ان الرياضة البدنية تزيد من قوة البدن وصحته وتقيه من كثير من الامراض.

3-الغرض السياسي:

الحج مع انه عبادة يعد مؤتمرا اسلاميا الا انه يفوق المؤتمرات العالمية الدولية بامرين:

اولهما: ان المسلمين في مؤتمر الحج يجتمعون في كل عام في المكان والزمان المعينين من دون ان يختلفوا في مكان الاجتماع او زمانه.

والثاني: ان في المؤتمرات الدنيوية العالمية تجتمع الملوك والوزراء فحسب، ومن المعروف ان المشاكل التي يعالجونها هي القضايا التي تهم شعوبهم أما مؤتمر الحج ففيه تجتمع الملوك والشعوب وبزي واحد على اختلاف اجناسها ولغاتها فيتحقق في هذا المؤتمر ان يجتمع اصحاب الشان

فيما بينهم ومعهم امراؤهم، ومثل هذه المزية وتلك لم تتحقق في أي مــؤتمر دنيوي كان في العالم، و لم ولن تجدها الا في ظل هذه الفريضة من فــرائض الاسلام.

4-الغرض الاجتماعي:

يدعو الاسلام الى المساواة بين الناس وفي الفرائض الاسلامية تطبيــق لهذا الغرض، فالمسلمون في صلاة الجماعة التي تقام خمس مرات كل يــوم يقفون صفا واحداً جنبا الى جنب كأنهم بنيان مرصوص علــى اخــتلاف طبقاتهم الاجتماعية.

وفي الحج يتحقق هذا الغرض بصفة اشــد وعلــى نطــاق اوســع فالمسلمون في الحج يرتدون جميعا زيا واحدا هو زي الاحرام وبه يــؤدون المناسك، لا فرق بين حاكمهم ومحكومهم، ولا بين غنيهم وفقيرهم ولا بين أَسودهم وأَبيضهم، فلباسهم واحد، وعلمهم واحد، وتلبيتهم واحدة، فتطبق في تأدية مناسك الحج المساواة العملية باجمل معانيها واشمل نواحيها.

وقد اكد التربويون قديما وحديثا ان من الوسائل الرئيسة لاكتســاب الفضائل هي العادة والعادة تأتي عن طريق التطبيق العملي وهذه هي احدى الوسائل التي يتبعها الاسلام في تربية المسلم، فالاسلام مثلا يدعو الى عــدم الاسراف في استعمال الماء عند الوضوء حتى لو كان المصلي يتوضــأ مــن شاطئ نهر جار، ذلك ليتعود المسلم على عدم التبذير، والمسلمون في الحــج يمارسون فضيلة المساواة بصفة عملية للتحلي بهــا وتطبيقهــا في أعمــالهم ومعاملاتهم مع اخوانهم اذا رجعوا الى اوطانهم بعد ان تعودوا عملاً علــى ممارستها في حجهم، فما أجمل هذا الدين وما أجل فرائضه!.

5-الغرض الكوني:

تميز الحج من بين الفرائض الاسلامية بوضوح صلته بالكون والكائنات، فمن مناسكه الأساسية الطواف حول البيت ويؤدي الحاج هذا المنسك ثلاث مرات في الأقل وفي كل مرة يدور حول الكعبة سبعة اشواط.

وقد فرض الاسلام على الحاج ان يجعل الكعبة عن يساره في اثناء طوافه،أي وجب ان يدور حولها من اليسار الى اليمين، فَلِمَ جعل الطواف بهذا الاتجاه و لم يجعل من اليمين الى اليسار؟ ما السر في ذلك؟.

من الحقائق المعروفة لدى علماء الفلك ان الارض تدور حول نفسها من اليسار الى اليمين، وكذلك الحال في الذرة التي هي اصغر شيء في المادة، فقد وجد انها تتألف من نواة تقع في الوسط وحولها الكترونات وهذه الالكترونات تدور ايضاً حول النواة من اليسار الى اليمين فالكائنات من الذرة الى المجرة تدور جميعها عكس عقارب الساعة، فتتبع المهج نفسه، إلاَّ ما شذ منها.

وكذلك الحيوانات المنوية حين يقذفها الرجل في رحم زوجته، يقول الأطباء عنها ان هذه الحيونات التي تعد بالملايين تتحرك وتتموج في الرحم تريد ان تلتقي بالبويضة وهي تدور بصفة عامة ايضا في اثناء تموجها من اليسار الى اليمين.

وكذلك اريد من المسلم في حجه ان يطوف حول الكعبة بالاتجاه نفسه من اليسار الى اليمين ليشارك الكائنات كلها في هذا المنهج الكوني العام لتكون طريقة عبادتهما واحدة لان ربهما واحد.

وهذا هو احدى معجزات هذا الدين العظيم، فلو سئل قبل بضعة قرون اعلم المفسرين واي عالم كان في الدنيا، لِمَ فرض الله على المسلم ان يطوف بهذا الاتجاه؟ لما استطاع الإجابة، الا ان يقول هكذا امر الله وعلينا

ان نستجيب وعلينا بأن نؤمن بأن الاسلام دين الله لا يأمر الا بالحق سواء عرفنا العلة ام لا.

اما اليوم، وبعد ان علم الله الانسان في هذا العصر ما لم يعلم من قبل فقد تبينت الحكمة بجلاء وتبين معها ان الاسلام من عند الله.

وثمة مسألة اخرى في هذا الباب ان من الحقائق الفيزيائية ان دوران الشيء حول نفسه او حول شيء آخر يولد عزما للسير في اتجاه معين، تتحكم في تعيين هذا الإتجاه حالة الدوران، فإذا كانت من اليمين الى اليسار، كدوران عقارب الساعة كان عزم الحركة متجها نحو الاسفل، وإذا كانت من اليسار الى اليمين كطواف المسلمين حول الكعبة كان عزم الحركة متجها نحو الاعلى.

والحجاج يبتغون من طوافهم رضا ربهم الذي فوقهم في السماوات العلا قال الله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ){النحل 50}، فهم يبتغون من أداء هذه الشعيرة ان تصعد عبادتهم وأعمالهم الى الله تعالى وأعمال العباد كلها تصعد الى ربها قال الله تعال: (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ){فاطر: 10}.

ففي هذا الطواف تتحد الحقائق الفيزيائية والحقائق الروحية ليكون ذلك دليلا على وحدانية الرب والآمر والخالق ووحدة المصير.

ودوران الأجرام الكونية من اليسار الى اليمين يؤلف قوة طاردة تبعد الاجرام عن بعضها مما يؤدي الى اتساع المسافات بينها والى اتساع الكون.

و لم يجعل الله سبحانه الأجرام تتحرك وتدور من اليمين الى اليسار لأن دورانها بهذا الاتجاه يؤدي الى اقترابها من بعضها واصطدامها وانكماشها

حتى تصبح الكائنات كلها كتلة واحدة وجرما واحدا وفي هذا خراب الدنيا والحياة على الارض والكون بأسره والاسلام في تشريعاته ومنهج عبادتـــه موافق لمنهج الكون فكما يسير الكون بأجرامه بانتظام فكذلك الاسلام يسير بمجتمعاته التي يحكمها الى طريق الامان والسلام.

اللهم كما وحَّدتَ عبادتنا وحِّدْ قلوبنا ولا تحرمنا زيـــارة بيتـــك في الدنيا ولا تحرمنا رؤية وجهك الكريم يوم الدين اللهم امين.

(وكل شيء أحصيناه كتابا)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

استطاع الانسان في الوقت الحالي من صنع آلة تسجل صورة الشيء وحركته وصوته سميت (التلفزيون)، فإذا قدر الانسان على تسجيل عمل الناس وكلامهم وحفظهما وعرضهما في أي وقت شاء للتسلية او لتكوين شهادة واقعة على اجرام المجرم، افليس الله قادرا، وهو الخالق، على صنع مثل ذلك وتسخيره لتسجيل افعال عبده واقواله لعرضها امامه يوم القيامة لحسابه؟!

لقد اخبرنا الله انه تبارك وتعالى يعلم نياتنا، وقد اثبت العلم الحديث ان الانسان اذا فكر في شيء نقش تفكيره هذا في نفسه، في مكان ما ورسمت حروفه رسما لا تندرس ابدا.

ورد في كتاب (الاسلام يتحدى) تاليف وحيد الدين خان، تعريب ظفر الاسلام خان، المعلومات الاتية:

"ان افكارنا جميعها تحفظ كاملة، ولسنا قادرين على محوها ابدا، يقول فرويد في محاضرته الحادية والثلاثين... حتى تاملاتنا الخيالية التي دفنت في اللاشعور، في مكان من انفسنا لا نشعر به، تكون ازلية ابدية في الحقيقة والواقع، تبقى الى ما لا نهاية، وتبقى محفوظة لعشرات السنين، وكأنها لم تحدث الا امس."

وقد سلَّم علماء النفس بهذه النظرية. بصفة عامة. اليوم، ومعناها: ان كل ما يخطر على بال الانسان من خير أو شر، وكل ما ينوي به. ويفكر به ينقش في صفحة اللاشعور ولا يزول الى الابد ولا يؤثر فيه تغير الزمان

وتقلب الحدثان. قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ){ق: 16}

فالانسان اذا مات لا يموت ما كان ينويه ويفكر بـه، لان النيات والافكار هذه تحفظ في مكان من الروح لا في مكان من الجسد، إذن هي لا تفنى بفناء الجسد، بل تبقى حتى بعد موت صاحبها، لان الروح باقية لن تموت.

فهذه نياتنا اثبت العلم الحديث انها تسجل في انفسنا وارواحنا ولا تمحى، وكذلك اثبت ان اقوالنا ايضا تسجل في الفضاء ولن تزول او تضمحل.

ولتناول هنا مسألة القول، ان الآخرة تقول بان الانسان مسؤول عن اقواله، فجميع ما يلفظه من كلام. حسنا كان ام قبيحا، يحفظ في سجل. قال تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق: 18] وهذا السجل سوف يعرض امام محكمة الآخرة ليتم حساب الانسان. وامكان وقوع هذا لا ينافي العلم الحديث، فنحن نعرف قطعا ان احدا عندما يحرك لسانه ليتكلم يحرك موجات الهواء، وقد ثبت ان هذه الموجات تبقى كما هي في الاثير تبقى في الفضاء الى الابد، بعد حدوثها للمرة الاولى ومن الممكن سماعها مرة اخرى ولكن علمنا الحديث عاجز حتى الان عن إعادة هذه الاصوات، او بعبارة أصح، عاجز عن ان يضبط هذه الموجات مرة اخرى مع انها لا تزال تتحرك في الفضاء من زمن بعيد، و لم يبد العلماء اهتماما خاصا بهذا المجال حتى الان بعد ان سلموا نظريا بإمكان صنع آلة لالتقاط اصوات الناس الذين عاشوا في الازمان الماضية، كما يلتقط المذياع الاصوات التي تذيعها محطات الإرسال، على ان المسألة الكبرى التي نواجهها

في هذا الصدد ليست التقاط الاصوات القديمة، وانما التمييز بين الاصوات الكثيرة حتى نتمكن من سماع كل صوت على حدة. وهذه مسألة الإذاعة التي وصلنا فيها الى حل، فإن آلاف المحطات الإذاعية في العالم تذيع برامج كثيرة ليل نهار وتمر موجات هذه البرامج في الفضاء في كل اتجاه بسرعة الضوء التي تقدر بـ(186) الف ميل في الثانية، وكان من المعقول جدا عندما نفتح المذياع ان نسمع خليطا هائلا من الاصوات لا نفهم منه شيئا، ولكن هذا لا يحدث لأن محطات الاذاعة جميعها ترسل برامجها على موجات يختلف طولها فنستطيع ان نسمع أي موجة كانت من المذياع بمجرد ان ندير عقربه الى المكان المطلوب.

ان علماءنا لم ينجحوا في اختراع آلة تفرق بين اصوات الزمن القديم، ولو استطاعوا لكنا قد سمعنا تاريخ كل عصر وزمانه بأصواته، وبناءً على هذا يثبت إمكان سماع الاصوات القديمة في المستقبل فيما لو نجحنا في اختراع الآلة المطلوبة، ومن ثم لا تبقى نظرية الآخرة بعيدة عن القياس، وهي القائلة بان كل ما ينطق به الانسان يسجل وهو محاسب عليه يوم الحساب.

ولتوضيح ما تقدم يمكن ان نذكر هنا ما حدث للدكتور مصدق، رئيس ايران عندما كان مسجونا في اثناء محاكمته عام 1953م فقد ركبت في غرفته آلة تسجيل تتحرك من تلقائها وسجلت هذه الآلة كل ما نطق به الدكتور مصدق في غرفته وقد عرضت اشرطة التسجيل أمام المحكمة شهادة عليه وهو نموذج لما يمكن ان يحدث في الآخرة.

فنياتنا تسجل في انفسنا واقوالنا تسجل في الفضاء كما ثبت ذلك عند العلماء وكذلك ثبت عندهم ان اعمالنا يسجلها المحيط الذي نعيش فيه، ثم تبقى لا يعتريها تغير او زوال. فالعلم الحديث يؤكد إيمانه بأن اعمالنا

جميعها، سواء باشرناها في الضوء ام في الظلام، فرادى ام مع الناس، هـــذه الاعمال كلها موجودة في الفضاء في حالة الصور، ومن الممكن في اية لحظة كانت تجميع هذه الصور حتى نعرف كل ما جاء به انسان ما من اعمـــال خير او شر طوال حياته.

فقد اثبتت البحوث العلمية ان كل شيء يحدث في الظلام او في النور جامداً كان ام متحركا، تصدر منه حرارة بصفة دائمة في كل مكـــان وفي كل حال، وهذه الحرارة تعكس الاشكال وابعادها تماما وقد تم اختراع آلة دقيقة لتصوير الموجات الحرارية التي تصدر عن كل كائن. ثم تعطي هـــذه الآلة صورة فوتوغرافية كاملة له ومثاله: أنني أكتب الان في مكتبتي وسوف أُغادرها بعد ساعة ولكن الموجات الحرارية التي خرجت من جســـدي في اثناء وجودي في مكتبتي ستبقى دائماً، ويمكن الحصول على تسجيل لجلستي في المكتبة في أي وقت كان بوساطة تلك الالة، غـــير ان الآلات الـــتي تم اختراعها لحد الان لا تستطيع تصوير الموجات الحرارية الا خلال ســـاعات قليلة من وقوع الحادث، اما الموجات القديمة للذين عاشوا قبل الاف السنين فلا تستطيع هذه الآلة تصويرها وتستعمل في هذه الحالة اشعة قادرة علـــى التصوير في الظلام والضوء على حد سواء.

ولقد بدأ العلماء في برطانيا والولايات المتحدة الامريكية اســـتغلال هذه الآلة في تحقيقاتهم، فذات ليلة حلقت طائرة مجهولة في سماء نيويـــورك فصوروا الموجات الحرارية لفضاء نيويورك بهذه الالة وأدَّى ذلك الى معرفة نوع الطائرة.

فلقد اطلق على هذه الالة اسم (آلة التصوير الحرارية) ونشرت جريدة هندوستان تايمز الهندية تعليقاً بمناسبة هذا الاختراع قالت فيه: اننا بفضـــل

هذه الآلة سوف نستطيع ان نشاهد تاريخنا على شاشة السينما في المستقبل"، ومن الممكن ان تنتهي هذه العملية الى كشوف عجيبة تغير افكارنا عن التاريخ من جذورها.

واني اعد هذا الاختراع عجيباً كل العجب، فإن تحركاتنا جميعها تسجل على شاشة الكون حيث لا يسعنا منعها او الهرب منها سواء أكنا في الظلام أم في النور، في الليل أم في النهار، فحياتنا كالقصة التي تصور في (الاستوديو) ثم نشاهدها على شاشة السينما بعد حقب طويلة من الزمن وعلى بعد كبير من مكان التسجيل، وهذا شأن كل ما يقترفه الانسان وشأن الأحداث التي يعيشها، فإن (فيلماً) تسجيلاً ناطقاً ومصوراً سوف يوضع بين يدي كل فرد يوم القيامة قال تعالى: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا){الكهف: 49}

والتفاصيل العلمية التي اوردناها في الصفحات الماضية يتضح منها جلياً ان أجهزة الكون تقوم بتسجيل كامل لأعمال الانسان كلها فكل ما يدور في اذهاننا يحفظ الى الابد، وكل ما ننطق به من كلمات يسجل فنحن نعيش امام (كاميرات) تشتغل دائما لا تفرق بين الليل والنهار، وافعالنا القلبية واللسانية والعضوية كلها تسجل بدقة تامة، ولا يسعنا ونحن نشرح هذه الظاهرة العلمية الا ان نسلّم بان قضية كل منا سوف تقدم أمام محكمة الهية، وبأن هذه المحكمة هي التي قامت بإعداد هذا النظام العظيم لتحضير الشهادات التي لا يمكن تزويرها.

فخلاصة المعلومات التي نقلناها من الكتاب المذكور (الاسلام يتحدى) تبين ان البحوث العلمية اليوم وتجاربها قد أيدت ما أخبرنا الله به في كتابه بأنه سبحانه وتعالى عليم وخبير وبصير بأقوالنا وأفعالنا وأسرارنا، وانها مسجلة محفوظة في سجل سيعرضها الله علينا يوم الحساب. قال الله تعالى: (وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى){طه: 7}

وقال الله تعالى: (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ){الأنبياء:110}. وقال تعالى: (إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا){الأحزاب: 54} وقال تعالى: (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ){الملك: ١٣}.والله معنا اينما كنا قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ){المجادلة: 7}

والله يعلم ما تعنيه حركات الأعين، ما تقصده من نظرات خائنة محرمة قال الله تعالى: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورِ){غافر: ١٩ }

وقد أخبر القران الكريم محمداً ﷺ، ان الله سبحانه وتعالى قد سمع الحوار الذي جرى بينه وبين أمرأة جاءت تجادله وتشتكي اليه من زوجها، قال الله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ){المجادلة: 1}

قال ابن كثير في تفسيره: قال الامام احمد.. عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة الى

النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله، عز وجل (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا)الى آخر الاية وهكذا.. رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقا.

والعلم الحديث عندما أكد ان الكون يسجل أعمال الانسان وأقواله فإن القرآن الكريم قبل ذلك قد عبَّر عن هذا المعنى بلفظة (الاستنساخ)، فالله سبحانه وتعالى، لن يخبر عباده يوم القيامة بما فعلوا في الدنيا بتعداد أفعالهم بأن يقول لعبده: فعلت كذا وكذا، بل يعرضها كما هي أمامهم مستنسخة طبق الأصل كما يستنسخ المرء اليوم صورته او كتابه او (جنسيته) ونحو ذلك. قال الله تعالى: (هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ){الجاثية: 29}.

فالله سبحانه وتعالى يوم الحساب سيعرض على عبده ما كان يقول ويعمل كما يعرض ما يسمى (التلفزيون) على الناس صورهم متحركة ناطقة كما كانت في الواقع التي يمكن تكرار عرضها في أي وقت كان حتى بعد ان تمر عليها الاعوام وينساها صاحبها.

اللهم اجعلنا من الذين نعبدك كاننا نراك، فإن لم نكن نراك فإنك ترانا، اللهم آمين.

﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم إنا نسالك من فجاة الخير ونعوذ بك من فجاة الشر.

شاع في الدنيا اليوم ان يقتل الانسان أخاه الانسان لا لأنه هو القاتل، ولكن لكونه أخا القاتل او أباه او ابنه او ابن عمه او واحدا من عشيرته. فشاع قتل الانسان بجريرة غيره وقد نص القران الذي انزل علينا قبل اربعة عشر قرنا: ﴿أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾{النجم: 38}

وهذه من عادات الجاهلية التي ما تزال طائفة من الناس تأخذ بها، وقد بين لنا الاسلام انه لا يستحق القتل الا ثلاثة: القاتل بغير حق، والمحصن الزاني، والمرتد عن دينه، فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة). رواه ابو ادود والنسائي.

وعن عائشة رضي الله عها ان رسول الله ﷺ قال: (لا يحل دم مسلم الا بإحدى ثلاث خصال: زانٍ محصن يرجم، ورجل قتل متعمدا فيقتل، ورجل يخرج من الاسلام، وحارب الله ورسوله فيقتل او يصلب او ينفى من الارض).

إذا أردتَ ان تأخذ حقك كاملا ممن ظلمك فلك ان ترد عليه بالمثل، فتسبه كما سبك وتركله كما ركلك وتلطمه كما لطمك فإذا زدتَ على ذلك تصبح بهذه الزيادة عند الله معتدياً بعد ان كنتَ معتدى عليك، وإذا

عفوت وصبرت فهو خير لك، أما اذا بلغت الزيادة الى القتل فتكون قد ارتكبت جريمة تعد من اعظم الجرائم على الاطلاق.

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "اول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه

وعن ابي هريرة ﷺ ان رسول الله ﷺ قال: (اجتنبوا السبع الموبقات قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق، واكل مال اليتيم؛ واكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي.

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: "اذا اصبح ابليس بث جنوده وفرقهم ونشرهم في أنحاء الارض "فيقول من أخذل اليوم مسلما البسته التاج قال: فيجيء هذا (فيجيء أحد الشياطين الى ابليس) يقول لم ازل به (احث الرجل المسلم على طلاق زوجته) حتى طلق امرأته فيقول (ابليس مستصغرا عمله) يوشك ان يتزوج من اخرى، ويجيء هذا (ويجيء شيطان آخر) فيقول لم ازل به حتى عق والديه (فآذاهما وأساء اليهما) فيقول: يوشك ان يبرهما (ويحسن اليهما) ويجيء هذا (ويجيء شيطان ثالث) فيقول: لم ازل به (بالرجل المسلم) حتى اشرك فيقول انت انت (معظما فعله) ويجيء هذا (ويجيء شيطان رابع) فيقول (لإبليس) لم ازل به (لم ازل بالرجل المسلم احثه على قتل اخيه المسلم) حتى قتل (وسفك دما حراما) فيقول (معظما عمله) انت انت، ويلبسه التاج رواه ابن حبان في صحيحه.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: "ان من ورطات الأُمور التي لا مخرج (ولا مخلص ولا منجى منها) لمن اوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله (وحقه)" رواه البخاري والحاكم وقال صحيح على شرطهما.

واعظم هذه الورطات ان يقتل الرجل رجلا مسلما مؤمنا بالله بغير حق او يقتله لسبب لا يوجب القتل، روى ابن ماجه عن عبدالله بن عمرو قال: رأيت رسول الله يطوف بالكعبة (في حجة الوداع او في عمرة القضاء، مخاطبا الكعبة التي هي اعظم شعائر المسلمين) ويقول: (ما اطيبكِ وما اطيب ريحكِ وما اعظمكِ وما اعظم حرمتكِ والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله اعظم من حرمتكِ ماله ودمه).

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قتل بالمدينة قتيل على عهد رسول الله ﷺ لم يعلم من قتله فصعد النبي ﷺ المنبر. فقال: يا ايها الناس يقتل قتيل وأنا فيكم ولا يعلم من قتله لو اجتمع اهل السماء والارض على قتل امرئ (يعني مؤمن) لعذبهم الله الا ان يفعل ما يشاء.

وروى الطبراني في الصغير من حديث ابي بكر عن النبي ﷺ قال: (لو ان اهل السموات والارض اجتمعوا على قتل مسلم لكبهم الله جميعا على وجوههم في النار).

وعن ابي سعيد وابي هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: (لو ان اهل السماء والارض اشتركوا في دم مؤمن لاكبهم الله في النار). رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

وفي رواية لابن ماجه: (ولو ان اهل سمواته واهل ارضه اشتركوا في دم مؤمن لادخلهم الله النار).

قال محقق الترغيب: محمد خليل هراس "قال ابن العربي وثبت النـــهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك فكيف بقتل الآدمـــي فكيـــف بالمسلم فكيف بالتقي الصالح "وقال العزيزي في شرح الجامع الصغير فهـــو اكبر الكبائر بعد الإشراك بالله وقال الحفني: فمن قتل مسلما يعذب عـــذابا اشد ممن ازال الدنيا لو فرض ذلك" ذلك لعظم مكانة المسلم والمؤمن عنـــد الله، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال: (لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل رجل مسلم). رواه مسلم والنســـائي والترمـــذي مرفوعا وموقوفا.

وعن البراء بن عازب ﷺ ان رسول الله ﷺ قال: (لـــزوال الـــدنيا (خرابها وفناؤها كلها) أهْون على الله (وأيسر وأخف عنده) من قتل مؤمن بغير حق). رواه ابن ماجه باسناد حسن.

وروى النسائي والبيهقي من حديث بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: (قتل المؤمن اعظم عند الله من زوال الدنيا).

والمعنى: ان الله سبحانه يغضب لقتل المؤمن اشد مما يغضب لـــزوال الدنيا.

وروى البيهقي من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ من أعان على دم امرئ مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه آيس من رحمة الله.

وعن عبادة بن الصامت ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (من قتل مؤمناً فاغتبط (وفرح) بقتله لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا). رواه ابو داود أي: لا يقبل الله منه توبة ولا فدية، وقيل المعنى: لا يقبل الله منه فريضة ولا نافلة.

وعن ابي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كل ذنب عسى الله ان يغفره الا الرجل يموت مشركاً او يقتل متعمداً) رواه ابو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد.

وذكر ابن كثير في تفسير قوله: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا){النساء: 93}.

وهذا تهديد شديد ووعيد اكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله حيث يقول تعالى في سورة الفرقان:(وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا){الفرقان: 68]}

والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدا... وقد كان ابن عباس يرى انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا، وقال البخاري: حدثنا ادم حدثنا شعبة حدثنا المغيرة بن النعمان قال: سمعت ابن جبير قال: اختلف فيها (في هذه الآية) اهل الكوفة (أي اختلفوا (في قاتل المؤمن، أله توبة ام لا) قال فرحلتُ الى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الاية (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) هي آخر ما نزل وما نسخها شيء... (وعن) سعيد بن جبير (ايضا) قال: سألت ابن عباس عن قوله تعالى: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ) قال... فجزاؤه جهنم ولا توبة له فذكرت ذلك لمجاهد فقال إلا من ندم... وعن سالم بن أبي الجعد قال: كنا عند ابن عباس بعدما كف بصره فأتاه رجل فناداه: يا عبد الله بن عباس ما ترى في رجل قتل مؤمنا متعمدا؟ فقال: جزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما، قال: أفرأيتَ إن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال ابن

عباس ثكلته أُمُّه وأنّى له التوبة والهدى؟ والذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم ﷺ يقول: ثكلته أُمه قاتل مؤمن متعمداً.... يأتي المقتول متعلقاً بإحدى يديه متلبساً قاتله بيده الأخرى (أي: يجيء المقتول يوم القيامة.. وقد أخذ وقبض قاتله بيد وحمل رأسه باليد الاخرى) تشخب أوداجه (تسيل عروق عنق المقتول) دما حتى يأتي به (حتى يأتي بقاتله) العرش فيقول المقتول لرب العالمين: هذا قتلني وفي رواية يقول المقتول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ فيقول الله عزوجل للقاتل: تعستَ ويُذهب به الى النار. رواه الترمذي. وحسنه الطبراني في الاوسط وفي رواية أخرى قال: فيهوي في النار سبعين خريفاً وكذلك رواه النسائي،وممن ذهب انه لا توبة له من السلف: زيد بن ثابت وابو هريرة وعبد الله بن عمرو وابو سلمة بن عبد الرحمن وعبيد بن عمير وحسن وقتادة والضحاك بن مزاحم نقله بن ابي حاتم مستندين في ذلك الى أحاديث كثيرة منها الحديث المتقدم ذكره: يجيء المقتول متعلقاً بقاتله يوم القيامة... ومنها قال الإمام احمد.... عن ابي ادريس قال: سمعت معاوية رضي الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ يقول: كل ذنب عسى الله ان يغفره الا الرجل يموت كافراً او الرجل يقتل مؤمناً متعمداً. وقد مر مثل هذا الحديث.

والذي عليه الجمهور من سلف الأُمّة وخلفها ان القاتل له توبة فيما بينه وبين الله عز وجل فإن تاب وخشع وخضع وعمل عملاً صالحاً بدل الله سيئاته حسنات وعوَّض المقتول من ظلامته وأرضاه، إلا انه يشترط في التوبة ان تكون صادقة نصوحاً ومع ذلك فإن للمقتول على قاتله حقين حقاً في الدنيا وحقاً آخر يوم القيامة، فأما حقه عليه في الدنيا فيطالب به أهله وذووه ويكون ذلك إما بقتل القاتل او بدفع دية مغلظة ثلاثة أضعاف، وبان يدفع هذه الدية القاتل نفسه لا عشيرته، هذا إن قبل ولي أمر المقتول بدفع الدية

بدلاً من القتل. قال الله تعالى: (وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا){الإسراء: 33}.

وقوله تعالى: (فلا يسرف في القتل) يعني انه لا يجوز لولي أمر المقتول ان يمثل بالقاتل بعد قتله او أن يقتل غير القاتل كأن يقتل ابنه او اباه او أخاه او ابن عمه.

وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فإنه حق من حقوق الادميين، فحتى إذا تاب القاتل وتاب الله عنه فإن من حق المقتول يوم القيامة ان يقبض على القاتل ويأتي به تحت العرش ويقدمه للمحكمة الالهية ويخاطب المقتول الله سبحانه وتعالى: رب سل هذا لِمَ قتلني؟ فإن كان القاتل قد تاب توبة صادقة وتاب الله عنه فإن الله سبحانه يفصل بينهما بأن يعطي القاتل للمقتول من حسناته وأعماله الصالحة حتى يوفي المقتول حقه ثم يدخل القاتل الجنة بما فضل وبقي عنده من حسنات، فإذا لم توف وتكف حسنات القاتل حق المقتول يعوِّض الله المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها ورفع درجته فيها ونحو ذلك.

ذلك ان من رحمة الله ووفائه بما وعد به التائبين ان يعفو الله عن القاتل ولا يدخله النار لانه تاب وآمن وعمل صالحاً ومات على ذلك. لكنه سبحانه وتعالى من عدالته أنه إذا كان يعفو عن حقوقه سبحانه فإنه لا يعفو عن حقوق عباده فهذا المقتول له حق على قاتله فيعطي الله المقتول حقه بأن ياخذ من حسنات القاتل، فاذا فنيت حسناته قبل ان يوفي حقه و لم تبق عنده من حسنات إلا الحد الأدنى منها ليدخل بها الجنة فالله سبحانه عندئذ يرضي المقتول.

تذكر كتب تاريخ الأدب انه حين استعرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزيره عز الدولة ابي طاهر محمد بن تقية فطرحه للفيلة فقتله ثم صلبه عند داره بباب الطاق وعمره نيف وخمسون سنة ولما صُلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الأنباري (ت 328هـ) احد العدول ببغداد بقصيدة مطلعها:

عُلُوٌّ في الحياة وفي الممات *** لَحقٌّ تلك إحدى المعجزات

وهذه القصيدة تعد من اعظم المراثي ولم يسمع بمثلها عن مصلوب حتى ان عضد الدولة الذي صلبه تمنى لو كان هو المصلوب وقيلت فيه.

هذه الرواية الأدبية التي حصلت في الدنيا تذكرني بالمشهد الأُخروي حين يقف القاتل والمقتول ليحكم الله بينهما وكيف ان المقتول يأخذ من القاتل أفضل أعماله حتى يكاد يفلسه من حسناته ولا يفوز من الجنة الا بالحد الادنى من درجاتها، وكيف ان الله سبحانه يثني على المقتول ويرفع من شأنه ودرجاته حتى يخيره الله ان يأخذ من قصور الجنة ونعيمها وحواريها ما شاء من أجل ان يرضي المقتول ويعفو عما بقي له من حق على قاتله، اقول وأنا اتذكر هذا الموقف من مواقف يوم القيامة: انه ربما تمنى القاتل في هذا الموقف العظيم لو كان هو المقتول؛ ليفوزاليوم بما فاز به المقتول.

اللهم لا تمتنا قاتلين او ظالمين ونجنا من فتنة الدنيا واقبضنا اليك غير مفتونين اللهم امين.

اعتقاد الأئمة الأربعة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول وعلى آله وصحبه،وبعد، فإن كثيرا من المسلمين يظنون أن الأئمة الأربعة الذين عاشوا في القرن الثاني والثالث من الهجرة، لم يكونوا يعنون بالعقيدة، وينسبون دائما هذا الفضل الى من جاؤوا بعدهم ممن عاشوا في القرن الثامن من الهجرة.

وبين يدي الآن كتاب مختصر تحت عنوان: اعتقاد الأئمة الأربعة، أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، تأليف محمد بن عبدالرحمن خميس.يذكر المؤلف في المقدمة ((أما بعد فقد قمتُ ببحث موسع لنيل درجة الدكتوراه قي أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى وقد ضمنت المقدمة تلخيص عقيدة الأئمة الثلاثة: مالك والشافعي وأحمد وقد طلب مني بعض الفضلاء إفراد عقيدة هؤلاء الأئمة الثلاثة))

وفيما يأتي بعض ما جاء في هذا الكتاب:

قال ابن تيمية في كتابه، الإيمان: ((لكن من رحمة الله بعباده أن الأئمة الذين لهم لسان صدق كالأئمة الأربعة وغيرهم كانوا ينكرون على أهل الكلام من الجهمية قولهم في القرآن والإيمان وصفات الرب وكانوا متفقين على ما كان عليه السلف)).

من أقوال أبي حنيفة في العقيدة.

قوله: لا ينبغي لأحد ان يدعو الله إلا به.، وكان يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام. ومن أقواله: لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو

يغضب ويرضى، ولا يقال: غضبه عقوبته، ورضاه ثوابه 000ويد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه، ووجهه ليس كوجوه خلقه 000 ولا يقال: يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال.وقال: من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر، وكذا من قال: إنه على العرش، ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض. ومن أقواله: ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته، وقال: الإيمان، إقرار باللسان وتصديق بالجَنان، والإقرار وحده لا يكون إيمانا، وقال: الإيمان لا يزيد ولا ينقص. يقول المؤلف: ((قوله في عدم زيادة الإيمان ونقصانه، وقوله في الإيمان، إنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان، وإن العمل خارج عن حقيقة الأيمان، قوله هذا هو الفارق بين عقيدة الإمام أبي حنيفة في الإيمان وبين عقيدة سائر أئمة الإسلام: مالك والشافعي وأحمد وإسحاق والبخاري وغيرهم، والحق معهم، وقول أبي حنيفة مجانب للصواب، وهو مأجور في الحالين، وقد ذكر ابن عبدالبر وابن أبي العز ما يشعر أن أبا حنبفة رجع عن قوله، والله أعلم))

من أقوال ابن مالك في العقيدة:

سئل ابن مالك عن صفات الله فقال: أمروها كما كانت، وسئل، كيف استوى الله على العرش، فقال: الكيف منه غير معلوم والاستواء منه غير مجهول والإيمان يه واجب والسؤال عنه بدعة، وسئل عمن يقول: القرآن مخلوق، فقال: إنه زنديق فاقتلوه، ومن أقواله: الله في السماء وعلمه في كل مكان، إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبدالله، وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابه والتابعون لهم بإحسان.

من أقوال الشافعي في العقيدة:

قوله: إن لله وجها وقدما وعينين وإنه ليس بأعور وإن له أصبعا وإن لله صفات لكن ليست كصفاتنا لقوله سبحانه: (ليس كمثله شيء)، ومن أقواله:إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى أو الشيء غير الشيء فاشهد عليه بالزندقة، وإن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وإن الله تعالى يترل إلى السماء الدنيا كيف شاء، ومن أقواله: من حلف بالله أو باسم من أسمائه فحنث فعليه كفارة: ومن حلف بشيء غير الله فحنث فلا كفارة عليه، ذلك أنه لا يجوز الحلف إلا بالله، وسئل عن صفات الله فأجاب بما أجاب به أبو حنيفة ومالك، وله أقوال أخرى كثيرة عن أهل الكلام من ذلك قوله: ما ناظرتُ أحداً في الكلام إلا مرة وأنا استغفر الله من ذلك، وقال رحمه الله: لو أردتُ أن أضع على كل مخالف كتاباً كبيراً لفعلتُ وليس الكلام شأني، ولا أحب أن يُنسب إلي منه شيء.

من اقوال الإمام أحمد بن حنبل:

الصلاة والزكاة والحج والبر من الإيمان، والمعاصي تنقص الإيمان، وسئل عن الإرجاء فقال: نحن نقول: الإيمان، قول وعمل يزيد وينقص، إذا زنى وشرب الخمر نقص إيمانه، ومن أقواله: إنه لا يفلح صاحب الكلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل ولا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة

الوفاء بالعهد من مبادئ الإسلام

يظهر ذلك من خلال صحابيين يدعى أحدهما عبيد بن أسيد بن جارية، أو عتبة بن أسيد وكان يكنى بأبي بصير، وهذا هو اللقب الذي اشتهر به في كتب السيرة، ولد في مكة من أبوين عربيين من بني ثقيف، وأمه من بني هاشم جد الرسول ﷺ، أسلم في الأرجح إبان الدعوة العلنية، وأخفى إسلامه خوفا من قريش التي كانت من أشد معارضي الدعوة، فلما علم قومه بإسلامه سجنوه وظل مسجونا حتى تمكن من الهرب إلى المدينة بعد صلح الحديبية. ويدعى الثاني: العاص بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس، وكان يكنى بأبي جندل، وكان المشهور بهذا اللقب أيضا في كتب السيرة، وولد أيضا في مكة لأبوين عربيين من قريش من بني عامر. وقد أسلم أبو جندل قبل الهجرة النبوية، وهو كأبي بصيرأسلم وأخفى إسلامه وكتمه عن آل بيته، فلما علم أهله بإسلامه سجنوه، ثم تمكن من الفرار من سجنه والتحاقه بأبي بصير.

صلح الحديبية:

بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وبعد معركة بدر وأُحد وغزوة الخندق عزم الرسول ﷺ أن يزور مكة ويؤدي فيها مناسك العمرة، فلما توجه مع صحابته إلى مكة منعته قريش من دخولها وعقدوا معه مفاوضات كان من بنودها أن يرجع الرسول ﷺ إلى المدينة ويأتي مكة معتمرا في العام المقبل وكان من بنودها أيضا بند ينص وحسبما ثبت في وثيقة الصلح على أنه من أتى محمداً من قريش بغير أذن وليّه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم ترده عليه.

بعد أن أتم الرسول ﷺ كتابة هذا البند وباقي بنود الصلح طلع على الرسول ﷺ أبو جندل وهو يرسف بالحديد وكان أبوه قد حبسه في مكة، فأفلت من سجنه والتجأ إلى الرسول ﷺ يريد الفرار بدينه إليه فلما رآه أبوه صاح يا محمد رده إلينا استنادا إلى ما تم بيننا من معاهدات فرده إلى أهله قائلا يا أبا جندل، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، وإنا صالحنا القوم وإنا لا نغدر ولا نخون، فصاح أبو جندل بأعلى صوته، يا معشر المسلمين، أأُردُّ إلى المشركين يفتنوني في ديني؟!.

وعلى وفق شروط المعاهدة أُعيد ابو جندل إلى مكة وحبس مجدداً وقد أثر هذا الموقف المثير في عموم المسلمين الذين كانوا قد خرجوا مع الرسول ﷺ. و لم تمض بضعة أشهر على توقيع معاهدة الصلح حتى تمكن أبو بصير رضي الله عنه من الإفلات من سجنه والالتحاق بالرسول ﷺ في المدينة، ولما كان زعماء مكة يدركون تماما أن الرسول صلى الله عليع وسلم سينفذ بنود الصلح من دون أي تأخير أو تردد كان، فقد كتب الأخنس بن شريق والأزهر بن عوف كتابا بعثا به مع مولى لهما ورجل من بني عامر بن لؤي استأجراه ليرد إليهم أبا بصير، وعندما وصلا إلى المدينة وأخبرا الرسول ﷺ بخبر صاحبيهما ودفعا إليه بكتاب قريش دعا رسول الله على الفور أبا بصير وقال له يا أبا بصير، إن هؤلاء القوم قد صالحونا على ما قد علمتَ، وإنَّا لا نغدر ولا نخون، فالحق بقومك، فقال يا رسول الله، أتردني إلى المشركين ليفتنوني في ديني؟! فقال له الرسول ﷺ: اصبر يا أبا بصير واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين من المؤمنين فرجا ومخرجا.

وكما توقع زعماء المشركين فقد استجاب الرسول ﷺ لكتابهم فالتزم ببنود المعاهدة ووفى بها؛ لأن الوفاء بالعهد من أخلاق المسلمين ورسولهم الكريم، فأمر الرسول ﷺ فورا أبا بصير بضرورة العودة إلى مكة وفاء للعهد مع قريش، فامتثل أبو بصير رضي الله عنه بأمر رسول الله ﷺ ورافق مبعوثي قريش اللذين كلفا بإعادته إلى مكة، إلا أن أبا بصير لم يستطع أن يتقبل قضية وصوله إلى مكة وخشي أن يفتنوه عن دينه فتمكن وهو مع القرشيين في منتصف الطريق بين مكة والمدينة أن يقتل أحد حارسيه وهرب منهما، وجاء الحارس الثاني إلى رسول الله ﷺ فقال: لقد قتل صاحبكم صاحبي. وقد أدرك أبو بصير بأنه لا مكان له في مكة ولا في المدينة، فخرج حتى نزل العيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر، وهي منطقة تكثر فيها الأشجار. وبعد أن علمت قريش وأهل مكة وباقي القبائل العربية بأمر أبي بصير والمكان الذي التجأ إليه كان كل من يعلن إسلامه منهم ويستطيع الإفلات من قومه يلتجئ إلى العيص ملجأ أبي بصير، وكان أول من التجأ إليه أبو جندل رضي الله عنه بعد أن تمكن الإقلات من سجن أبيه وقومه، فكثر الملتحقون بأبي بصير، ثم ألف أبو بصير ممن التحق به قوة عسكرية تقوم بالاستطلاع والهجوم والقتال ومشاغلة المشركين والتعرض لقوافلهم التجارية، فلما أدركت قريش خطر هؤلاء على مصالحهم وبعد أن أدركوا أنهم ليسوا تحت ولاية الرسول ﷺ سارعت للتخلي عن هذا البند وهي صاغرة؛ لذا أرسلت إلى الرسول ﷺ تطلب منه إيواء أبي بصير وأعوانه، فلما وصل هذا الكتاب إلى رسول الله ﷺ كتب عليه الصلاة والسلام إلى أبي بصير وأبي جندل ليفدا عليه وفيمن معهما. فقدم كتاب رسول الله ﷺ على

أبي جندل، وأبو بصير في سكرات الموت، فمات أبو بصـــير ﷺ وكتـــاب رسول الله ﷺ بيده يقرؤه، فدفنه أبو جندل مكانه وصلى عليه.

عائشة رضي الله عنها وحديث الإفك

عشر آيات من سورة النور نزلت بحق عائشة رضي الله عنها تبرئها من التهمة التي أشاعها الذين خاضوا مع الخائضين. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج للغزو في سبيل الله أقرع بين نسائه أي: جعل قرعة فيأخذ معه التي وقعت عليها القرعة، قالت: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، وخرجتُ مع رسول الله ﷺ، وذلك بعد ما أنزل الله آية الحجاب، فكنتُ أُحمَل في هودجي فوق جمل، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك أذن الرسول ﷺ بالرجوع، وقبيل بدء رجوعنا إلى المدينة ابتعدتُ عن أنظار الجيش لأقضي حاجتي بعيدا عنهم، فلما عدتُ إلى الموضع الذي كنا فيه فوضعتُ يدي في صدري فلم أجد قلادتي التي كنتُ أرتديها، فرجعتُ إلى الموضع الذي قضيتُ حاجتي فيه التمس القلادة، أبحث عنها فتأخرتُ عن اللحاق بالركب، فحين شرع الركب بالرجوع أقبل نفر من الجيش إلى هودجي فاحتملوه ووضعوه على بعيري الذي كنتُ أركبه وهم يحسبون أنني فيه، وكانت عائشة رضي الله عنها خفيفة الوزن فلم يحسوا أنها ليست في الهودج، قالت: فساروا بجملي: ووجدتُ عقدي (قلادتي) بعدما ارتحل الجيش فجئتُ إلى منازلهم فلم أجد أحدا فذهبتُ إلى المترل الذي كنتُ أنام فيه وكنتُ أظن أن القوم سيشعرون بغيابي ويرجعون إليَّ، فبينا أنا جالسة في مترلي غلبتني عيناي فنمتُ وكان صفوان بن المعطل قد تخلف هو الآخر عن اللحاق بالجيش حتى أقبل الظلام فأصبح عند مترلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني، وكان قد رآني قبل الحجاب فاستيقضتُ باسترجاعه، أي: استيقضتُ حين سمعتُه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله،

فخمرتُ وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعتُ منه غير تكـرار قوله: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فأناخ راحلته (ناقته) فـداس على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش والتحقنا به عند الظهيرة فهلك من هلك في شأني، وكان الذي أشاع الإفك وقاد أمره هو عبدالله بن أُبَي بن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكيتُ آلاما حين قدمنا المدينـة شهرا، والناس يخوضون في الإقك وأنا لا أشعر بشيء مـن ذلـك، إلا أني أحسستُ أني لم ألق اللطف والرعاية التي عودني عليها الرسول ﷺ حـين كان يجدني مريضة، فلم أجد منه سوى قوله حين يدخل علـي: كيـف تيكم؟. فكان ذاك الذي يريبني و لم أشعر بما يحدث حولي حتى خرجتُ بعد شفائي من مرضي، أنا وأم مِسْطَح إلى المواضع التي نقضي فيها حاجاتنـا، وكنا لا نخرج إلى هذه الأماكن إلا ليلا وكان ذلك قبل أن نتخذ المواضـع المستورة قرب بيوتنا: فسمعتُ أم مِسْطَح تقول: تعس مِسْطَح تعس مِسْطَح، فقلتُ لها بئس ما قلتِ، تسبين رجلا شهد بدرا؟! فقالت لي ألم تسمعي ما قال؟! قلتُ: وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددتُ مرضـا إلى مرضي، فلما رجعتُ إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ، ثم قـال: كيـف تيكم؟ فقلتُ أتأذن لي أن أذهب إلى بيت أبي وأمي؟ فأذن لي رسول الله ﷺ فجئتُ إلى أبي وأمي فقلتُ لأمي: يا أمتاه، ماذا يتحدث الناس عني؟ فقالت يا ابنتي هوني عليك، فوالله لقلَّ ما كانت امرأة قط وضيئة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثر عليها الكلام، قالت: فقلتُ: سبحان الله أو قـد يحدث الناس بذلك؟! قالت: فبكيتُ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا ينقطع لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسـلم عليـا وأسامة بن زيد، حين تأخر نزول الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله

وزوجته، قالت: فأما أسامة بن زيد فقال: يا رسول الله، إنها أهلك ولا نعلم منها إلا خيرا، أما علي ﷺ فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير.وفي كتب السيرة أن رسول الله ﷺ بعد أن استشار عليا وقال له ما قال استشار عمر ﷺ فقال له: يا رسول الله، من زوجكها؟. فقال: الله، فقال عمر: أتظن أن الله دنس عليك عرضك؟! ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر يخطب فقال: أيها الناس، ما بال عبد الله بن أُبي بن سلول وقوم يؤذونني في أهلي؟! والله ما وجدتُ منها إلا خيرا، وقد اتهموا رجلا (صفوان بن المعطل) لم أجد منه إلا الخير. وظل رسول الله شهرا يعاني من خوض الخائضين في أحب زوجاته إليه، قالت: ثم أتاني رسول الله عليه وسلم وأنا في بيت والديَّ، فحين جلس قريبا مني، قال: أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله، ون كنتِ قد ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه، قالت: فلما قضى رسول الله مقالته انحبس دمعي من شدة الحزن، فقلتُ لأبي: أجب عني رسول الله فقال: والله ما أدري ماذا أقول لرسول الله ﷺ، فقلتُ لأمي: أجيبي عني رسول الله، فقالت: والله ما أدري ماذا أقول لرسول الله صلى الله عيه وسلم، فقالت: وأنا فتاة حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن، فقلتُ: سمعتم عني ما سمعتم ثم صدقتم أقاويل الناس حتى استقر ذلك في قلوبكم، إن قلتُ لكم: إني بريئة لا تصدقونني، فوالله لا أجد لكم ولي مثلا إلا ما قال أبو يوسف: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، قالت: ثم تحولتُ فاضطجعتُ على فراشي، وكنتُ أعلم علم اليقين أني بريئة وأن الله سبحانه سيبرئني، ولكن والله ما كنتُ أظن أن يترل الله

وحيا في شأني يُتلى على مر الدهور؛ لأني كنتُ اشعر أني أصغر من أن ينزل الله آيات تثبتُ براءتي لكني كنتُ أتوقع أن يرى الرسول ﷺ في المنام ما يثبت له أني بريئة، قالت رضي الله عنها: والله ما غادر رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى نزل جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ، فأصابه ما كان يصيبه حين ينزل عليه الوحي من التعب حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شات شديد البرد من ثقل القول الذي ينزل عليه، قالت: فلما أفاق بعد أن تركه الوحي وجدتُ السرور باديا على وجنتيه، وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أنه قال: أبشري يا عائشة، أمَّا الله عز وجل فقد برأكِ، قالت: فقالت لي أُمي: قومي إليه فهنئيه، فقلتُ: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل، فهو الذي أنزل براءتي، فأنزل الله تعالى من سورة النور: (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالأَفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الأَثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ {11} لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ {12} لَوْلا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ {13} وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {14} إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ {15} وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ {16} يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {17} وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الأيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {18} إِنَّ

الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الــدُّنْيَا وَالأخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ){النور: ١١ – ١٩ }

العدل وحقوق الرعية في ظل الإسلام

لما تولى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله الخلافة أخذ ينادي رعيته، أنه من كانت له مظلمة في عهد الخليفة السابق، سليمان بن عبدالملك فليرفعها إلي، فجاء إليه المظلومون فرد إليهم مظلماتهم مظلمة مظلمة.و لم يكتف عمر بن عبد العزيز بإعادة الحقوق إلى أهلها، بل قيل له إن جدك عمر بن الخطاب كان يأخذ من بيت المال من أموال الفيء، درهمين كل يوم يسد بهما رمقه ويعيل بهما نفسه وعياله، فخذ أنت ما كان يأخذ، وهذا شرع أحله الله ورسوله لمن يترك عمله ويتولى أمور المسلمين، فأبى أن يأخذ شيئا ثم قال: إن جدي عمر بن الخطاب لم يكن له مال، وأنا عندي من المال الخاص بي ما يكفيني.

وكانت غسان قبيلة عربية عميلة للروم حيث كانت متاخمة لحدودها، وكان جبلة بن الأدهم آخر ملوك هذه القبيلة، اسلم جبلة في عهد عمر بن لخطاب ﷺ، فقد أراد أن يلتحق بالعرب أبناء قومه، فبعث عمر بن الخطاب برسالة إليه: أن أقدم إلينا، ولك ما لنا من الحقوق وعليك ما علينا من الواجبات، فجاء جبلة إلى الحجاز ومعه خمسمئة فارس تبدو عليهم آثار الأبهة والترف بلباسهم المنسوج بالذهب والفضة.

حضر جبلة موسم الحج، فداس رجل من قزارة على إزار جبلة، فغضب جبلة ولطم القزاري، لطمة قوية هشمت أنفه، فذهب القزاري إلى عمر يشتكي إليه ليأخذ حقه من ملك الغساسنة الذي أسلم حديثا، فبعث عمر بن الخطاب ﷺ إلى جبلة ملك غسان برسالة يقول له فيها: ما الذي دعاك إلى أن تلطم أخاك هذه اللطمة المؤلمة؟! فلما قرأ جبلة الرسالة وسمع هذا السؤال من خليفة المسلمين عجب من مضمونها،

وأخذته العزة بالإثم وشعر بأنه فد أهينت كرامته حين علم بأنه وهو الملك يحاسَب لأنه لطم أعرابيا من البادية، ثم قال: لولا حرمة هذا البيت لقتلتُ من داس إزاري، فقال له عمر برسالة بعثها إليه: إما أن ترضيه وإلا اقتصصتُ له منك، عاقبتك بمثل ما عاقبته، فدهش جبلة ورد بقوله مستفهما مستنكرا: أتقتص له مني وأنا ملك وهو من سوقة الناس؟! فقال له عمر: إن الإسلام ساوى بيتكما، قال جبلة الملك: إني رجوتُ أن أكون بعد إسلامي أعز مما كنتُ عليه قبل إسلامي، فكرر عمر قوله: الإسلام ساوى بينكما، فقال جبلة: إذن أتنصر وأترك الإسلام وأعود نصرانيا، فقال عمر: إذن أضرب عنقك، وتناحر قوم جبلة وقوم قزارة وأوشكت أن تشتعل بينهم فتنة: فطلب جبلة من عمر أن يمهله إلى غد، فوافق عمر، وأجل القضية إلى غد

فخرج جبلة من المدينة هاربا متخفيا ومتسترا بظلام الليل، ثم التحق بقيصر ملك الروم فأكرمه هرقل وأغدق عليه الأموال.

هذه العدالة ونحوها لا تتحقق كاملة وبأسمى معانيها إلا في ظل الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد في هذه الدنيا الذي يتسم بأنه دين الله كما أنزله الوحي على رسول الله لم يعتره أي تحريف وأي تبديل كان، ولأنه الدين الوحيد الذي سمت وعظمت تربيته لأتباعه، ففي خلافة عمر ﵁ رفع إليه جندي من جنود المسلمين شكوى مفادها بأن قائده أبا موسى الأشعري، الصحابي الجليل قد ضربه وحلق شعره لعمل لا يستحق هذه العقوبة فبعث عمر ﵁ برسالة إلى أبي موسى الأشعري قائد الجيش، تتضمن هذه الرسالة: أن يا أبا موسى، إن كنتَ قد عاقبتَ جنديك أمام حشد من الناس فاقعد له في حشد من الناس ليقتص منك، ليصنع بك ما صنعته به، وإن كنتَ فعلتَ

ذلك به بعيدا عن أعين الناس فاقعد له ليقتص منك في مكان بعيد عن الناس، ثم جلس القائد أبو موسى الأشعري ليقتص الجندي منه، فلما رآه الجندي جالسا بين يديه ليأخذ حقه منه، رفع رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إني قد عفوتً عنه.

ووقف غداة يوم على باب الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ نفر من المسلمين من بينهم: أبو سفيان بن حرب سيد قريش في الجاهلية وأفضلهم نسبا وبلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وقد استأذنوه جميعا للدخول عليه، فأذن لبلال بالدخول ثم لصهيب ثم لسلمان وأبو سفيان واقف ثم أذن عمر لغيرهم، ثم أذن بعد ذلك لأبي سفيان، فدخل أبو سفيان وهو غضبان من تقديمهم عليه بالإذن فنهره عمر وزجره وقال له: تقدموك في الإسلام فلا جرم أن يتقدموك في الإذن.

وقال إياس بن سلمة: مر عمر بن الخطاب ﷺ في السوق ومعه الدرة (السوط) فضربني بها ضربة أصاب بها طرف ثوبي وقال لي: ابتعد عن الطريق، فلما كان في العام المقبل لقيني فقال يا سلمة: أتريد الحج؟ فقلتُ: نعم، فأخذ بيدي وذهب بي إلى مترله فأعطاني ستمئة درهم من دراهمه الخاصة لا من بيت المال، وقال: استعن بها على حجك واعلم أنها جزاء الضربة التي كنتُ قد ضربتك، قلتُ: يا أمير المؤمنين إني لا أتذكرها، فقال عمر: وأنا ما نسيتها.

جاء رجل من أقباط مصر إلى المدينة يشتكي للخليفة عمر بن الخطاب ﷺ من ابن حاكم مصر وهو ابن الوالي عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين جئتُ أشتكي إليك فقال عمر: ما شأنك؟ فقال الرجل: تسابق فرسي وفرس محمد بن الوالي عمرو بن العاص فسبقتْ فرسي فرسه، إلا أن

هذا الفوز لفرسي لم يعجبه فاغتاظ وضربني بالسوط وهو يقول: خذها وأنا ابن الأكرمين.

فكتب عمر ﷺ إلى والي مصر عمرو، فقال: مِن أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاصي، إذا جاءك كتابي هذا فأقبل إلي ومعك ابنك محمد.

فدعا عمرو ابنه وقال له: أأحدثتَ شيئا؟ أجنيت جناية؟. قال: لا، فقدما المدينة فلما رآهما عمر ﷺ نادى: أين الرجل المصري؟ فقال: ها أنذا فقال عمر للرجل: خذ الدرة واضرب بها ابن الأكرمين كما ضربك، فضربه الرجل المصري حتى اقتص منه، ثم قال له عمر: اجعل هذه الدرة على صلعة أبيه الوالي عمرو بن العاص فوالله ما ضربك إلا بجاه سلطانه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، لقد ضربتُ من ضربني، وفي هذا المقام قال عمر قولته المشهورة: أيا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!

و لم ينس الإسلام غير المسلمين فقد جعل من حقوقهم عدم إكراههم على ترك دينهم واعتناق الإسلام، بل دُوِّنتْ حقوقهم في الكتاب والسنة، لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات باستثناء الواجبات الدينية، فلا يُكلَّف الأغنياء من اليهود والنصارى بتأدية الزكاة؛ لأن الزكاة شعيرة إسلامية، والإسلام لا يكره غيرالمسلم على تطبيق فرض من فرائض الإسلام، وقد أوصى الإسلام بحمايتهم، ما داموا في دار الإسلام و لم تظهر منهم عداوة صريحة، فقد روى نافع عن عمر قال: كان آخر ما تكلم به النبي ﷺ: احفظوني في ذمتي، ويقصد، بالذمة، ذمة غبر المسلمين من أهل الكتاب، كما روي عنه ﷺ قوله: من آذى ذميا (يهوديا أو نصرانيا) أو معاهدا فأنا خصمه يوم القيلمة، وقوله ﷺ: من آذى لي ذميا فقد آذاني

ومن الحقوق التي يتمتع بها الذمي رعايته من الناحية المالية فقد لقي عمر ﷺ يهوديا كبير السن يسأل الناس، فسأله: لِمَ يشحذ؟ فقال: الجزية والعجز عن العمل وليس عندي من يعيلني، فأرسل عمر ﷺ إلى خازن بيت المال وقال له: انظر هذا وضرباءه فاجعل له ولأمثاله راتبا كافيا ليعيلوا به أنفسهم، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم.

وقد كان الوليد بن عبد الملك قد هدم جزءا كبيرا من كنيسة يوحنا بدمشق ليقيم عليه امتداد المسجد الأموي، وحين وُلِّي عمر بن عبد العزيز الخلافة رحمه الله أحس نصارى دمشق بعدل عمر فشكوا إليه ما حدث لكنيستهم، وجد عمر رحمه الله أن الجزء الذي اغتصبه الوليد قد دخل في المسجد الأموي وصار جزءا منه، إن غاية ما يستطيع أن يفعله حاكم عادل في مثل هذه الحالة، يريد إنصاف من اغتُصِب حقه أن يعوض له حق المغتَّصَب من الناحية المالية، إلا أن عمر بن عبد العزيز نظر إلى هذه القضية نظرة إسلامية ووزنها بميزان إسلامي، فأصدر رحمه الله أمرا يقضي بهدم ذلك الجزء الكبير من المسجد وإعادة الأرض التي اغتُصِبت من الكنيسة إلى الكنيسة. في هذه الأثناء احتج كثير من علماء دمشق المسلمين، كيف يهدم أمير المؤمنين جزءا من المسجد ليرده للنصارى، وأرسلوا وفدا لأمير المؤمنين لإقناعه بالعدول عن قراره، ولكن أمير المؤمنين لم يوافق وأصدر أمرا جديدا يحدد فيه اليوم الذي يجب أن يتم يه الهدم، وميعاد تسليم قطعة الأرض للنصارى، فلما رأى علماء دمشق إصرار أمير المؤمنين على موقفه المستوحى من وحي الإسلام عقدوا اجتماعا مع زعماء الكنيسة وتفاوضوا معهم وتنازلوا عن قطعة الأرض.

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا من الأنصار يدعى طعمة بن أُبَيرِق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه نخالة، فخرق الجراب فكانت النخالة تتناثر منه طوال الطريق فجاء به عند دار رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين وتركه على بابه وحمل الدرع إلى بيته، فلما أصبح صاحب الدرع جاء على أثر النخالة إلى دار اليهودي، فهم النبي ﷺ أن يقطع يد زيد اليهودي: وقبل أن يعاقبه تبين أن السارق هو طعمة حيث التمست عنده في داره فجاء بنوا ظفر وهم قوم طعمة إلى رسول الله ﷺ وسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا له: إن لم تفعل افتضح صاحبنا، فأنزل الله فرآنا من فوق سبع سماواته تبرئ اليهودي وتدافع عنه، قال الله تعالى (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا) {النساء: 105} لم يعن الإسلام بحقوق الناس فحسب من المسلمين وغير المسلمين، بل تجاوز ذلك إلى حقوق البهائم، لما بلغ الخليفة عمر بن عبدالعزيز وهو في دمشق أن أصحاب العربات والجمالين بمصر يحملون على ظهور الإبل (الجمال) فوق ما تطيق كتب للوالي الذي يحكم مصر الخطاب الآتي:

أما بعد، فقد بلغني أن الجمالين في مصر يحملون على ظهور الإبل فوق ما تطيق فإذا جاءك كتابي هذا فامنع أن يحمل على البعير (الجمل) أكثر من كذا رطل.

وتأتيه يوما سلتان كبيرتان مملوءتان من رطب الأردن، فيسأل: ما هذا؟ فيقال: هذا رطب بعث به أمير الأردن إليك، ويعود يسأل: وكيف جيء به؟ فيقال: له: على دواب البعير، فيهز رأسه ويقول: لقد حملتموها

فوق طاقاتها، ثم يأمر ببيع الرطب: وأن يشترى بثمنه علفا لدواب البعير التي حملته.

وفي إحدى جولاته بدمشق يبصر أناسا يحملون مقارع في أسغلها حديدة مدببة ينخسون بها دوابهم فما كان من عمر إلا أن أصدر قرارا يحرم فيه اسنخدام هذه المقارع.

وكان لعمر بن عبدالعزيز غلام يعمل على بغل له يأتيه بدرهم كل يوم فجاءه في يوم ما بدرهم ونصف فقال للغلام: ما بالك؟ لِمَ زاد الأجر؟ قال: طفتُ به السوق، قال: لا ولكنك أتعبتَ البغل، أرحه ثلاثة أيام.

وقد كان لأبي الدرداء جمل يقال له (دمون) فكان إذا استعاروه منه يوصيهم: لا تحملوا عليه إلا كذا وكذا فإنه لا يطيق أكثر من ذلك: فلما حضرت أبا الدرداء الوفاة قال: يا دمون لا تخاصمني غدا عند ربي فإني لم أكن أحمل عليك إلا ما تطيق، رواه ابن عساكر.

وعن المسيب بن دارم قال: رأيتً عمر بن الخطاب ﷺ يضرب جمالا وهو يقول له: حمَّلتَ جملك ما لا يطيق.

وحسن هذه المعاملة الموجهة للبهائم جاءت من الامتثال لتعاليم الإسلام ومبادئه السامية، جاء في الحديث عن النبي ﷺ ما معناه: إن من قتل عصفورا عمدا عج إلى الله يوم القيامة يشكو إليه من قتله بغير حق ويقول: ربِّ سَلْ هذا لِمَ قتلني؟

وقد رأى رسول الله ﷺ، وهو يمشي مع أصحابه عصفورة تزقزق وترفرف وتحوم قوق رأسه ﷺ فنادى في أصحابه: مَن فجع هذه في فراخها؟ أعيدوا إليها فراخها.

وأخبرنا نبينا محمد ﷺ في الحديث الصحيح أن امرأة بغيا تمتهن الزنى من بني إسرائيل كانت تمشي في فلاة فاشتد بها العطش فرأت بئرا قريبا منها فنزلت وشربت وارتوت، فلما خرجتْ من البئر رأت كلبا يلــهث يكــاد يموت من شدة العطش، فقالت في نفسها: إن ما أصاب هذا الكلب مثــل الذي أصابني، فحنَّتْ عليه فنزعت موقها، أي: خلعتْ خفها الذي كانت تنتعله، فنزلتْ البئر فملأته بالماء وسقتْ به الكلب، فغفــر الله لهــا جــزاء إحسانها لهذا الكلب.

وبلغ من رفق الإسلام بالحيوان أنه حرَّم علــى المســلم أن يحمــل حيوانين أن يقاتل بعضهما بعضا، وإذا كان الإسلام قد حرم هــذا بــين الحيوانات قبل أكثر من أربعة عشر قرنا فإن الدول الأوربية اليــوم باســم الحضارة والمدنية قد أباحته رسميا بين البشر فيما يُسمى بالمصارعة الحرة.

الديمقراطية والإسلام

لا يصح أن ندعي أن الإسلام نظام ديمقراطي لسببين:

الأول: أن هذا النظام جاء بعد النظام الإسلامي فلا يصح تاريخيا أن ننسب المتقدم إلى المتأخر.

والثاني: أن الديمقراطية نظام نشأ على أنقاض مفاهيم غير إسلامية وعلى أساس يصطدم بالعقيدة الإسلامية، فأصل الديمقراطية منبثق من فكرة أن الحاكمية للشعب لا للسلطة، أي: أن الشعب يحكم نفسه بنفسه؛ لذلك وجب أن يستشار الشعب بصفة عامة عن طريق الانتخابات بالقوانين التي يرغب في أن تحكمه وبالرؤساء الذين يرغب في أن يتولوا أمره، في حين أن الحاكمية في الإسلام هي لله وحده، لا للشعب ولا للسلطة، وبتعبير آخر أن المشَرِّع في النظام الديمقراطي هو الشعب، أما في النظام الإسلامي فإن المشرع هو الله، رب الشعب، وشتان بين شرع الخالق وشرع المخلوق.

والنظام الأصلح الذي تتم فيه العدالة هو نظام الله المتمثل في الإسلام؛ لأنه سبحانه أعلم من الشعب بما يصلح الناس. وفي دين الله يتربى أتباعه حكاما ومحكومين على تقوى الله، وهذه التقوى تدفعهم إلى تطبيق العدالة في كل أمور الحياة مما لا تجد هذا في النظم الديمقراطية، ومن هذه الأمور:

1- يغلب في النظم الديمقراطية أن الذين يرشحون أنفسهم للرئاسة يرشحون أنفسهم لها طمعا في مكاسب دنيوية: الجاه والمال والمنصب وتحقيق رغبات فردية تتأجج في نفوسهم وليس طمعا في تحقيق العدالة بين الناس؛ لذلك نجد أن الرواتب المالية التي يتقاضاها رئيس دولة ديمقراطية مغرية جدا تكون أعلى من راتب أي موظف كان أضعافا مضاعفة.

لما تولى أبو بكر ﷺ الخلافة وأصبح رئيسا للدولة خرج من داره صباحا وعلى ساعده أبراد (مجموعة من الأكسية) وهو ذاهب إلى السوق ليعمل ويكسب من عمله ليعيل نفسه وأهله، فلقيه عمر ﷺ فقال له: إلى أين تريد؟ قال: إلى السوق، قال: تصنع ماذا وقد وُلِّيتَ أمر المسلمين؟! قال: فمن أين أطعم عيالي؟ فقال: انطلق يفرض لك أبو عبيدة، وهو أمين بيت أموال المسلمين، راتبا، فانطلقا إلى أبي عبيدة،فقال: أَقرضُ لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم، أي: ليس بقوت أغناهم ولا أفقرهم وكسوة الشتاء وكسوة الصيف إذا أخلقتْ كسوة أي: إذا بليت رددهما إلى بيت المال وأخذت غيرها

2-أعلى درجات الديمقراطية أن يقوم الرئيس باستشارة وزرائه ومساعديه ووجوه رعيته ومثل هذه الديمقراطية وما أنبل منها قد كانت في النظام الإسلامي قبل أن يعرف العالم من شرقه إلى غربه ما معنى الديمقراطية، وهذ القضية تتجلى في الإسلام بمصطلح الشورى الذي ورد في نص القرآن الكريم، بل قد جعل هذا المصطلح اسما لسورة من سور القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى في سورة الشورى: (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ){الشورى: 38} وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بأن يستشير رعيته، قال الله تعالى: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ){آل عمران: 159}، لذلك كان الرسول صلى عليه يستشير الناس في الأمور التي لم يرد فيها نص قرآني، فقد استشار مثلا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في شأن أسرى بدر: واستشار المسلمين عامة قبيل معركة أحد بعد أن جاءته أنباء خروج المشركين لمقاتلته: أيبقون في المدينة

متحصنين بها أم يخرجون لملاقاهم؟ فلما آثروا الخروج لبى طلبهم مع أنه لم يكن مقتنعا بسداد رأيهم، وكان كثيرا ما يخاطب المسلمين في المواقف الصعبة بمثل قوله: أشيروا علَيَّ أيها الناس.

وعلى هذا النهج سار الخلفاء الراشدون من بعده، فلم يكن أحد منهم يفعل شيئا مما لم ينص عليه قرآن ولا سنة إلا جمع أعيان المسلمين فاستشارهم فيه، حتى قال عمر ﷺ: لا خير في أمر أُبرِم من غير شورى، وقد كانت صدورهم رحبة لتقبل آراء الرعية والعمل بها، فقد نهى عمر بن الخطاب ﷺ عندما كان خليفة أولياء الأمور من أن يطلبوا مهورا غالية عند تزويج بناهم حتى جعل لها حدودا، وقد ذكر ذلك في خطبة من خطبه، فقاطعته امرأة وذكّرتْه بأن هذا مخالف لكتاب الله وتلتْ عليه قول الله تعالى: (وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً){النساء: 20}، فتقبل ﷺ من هذه المرأة هذا النقد وهذا الاعتراض ثم قال: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

وقدمت بضاعة من اليمن إلى المدينة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب من هذه البضاعة أبراد وهي أكسية تُلبس ففرقها عمر ﷺ على رعيته بُرْدًا بردا ثم صعد المنبر يخطب وعليه حلة منها ما يساوي حلة بردين فقال: اسمعوا رحمكم الله، فقام إليه سلمان الفارسي ﷺ فقال: والله لا نسمع والله لا نسمع، فقال عمر ﷺ: ولِمَ يا أبا عبدالله فقال: سلمان: تفضَّلْتَ علينا بالدنيا فرَّقْتَ علينا بُرْدا بردا وخرجتَ تخطب في حلة منها (أي: في حلة تعدل بُرْدَين) قال عمر: أين عبد الله؟ فلم يرد عليه أحد، فقال: أين عبدالله بن عمر؟ فقال: ها أنذا يا أمير المؤمنين قال: لمن أحد هذين البُرْدَين اللذين علَيَّ؟ قال: لي؛ ذلك أن عمر بن الخطاب ﷺ كان طوال البدن لم يكفه بُرْد

واحد فتبرع ابنه عبدالله فأعطاه برده وحرم ابنه نفسه منه، فلما علم سلمان منه ذلك، قال لعمر: أما الآن فقل واخطبْ ونحن نسمع.

وفي كتاب رياض النضرة في مناقب العشرة المبشرة، أن عمر رضي الله عنه خرج ليلا يتفقد أحوال رعيته وكان يتحرى الوقت الذي يذهب فيه الناس إلى بيوتهم ويأوون إلى مضاجعهم ويطفئون فيه قناديلهم وكان ذلك بصحبة عبدالله بن مسعود، فرأى وهو يتجول في طرق المدبنة ضوءا يشع من دار فاقترب من الدار فسمع أصواتا فأخذ ينظر من خلال ثقوب الباب، فحاول الدخول من الباب ولكنه كان موصدا فتسور الجدار ونزل إلى فناء الدار فإذا شيخ كبير السن وبين يديه كؤوس الخمر وجارية تغني له، فقال عمر رضي الله عنه: ما رأيتُ كالليلة أقبح من شيخ ينتظر أجله وهو يعصي ربه؟!، فرفع الشيخ رأسه فقال: بل ما صنعتَ كان أقبح، فقال عمر: وكيف كان ذاك؟ فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين إن كنتُ قد أخطأْتُ في واحدة فأنت قد أخطأتَ في ثلاث، فقال عمر: وما هي؟ قال الشيخ:

الأولى: أنك لم تدخل داري من الباب بل تسورتَ الجدار والله سبحانه يقول: (وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ){البقرة: 189}

والثانية: أنك تجسستَ علَيَّ والله سبحانه يقول: (وَلا تَجَسَّسُوا){الحجرات:12}

والثالثة: أنك دخلتَ داري من دون استئذان، والله يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ){النور:27}

فقال عمر للشيخ: صدقتَ ثم خرج عاضا على ثوبه وهو يستغفر ربه.

ثم هجر الشيخ مجالس عمر حينا ثم جاءه وحضر مجلسه يكتنفه الإحساس بالخجل والحياء، فعرفه عمر فناداه وأجلسه إلى جنبه ثم همس في أذنه، فقال له بصوت لم يسمعه أحد: والذي بعث محمدا بالحق ما أخبرتُ أحدا من الناس بالذي رأيتُ منكَ ولا ابن مسعود، فقال الشيخ: وأنا والذي بعث محمدا بالحق ما عدتُ إلى شرب الخمر منذ ذلك اليوم، فكبَّر عمر ﵁ أي: صاح: الله أكبر، والحاضرون لا يدرون لماذا كبَّر

منصب الرئاسة وأموال الرعية
في ظل الإسلام

الفرق كبير بين رؤساء يصنعهم القرآن، ورؤساء تصنعهم نظم بشرية، ديمقراطية كانت كما تزعم أم دكتاتورية، فكل من يرشح نفسه للرئاسة في كل دول العالم قديما أو حديثا إنما يسعى لذلك؛ لأنه يعد الرئاسة مغنما أيما مغنم، ففيها يسهل جمع الأموال والحصول على أعظم جاه، في حين أن الرؤساء الذين تخرجهم مدرسة القرآن يوقنون بأنَّ الرئاسة تعد مغرماً ومسؤولية دتيوية وأخروية؛ لذلك فإنك لا تجد في ظل الحكم بالإسلام من يرشح نفسه للرئاسة طمعا بالمال والجاه والشهرة، وإنما حرصا على إقامة العدل بين الرعية وخشية من أن يتولى أمور المسلمين من يسيء إليهم وإلى الإسلام.

فعن عثمان ﷺ قال: رأيتُ في يوم من أيام الصيف الشديدة الحر والريح تلفح الوجوه رأيتُ من كوة داري عمر ﷺ يركض في هذا اليوم الملتهب، فقلتُ له: إلى أين يا خليفة المسلمين؟ فقال: إبل (جمال) من أموال الصدقة شردتْ وأنا أسعى إلى إرجاعها إلى معاطنها فإني أخشى أن يسألني الله عنها يوم الحساب، فقلتُ: وفي هذا اليوم وفي هذه الظهيرة التي يلوذ منها الناس بظل بيوتهم، فطلبتُ منه أن يكلف غيره يطلبها عنه، فقال: أنا المسؤول عنها وإن غيري لا يحمل عني ذنوبي يوم القيامة.

وعن عبدالرحمن ين عمر ﷺ ما: قال اشتريتُ إبلا (جمالا) نحيلة هزيلة ثم سقتها إلى المراعي حتى سمنت فجئتُ بها إلى السوق أطلب بيعها قال: فدخل (أبي) عمر السوق فرأى إبلا سمانا، فقال: لمن هذه؟ فقيل له: إنها لعبد الله بن عمر، فسأل عني، فجئته أسعى إليه، فقلتُ ما لك يا أمير

المؤمنين؟، قال: ما هذه الإبل؟ قلتُ: إبل أنضاء (هزيلة نحيلة) اشتريتها وبعثتُ بها إلى الحمى (المرعى) أبتغي ما يبتغي الآخرون، وكذلك قال الحاضرون، إنه لم يسرقها و لم يستأثر بعمل لم يعمله المسلمون؟ فقال عمر ﷺ له وللحاضرين: إن هذه الإبل سمنت، لأن الناس كانوا يعنون بها أكثر من عنايتهم بغيرها، إنها سمنت بقولهم: أيها الناس ارعوا إبل ابن أمير المؤمنن: اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، وكلما دخلتْ مرعى لا يمنعونها بل يقولون: اتركوها إنها إبل ابن أمير المؤمنين: فهذه الإبل إذن سمنت بجاه منصب رئاسة الدولة، فرِبْحُ بيعها إذن يجب أن يعود إلى الدولة، فباعها عمر ﷺ، ثم أعطى لابنه رأس ماله، أي: أعطاه المال الذي اشترى به هذه الإبل عندما كانت هزيلة، وجعل الربح في بيت مال المسلمين.

وقدم بريد ملك الروم على عمر ﷺ فاستقرضتْ امرأة عمر رضي الله عنها دينارا واشترت به عطرا وأشياء مما هو متوافر في بلاد العرب ولا وجود لها في بلاد الروم وجعلتها في قوارير وبعثت بها مع البريد إلى امرأة هرقل ملك الروم فلما أتاها البريد فرغتْ هذه القوارير وملأتها جواهر وقالت لصاحب البريد اذهب بها إلى امرأة الخليفة عمر، فلما وصل البريد إليها فرغتهن على البسط فوافق أن دخل عمر ﷺ، فقال: ما هذا؟ فأخبرته، فأخذ عمر ﷺ الجواهر وباعها ودفع إلى امرأته دينارا وجعل ما بقي من ثمن بيع الجواهر في بيت المال.

ولما تولى عمر بن عبدالعزيز أمر الخلافة، دخل على زوجته فاطمة بنت عبد الملك وخيَّرها بين حليها الذهبية وثوبها المحلى بالذهب والمنظوم بالدرر والياقوت وبين فراقه، أي: خيَّرها بين أن تختار هذا الذهب فيطلقها عمر، وبين أن تبقى زوجة عنده، وتتخلى عن الذهب والجواهر، فقال لها

اختاري، إما أن تردي كل ما تملكين من الحلى الذهبية إلى بيت المال، وإما أن تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنتِ وهذا الذهب في بيت واحد، فقالت: لا، بل اختاركَ عليه وعلى أضعافه، فأمر به، فحُمل حتى وُضِع في بيت مال المسلمين، فلما توفي عمر رحمه الله، وجاء من بعده يزيد، قال لفاطمة: إن شئتِ رددته إليكِ، قالت: لا والله ولا أطيب به نفسا في حياته، وأرجع فيه بعد موته. ولأن رئيس الدولة في ظل الإسلام يشعر بأن الرئاسة مسؤولية دنيوية وأخروية فإنه يعمل دائما بما هو فيه مصلحة الرعية.

كان عمر رضي الله قد فرض راتبا شهريا لكل طفل بلغ عمر الفطام، فسمع ذات ليلة بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيكِ، و لم تكن تعرفه أنه الخليفة عمر، فلم تأبه بقوله، ثم سمع بكاءه مرة ثانية، فعاد إلى أمه يقول لها ما قاله في المرة الأولى، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي، فأتى إلى أمه وقال لها: ويحكِ إنك أم سوء، مالي أرى ابنك على هذا الحال لا ينقطع بكاؤه؟ قالت الأم: أيا عبدالله: إني أحاول إفطامه فيأبى ذلك، فقال عمر: ولِمَ ذاك؟ قالت: لأن عمر لا يفرض مالا إلا للمفطوم، فقال: وكم عمر ابنكِ؟ قالت: كذا شهر، فقال: ويحكِ لا تعجليه عن الإفطام.فلما صلى الصبح انصرف إلى الناس وجعل مناديا ينادى فيهم: أن لا يعجلوا صبيانهم عن الفطام فإنا قد قررنا أن نفرض لكل مولود راتبا من يوم ولادته. ثم أخذ ﷺ يلوم نفسه والدموع تملأ عينيه ويخاطب نفسه: كم صبيا قتلتَ يا عمر: ثم أعم هذا القرار وبعث به إلى الأقاليم في الآفاق.

الحضارة الإسلامية

أقام المسلمون بفضل تعاليم القرآن حضارة إسلامية استمرت لعدة قرون، وكانت حضارة عامة شملت كل مناحي الحياة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والأدبية والعلمية، وفيما يأتي إشارات من جوانب هذه الحضارة في الميدان العلمي.

من الأمور التي تدل على عظم الإسلام وسرعة نقله العرب من كونهم قبائل متناحرة، لا يخطرون ببال أحد إلى أمة ذات سيادة وقيادة وشأن يحسب لها حساب أنه في غضون ثلاثة عقود من الزمن استطاع المسلمون أن يبنوا لهم أسطولا بحريا نافس الأسطول البحري الروماني الذي مضى على تأسيسه أكثر من ألف سنة وانتصر عليه انتصارا مبينا في معركة مشهورة سُميتْ بمعركة ذات الصواري، وكان ذلك في عهد عثمان ﷺ، سنة 35هـ وكان الأسطول البحري الإسلامي بقيادة عبد الله بن أبي سرح، والأسطول الروماني بقيادة ابن هرقل.

وفي كتاب صور مشرقة من حضارة بغداد وتحت عنوان: في بغداد استنبطت الكتابة البارزة للعميان قال المؤلف: ((يذكر التاريخ الحديث أن رجلا فرنسيا اسمه برايل كان أعمى لا يبصر استنبط في سنة 1829م... الأسلوب المنسوب إليه لتعليم العميان القراءة والكتابة: وقد خلَّد اسمه وشرَّف قومه الفرنسيين بهذا الاستنباط الذي أخذت به أمم العالم في تعليم العميان، ولكن من يدري أن رجلا عربيا كان أعمى أيضا لا يبصر اسمه: زين الدين علي بن أحمد الآمدي عاش في حدود سنة 700هـ.... كان السابق في هذا المضمار وإليه يرجع من دون سواه الفضل كله قي ابتداع الكتابة البرزة للعميان))

من كتاب: صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي: تأليف: ميخائيل عواد، 1980م ص 75.

معابر الحضارة الإسلامية إلى أوربا

1-الأندلس: حيث كان الطلاب الأوربيون يدرسون في جامعات الأندلس الإسلامية مختلف العلوم الطبيعية، فنقلوا علومها إلى بلدانهم، كما أن عددا من الأساتذة المسلمين في فروع العلوم المختلفة قد درَّسوا في بعض الجامعات الأوربية التي أنشأها الأوربيون على طراز الجامعات الإسلامية كجامعة مونبلييه في فرنسا.

2 -الحروب الصليبية: فعن طريق الحروب التي دارت بين العالم الإسلامي والعالم الأوربي احتك الأوربيون بالمسلمين وتعلموا منهم.

3-التجارة بين العالمين الإسلامي والأوربي، وقد دلت التنقيبات أخيرا على وجود عملات إسلامية في أوربا الشمالية حتى فنلندا.

4-انتشار الإسلام في فترة ما،في بعض مناطق أوربا الشرقية أو غيرها.

5-الفتوحات الإسلامية وما نقله الفاتحون من حضارة وعلوم إلى المناطق التي وصلوا إليها.

6-الرحالة المسلمون الذين طافوا مختلف أنحاء العالم، ومنها العالم الأوربي وأثرهم في نشر الإسلام وحضارته.

7-الترجمة: فقد كانت هناك مراكز رئيسة للترجمة في الأندلس وأوربا، من ذلك مثلا أن حيرارد الكريموني الإيطالي المتوفى سنة 583هـ = 1187م والذي حضر إلى الأندلس لتعلم العربية ومكث في قرطبة خمسين سنة، ترجم وحده إلى اللاتينية (أصل اللغات الأوربية) واحدا

وسبعين مؤلفا عربيا في مختلف العلوم. والذين كتبوا عن الحضارة العربية والإسلامية وأثرها على أوربا ومن المستشرقين أنفسهم كثيرون نذكر منهم على سبيل المثال:

1-تاريخ العرب، للدكتور فيليب حتي، بالاشتراك مع الدكتور أدورد جرجي والدكتور جبور، بيروت، 1966م.

مما قاله حتي في كتابه هذا 633/2: ((يقول دوزي المستشرق الهولندي المتوفى 1884م إن في كل الأندلس لم يكن يوجد رجل أمي بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة في أوربا معرفة أولية إلا الطبقة العليا من القسس))، ومثل هذا قال بول في كتابه: العرب في إسبانيا ص115.

2-تاريخ غزوات العرب، لجوزيف رينو، ترجمة وتعليق شكيب أرسلان، بيروت 1966

مما قاله المؤلف في هذا الكتاب ص 296: إن الراهب الفرنسي جربرت الذي تقلد مناصب البابوية في الفاتيكان تحت اسم سلفستر الثاني، قد قضى ثلاث سنوات في الأندلس يدرس على أيدي العلماء المسلمين: الرياضيات والفلك والكيمياء وموضوعات أخرى، وحينما عاد إلى وطنه، بعد أن بلغ من العلم مبلغا، خُيِّل لعامة فرنسا إذ ذلك أنه ساحر.

وهذا نفس ما قالته المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها: شمس العرب تسطع على الغرب ص 81 وص 534

3-المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، تأليف جوليان ربيرا، ترجمة الدكتور جمال محمد مرزا.

4-الإسلام في المغرب والأندلس، تأليف ليفي بروفنسال، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم، ومحمد صلاح الدين حلمي، القاهرة، 1956م.

5-العرب في إسبانيا، تأليف ستانلي لين بول، ترجمة علي الجارم، القاهرة، 1960م

6-بين يدي الآن كتاب بعنوان: (شمس العرب تسطع على الغرب)، تأليف المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون، وكمال دسوقي، الطبعة الرابعة، بيروت، 1400هـ = 1980م.

من أقوالها في هذا الكتاب، تقول في الصفحة 75 ما نصه: ((وكُتِب للخوارزمي الخلود بتأليفه كتابين هامين في الرياضيات، حمل الأول منهما، حساب الجبر والمقابلة، يضم مجموعة ممتعة من المشاكل الرياضية، وحين ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية في العصور الوسطى، حمل معه اسمه العربي، لتصبح كلمة الجبر **Algebra** كلمة عالمية، تخلد اسم صاحبها.

وكان كتابه الثاني كتابًا تعليميًّا، صغير الحجم في علم الحساب 000 ونُقل هذا الكتاب إلى إسبانية، وتُرجم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، وقد حُمِل الكتاب المترجم إلى الأراضي الألمانية، وترجع أول نسخة منه ألى عام 1143م، وهي مكتوبة بخط اليد، وموجودة في مكتبة البلاط في فيينا، ووُجدتْ النسخة الثانية منه في دير سالم **Salem** ، وهي محفوظة الآن بهايدلبرج**Heidelberg**، ولم يلبث الألمان أنْ جعلوا من الخوارزمي شيئًا يسهل عليهم نطقه، فأسموه **Algorizmus** ونظموا الأشعار باللاتينية تعليقًا على نظرياته.

وما زالت القاعدة الحسابية **Algorithmus** حتى اليوم تحمل اسمه كعلم من أعلامها، وعُرف أنصاره في إسبانية وألمانية وانكلترا الذين كافحوا كفاحًا مريرًا من أجل نشر طريقته الرياضية باسم الخوارزميين Hlgorithmiker 000 فانتشرت الأرقام العربية التسعة، يتقدمها الصفر في كافة أنحاء أوربة))

والخوارزمي هو: محمد بن موسى، أبو عبد الله، من أهل خوارزم، رياضي فلكي مؤرخ، توفي ما بعد 232هـ = ما بعد 847م، وعاش إلى ما بعد وفاة الواثق بالله.

وقد جعلت الفصل الثاني ص 227 بعنوان: ((مستشفيات مثالية، وأطباء، لم ير لهم العالم مثيلاً))

وفي الفصل الثالث ص 243 الذي جعلته بعنوان: أحد أعظم أطباء الإنسانية إطلاقًا، تقول في الأسطر الأولى تحت هذا العنوان، ما نصه: ((قبل 600عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم، لا تحتوي إلاَّ على مؤلَّف واحد، وهذا المؤلَّف كان لعربي كبير))

وفي الفصل الرابع ص 369 الذي جعلته بعنوان: طلب العلم عبادة، تقول في الأسطر الأولى من هذه الصفحة، ما نصه: ((لقد أوصى محمد كل مؤمن، رجلاً كان أم امرأة بطلب العلم، وجعل من ذلك واجبًا دينيًّا، فهو الذي يقول للمومنين: اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد، ويرشد أتباعه دائمًا إلى هذا فيخبرهم بأنَّ ثواب التعلم كثواب الصيام، وأنَّ ثواب تعليمه كثواب الصلاة، وكان محمد يرى في تعمق أتباعه في دراسة المخلوقات وعجائبها وسيلة للتعرف إلى قدرة الخالق، وكان يرى أنَّ المعرفة تنير طريق الإيمان مرددًا عليهم: اطلبوا العلم ولو بالصين))

فهي بهذا الكلام تريد أنْ تقول أنَّ سبب تقدم المسلمين في مجــالات العلم كافة، هو أنَّ دينهم كان يأمرهم بذلك

وفي الفصل الثامن ص 393 الذي جعلته بعنوان: شعب يذهب إلى المدرسة، تقول في الفقرة الثانية من هذه الصفحة ما نصه: ((وبينما كــان شارل الأكبر يجهد نفسه في شيخوخته لتعلم القراءة والكتابة، وبينما أمراء الغرب يعترفون بعجزهم عن الكتابة، أو القراءة، وفي الأديــرة (الكنــائس الكبيرة) يندر بين الكهنة من يستطيع مسك القلــم؛ لدرجــة أنَّــه عــام 1291م لم يكن في دير القديس جالينوس من الكهنــة والرهبــان مــن يستطيع حل الخط، بينما كان هذا كله يحدث في الغــرب، كانــت آلاف مؤلفة من المدارس في القرى والمدن (في البلاد الإسلامية) تستقبل ملايــين البنين والبنات، يجلسون على سجادهم الصغير، يكتبون بحبر يميل إلى السواد فوق ألواحهم الخشبية، ويقرؤون مقاطع من القرآن 000 وكان الدافع إلى كل هذا، هو رغبتهم الصادقة في أنْ يكونوا مسلمين حقًّا، كما يجــب أنْ يكون المسلم))

ومما قالته في صفحات متفرقة، وما قاله الدكتور فيليب حتي في كتابه: تاريخ العرب 626/2، وستانلي لين بول في كتابه: العرب في إســبانيا ص119، حيث تشابهت عباراتهم: أنه في القرن العاشر المــيلادي يــوم كانت قرطبة الإسلامية تزهو بشوارعها الممتدة أميالا عديدة مبلطة ومضاءة بالمصابيح العامة حتى القرى، لم يكن في الشارع الرئيس في لندن مصــباح عمومي واحد حتى بعد هذا القرن بسبعة قرون، ولم يكن يستطيع أحد من سكان باريس أن يتخطى عتبة بيته في يوم مطير حيث سيغوص في الوحل.

ومما ذكروه أيضا: أنه يوم كانت جامعــة أكســفورد في إنكلتــرا تعــد

الاستحمام عادة وثنية كانت قرطبة قد مر عليها زمن طويل متمتعة بالحمامات الرشيقة، ويوم كانت أوربا تعد المرض قدر الله وقضاءه يجب أن لا يقاوم، كان المسلمون يتمتعون حتى بالمستشفيات المتنفلة والأجنحة لكل مرض في مستشفيات ذات إمكانيات عالية رفيعة.

ومما ذكروه أيضا: لقد عاشت أوربا قرونا عديدة تدرَّس في جامعاتها الكتب العربية المترجمة في كافة حقول المعرفة، حتى أصبحت اللغة العربية ومعرفتها هي الشرط الأساسي للمثقف في أوربا، حتى إن طلبة جامعة أكسفورد لإتقانهم اللغة العربية كانوا يتهكمون أحيانا على أستاذهم روجر بيكون إذا أخطأ في ترجمة النصوص العربية إلى لغتهم،وذكروا أن العلم كان قد انتشر في العالم وفي أوربا باللغة العربية مما أدى إلى تسرب كثير من مفردات اللغة العربية في اللغات الأوربية، وقد رأيتُ المستشرقة الألمانية قد ذهبت لإثبات هذه الحقيقة وتأكيدها في كتابها: شمس العرب، فذكرت أن من اللغات التي تسربت فيها مفردات عربية كثيرة هي اللغة الألمانية واستشهدت على ذلك بعشرات المفردات اللغوية التي يستعملها الألمان اليوم على أنها جزء من لغتهم في حين أنها عربية الأصل والجذور، ووضعت جدولا ضمت فيه مفردات ألمانية، وبجانبها مفردات عربية، لتظهر تشابه الألفاظ الألمانية مبنى ومعنى بما يقابلها من الألفاظ العربية التي لا يشك أحد في عربيتها.

7-تأثير الإسلام على أوربا في العصور الوسطى، تأليف البروفيسور مونتكمري واط، ترجمة الدكتور عادل نجم عبو، الطبعة الأولى، 1402هـ = 1982م.

مما قاله هذا المستشرق في كتابه هذا ص56 ((كـــان الخـــوارزمي المعروف لدى الباحثين باسم الكورزموس أو الغوارزموس من ألمع الأسمـــاء في حقلي الريضيات والفلك فقد اشتق من اسمـــه الاصـــطلاح العلمـــي: لوغاريتم، وقد عمل الخوارزمي في بيت الحكمة خلال عصر المأمون وتوفي بعد سنة 846 على أية حال كان لأعمال الخوارزمي الرياضية الأثرالأكبر إذ يمكن اعتبار أحد مؤلفاته المؤسس لعلم الجبر، وإن كلمة الجبر مشتقة في الحقيقة من عنوان ذلك الكتاب))

وقال ص57((ومن بين الرياضيين الآخرين الذين ترجمت مؤلفاته إلى اللاتينية: النيريزي المعروف لدى الأوربيين باسم أناريتوس المتـــوفى عـــام 921م والعالم الشهير ابن الهيثم المعروف لدى الأوربيين باســـم الهـــازن المتوفى 1039م000فقد وصل إلينا من أعماله أكثر من خمسين كتابـــا وبحث وأفضلها كتابه المعروف: كتاب المناظرة والذي ترجم إلى اللاتينية))

وقال ص 63((وكتاب قانون الطب لابن سينا حيـــث تـــرجم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر واستمر مسيطرا على دراسات الطب في أوربا حتى نهاية القرن التاسع عشر على الأقل، وكانت هناك ست عشرة طبعـــة منه خلال القرن الخامس عشر، وعشرون طبعة في القرن السادس عشـــر، وأكثر من ذلك في القرن السابع عشر، وكذلك كان هناك عدد لا يعد ولا يحصى من التعليقات عليه في اللاتينية والعبرية واللغات الأخرى))

8-حضارة العرب للمستشرق الفرنسي الدكتور غوستاف لوبـــون، نقله إلى العربية عادل زعيتر، الطبعة الثانية، الفاهرة، 1956م.

وهذا المستشرق كان قد طاف العالم الإسلامي والعربي وعند رجوعه إلى بلاده فرنسا ألف كتابه المذكور وطبع باللغة الفرسية أول مـــرة ســـنة 1888م ثم ترجم إلى اللغة العربية سنة 1947م

مما قاله هذا المستشرق في كتابه هذا ص 274 وص 582: ((بينما كانت هذه حاال أوربا كانت الكتابة في الأندلس تضم مئات الآلاف مـــن الكتب في مختلف حقول المعرفة الإنساتية، كان فيها نصيب العلوم البحتـــة ربما قريبا من الآداب والفنون000ولم يصلنا من هذه الثروة إلا أقل مـــن القليل، ذهبت بين الحرق والغرق وبعضها استحوذ عليها الغرب ونقلوه إلى بلادهم ومنه ما أصابه التلف، ويكفي أن نذكر أن بعد سقوط غرناطة وفي حوالي سنة 905هـــ = 1500م قام الكردينال خمينس، مطران طليطلة، ورأس الكنيسة الإسبانية بجمع ما أمكن جمعه مـــن المخطوطـــات العربيـــة واحتفل بحرقها))

وقال ص568 ((وإلى بلاد الأندلس كان يذهب أولئك النصـــارى 000لطلب العلم ونذكر منهم جربرت الذي صار بابا سنة 999م باسم سلفستر الثاني والذي أراد أن ينشر في أوربا ما تعلمه فعد الناس عمله من الخوارق واتهموه بأنه باع روحه للشيطان، ولم يظهر في أوربا قبل الخامس عشر من الميلاد عالم لم يقتصر على استنساخ كتب العرب وعلـــى كتـــب العرب وحدهاعوَّل روجر بيكون، وليونارد 000وأرنولد، وريمون لول، وسان توما،وألبرت الكبير 000الخ قال مسيوريتان: إن ألبرت الكبير مدين لابن سينا في كل شيء، وإن سان توما مدين في جميع فلسفته لابن رشد))

وقال ص 569 ((وظلت ترجمات كتب العرب، ولا سيما الكتب العلمية، مصدرا وحيدا تقريبا للتدريس في جامعات أوربا خمسة قـــرون أو

ستة قرون، ويمكننا أن نقول: إن تأثير العرب في بعض العلوم، كعلم الطب مثلا، دام إلى أيامنا، فقد شُرِحتْ كتب ابن سينا في (جامعة) مونبلييـــه في أواخر القرن الماضي، وبلغ تأثير العرب في جامعات أوربا من الاتساع مـــا شمل منه بعض المعارف 000 كالفلسفة مثلا، فكان ابن رشد الحجة البالغة في الفلسفة في جامعاتنا منذ أوائل القرن الثالث عشر من الميلاد))

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

تعد الشمس نجما من النجوم الاعتيادية، تبعد عنا تسعين مليون ميل، ويستغرق ضوؤها حتى يصل إلينا ثماني دقائق، وهي أكبر حجما من الأرض بمليون ومئتي ألف مرة، وتبلغ درجة حرارتها الداخلية عشرين مليون درجة، وتسيطر الشمس بقوة جاذبيتها على الكواكب التي تدور حولها ومن ضمنها الأرض فتجعلها تسير في الفضاء حيثما سارت، فتكون للأرض ثلاث حركات: الأولى، دورانها حول نفسها الذي ينشأ منه الليل والنهار، والثانية، دورانها حول الشمس الذي تنشأ منه الفصول الأربعة، والثالثة، سيرها مع الشمس حيث سارت، وتبلغ سرعة الشمس في الفضاء: 220كم في الثانية، وتساوي 140ميل في الثانية. فالأرض، وإن كانت تعود إلى نفس موضعها بعد مرور سنة كاملة من حيث موقعها واتجاهها من الشمس إلا أنها ستكون، ضمن المجوعة الشمسية، في مكان آخر من الكون، وهذا يعني، ونحن نعيش فوق الأرض، لا نبقى في مكاننا بل نتحول عنه في كل ساعة مسافة 504 آلاف ميل، وفي كل يوم مسافة (12) مليون و(96) ألف ميل، ونبتعد عن مكاننا في كل سنة: 4415040000 (أربعة آلاف وأربعمئة وخمسة عشر مليون وأربعين ألف ميل)، وفي كل شهر نقطع في الفضاء مسافة تساوي تقريبا أربعة أضعاف المسافة الممتدة ما بين الأرض والشمس، فنحن في كل يوم وفي كل سنة في مكان ولا نعود إليه حتى قيام الساعة.

هذه الشمس بقيت محافظة على حجمها وكتلتها وحرارتها ومنذ وجودها قبل ملايين السنين مع أنها تفقد في الدقيقة الواحدة 25مليون طن من المادة لتتحول إلى طاقة ضوئية وحرارية.

وكل نجم من النجوم التي نراها ليلا، والتي لا نراها يعد شمسا مثل شمسنا، منها ما هو بحجم شمسنا أو أصغر منها بقليل، ومنها ما هو أكبر حجما من شمس نهارنا بمئة مرة أو ألف مرة أو مليون مرة، ومن هذه الشموس لو وضعتْ مكان شمسنا لأصبحت الأرض رمادًا في لحظات من شدة حرارتها، ولشغلت لكبر حجمها الفضاء الممتد بين الشمس والأرض، بل لأصبحت الأرض داخلة ضمن قطرها.

وشمسنا هذه تشع قي الثانية من الطاقة النووية ما يعادل طاقة ملايين من القنابل الذرية التي صنعها الإنسان، وفي هذه السماء شموس تشع الواحدة منها من هذه الطاقة في الثانية الواحدة ما تشعه شمسنا في سنة كاملة.

ويذكر علماء الفلك أن في السماء 130 مليون شمس (نجم)، بيد أن بعضهم يشكك في هذا الرقم، ويصرح بأن عدد الشموس لا يمكن حصرها، ويقول: وإذا كان لا بد لنا أن نقدر عددها فإننا لا نغالي إذا قلنا: إن عدد الشموس (النجوم) بقدر عدد ذرات الرمال في المحيطات،

وإذا كانت هذه النجوم التي منها ما هو أكبر من الشمس ملايين المرات تبدو صغيرة كالمصابيح، فإنما كان ذلك لبعدها عنا، ويقاس بعدها بالسنين الضوئية، فالقمر مثلا يبعد عنا 240 ألف ميل، والضوء تبلغ سرعته 186 ألف ميل في الثانية، فهذا يعني أن الضوء يصل القمر في أقل من ثانيتين، لأن الضوء في خلال (2)ثانية يقطع مسافة طولها =2في 186 و = 372 ألف ميل، وتبعد الشمس عنا حوالي (90) مليون ميل، وهي مسافة يقطعها الضوء في نحو ثماني دقائق، ولهذا نقول: إن الشمس تبعد عنا ثماني دقائق ضوئية، وتعد الشمس أقرب النجوم إلينا، وأقرب نجم بعدها، وهو نجم الشعرى، يبعد عنا أربع سنوات ضوئية، أي: إذا كان ضوء

الشمس يصل إلينا في غضون ثماني دقائق، فإن ضوء هذا النجم لا يصل إلينا إلا بعد انقضاء أربع سنوات، والإنسان حين صعد إلى القمر بأسرع صاروخ صنعه وامتلكه فإنه استغرق ثلاثة أيام حتى هبط على سطحه في حين أن الضوء يصل إليه في أقل من (2)ثانية، فإذا كان الصاروخ الأمريكي استغرق ثلاثة أيام ليقطع المسافة التي يقطعها الضوء في ثانية ونصف الثانية، فكم سيستغرق هذا من الزمن حتى يستطيع أن يقطع المسافة التي يقطعها الضوء في أربع سنوات ليصل إلى أقرب نجم؟ قدرها علماء الفلك، بأن الإنسان إذا أراد أن يصعد إلى هذا النجم الذي هو أقرب النجوم بالصاروخ الذي صعد به إلى القمر، فإنه يستغرق (2) مليون سنة حتى يصل إليه، أي: تستغرق هذه الرحلة أربعة ملايين سنة صعودا ونزولا، وهناك نجوم تبعد عنا مئة سنة ضوئية، وأخرى تبعد عنا ألف سنة ضوئية، وكان علماء الفلك يعتقدون بأن أعلى النجوم تبعد عنا مليون سنة ضوئية، إلا أن المراصد الحديثة رصدت أخيرا نجوما تبعد عنا (12) بليون بليون سنة ضوئية، والبليون = مليون في مليون، أي: أن الإنسان لو استطاع أن يصنع صاروخا تبلغ سرعته سرعة الضوء وأراد أن يصعد إلى تلك النجوم فإنه لا يستطيع أن يصل إليها إلا بعد (12) بليون بليون سنة، ليت شعري كم سيستغرق من القرون والدهور إذا أراد أن يصعد إلى تلك النجوم بالصاروخ الذي صعد به إلى القمر؟!

ومن المعلوم أنَّ صوت المذيع الصادر من الإذاعات، يتحول إلى موجات كهرومغناطيسية، فيسير بسرعة الضوء في جميع الاتجاهات، فينتقل من مصدر انطلاقه، ويصل إلى أبعد منطقة من الأرض في خلال ثانية ؛ ولهذا نسمع صوت المذيع الصادر من أبعد بلد عنَّا في اللحظة نفسها، لكنَّه

لو كانت هناك إذاعة فوق نجم الشعرى، الذي هو أقرب النجوم إلينا، يبث المذيع فيها ما يحدث فوق هذا النجم من وقائع، فإنَّ صوت هـذا المـذيع وأخباره، لا تصل إلينا إلاَّ بعد أربع سنوات؛ ولهذا فنحن حين نرى هـذا النجم الساطع في الليل، فإنَّنا لا نراه على ما هو عليه الآن، بل على ما كان عليه قبل أربع سنوات، وكذلك إذا كانت هناك إذاعة فوق نجم يبعد عنَّـا مليون سنة ضوئية، فإنَّ أخبار مذيعها لا تصل إلينا إلاَّ بعد مـرور مليـون سنة، ونحن حين نرى هذا النجم ليلاً، فإنَّنا لا نراه على ما هـو عليـه في الوقت الحالي، بل على ما كان عليه قبل مليون سنة، وقد مرَّ أنَّ في السماء نجومًا تبعد عنَّا بليون بليون سنة ضوئية، أي: قد نرى الآن نجومًا لا وجود لها؛ لأنَّه قد تكون هذه النجوم قد اندثرت قبل عشـرات السـنين، إلاَّ أنَّ صورها لا تزال تسير في الفضاء، وقد سمعت قبل سـنوات مـن مختلـف الإذاعات أنَّ الفلكي العالمي فلان شاهد في مرصده شيئًا مذهلاً، وهو ينظر من خلاله إلى أعماق السماء؛ إذ رأى نجمًا ينفجر انفجارًا هائلاً، ثم تلاشى خلال دقائق، ثم صرح بأنَّ هذا الانفجار الهائل قد حدث في هذا النجم قبل عشرين سنة، وقد شاهده الآن بعد وصول صورته إلى الأرض خلال هـذه المدة.

ويقول علماء الفلك: إن السماء تحتوي على مئـات الآلاف مـن المجرات، وكل مجرة تضم مئات الآلاف من النجوم، وقد ذكـر لي أحـد زملائي التدريسيين من المولعين بقراءة الكتب الفلكيـة، أنـه توصـل إلى التعرف إلى السماوات السبع كما وردت في القرآن الكريم، فذكر أن ثمـة سبع طبقات من المجرات في السماء بعضها فوق بعض، وكل طبقة تضـم آلاف المجرات التي آخرها وأعلاها التي تبعد نجومها عنا (12) بليون بليون

سنة ضوئية، وهذا ما توقعه وهو مخالف لما جاء في القرآن الكريم قـال الله تعالى في سورة (تبارك): (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {1} الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ {2} الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ {3} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ {4} وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ){الملك: ١ – ٥}

فقوله تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) يفيد أن السماء الدنيا هي وحدها من دون السماوات السبع قد زينها الله بالنجوم، فالنجوم التي على بعد (12) بليون بليون سنة ضوئية داخلة ضمن السماء الدنيا، من هنا يتبين عظم حجم سمائنا، وقد جاء في الأثر أن هذه السماء على عظم وسعها هي بالقياس إلى السماء الثانية التي فوقها كقطرة في بحر، والسما، الثانية تبدو بهذا الحجم بالقياس إلى السماء الثالثة، وهكذا دواليك إلى السماء السابعة، وقد جاء في الحديث النبوي أن السماوات السبع مجتمعة هي بالقياس إلى عرش الرحمن كحلقة مرمية في صحراء. أعرفتَ الآن أيها الإنسان قدر الرحمن؟! أأعرفت قدر قوله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون){الزمر: ٦٧}

في التسعينات من القرن الماضي عُنيتِ الإذاعات الغربية بنشر خبر فضائي عن توجه مذنب إلى كوكب المشتري، والمشتري أكبر حجمًا من الأرض بكثير، فراح الفلكيون يرصدونه؛ ليسجلوا صورة ارتطامه بهذا

الكوكب، ومن الأخبار التي سمعتها في حينها، أنَّ هذا المـذنب أحـدث بكوكب المشتري حال اصطدامه به حفرة، بقدر حجم الكرة الأرضية، فيا ليت شعري، ماذا سيحلُّ بنا لو وجه الله، سبحانه، هذا المذنب نحو الأرض التي نعيش فوقها؟!

فما بال هذا الإنسان يخشى إنسانًا حقيرًا مثله، ولا يخشى الله؟! وما بال ابن آدم يكيل قنطارًا من الشكر والثناء لمن يقدم له قطميرًا من الفضل، ولا يشكر الله، صاحب الفضل كله؟! جاء في الحديث القدسي، يقول الله، تبارك وتعالى: أخلق ويُعْبَدُ غيري، أرزق ويُشْكَرُ غيري.

المصادر والمراجع

-الإسلام في المغرب والأندلس، تأليف ليفي بروفنسال، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم، ومحمد صلاح الدين حلمي، القاهرة، 1956م.

-الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) إعداد خالد عبد الفتاح شبل ـ الطبعة الثالثة، دار الكتب العلميـة، بـيروت، 1426هـ=2005م.

- الالسنية: علم اللغة الحديث، تأليف ميشال زكريا، دكتوراه في الالسنية من جامعة باريس.

-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، حقـق أُصـوله، الدكتور-عبد الرزاق المهيدي،، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1423هـ-2002م.

-تأثير الإسلام على أوربا في العصـور الوسـطى، تـأليف البروفيسـور مونتكمري واط، ترجمة الدكتور عـادل نجـم عبـو، الطبعـة الأولى، 1402هـ = 1982م.

-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للإمام الحافظ المؤرخ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد عثمان بن قيماز الذهبي (ت: 784هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتـب العلميـة، بيروت 1426هـ = 2005م

- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (ت:751هـ) إدارة الطباعة المنيريـة، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت (د- ت).

-البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بـن كـثير القرشـي الدمشقي (ت: 774هـ) اعتنى بهذه الطبعة ووثقهـا عبـد الـرحمن

اللادقي، ومحمد غازي بيضون، الطبعة العاشرة، دار المعرفة، بيروت، لبنان 1428هـ=2007م.

-شمس العرب تسطع على الغرب، تأليف المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون، وكمال دسوقي، الطبعة الرابعة، بيروت، 1400هـ = 1980م.

-تاريخ العرب، للدكتور فيليب حتي، بالإشتراك مع الدكتور أدورد جرجي والدكتور جبور، بيروت، 1966م.

-تاريخ غزوات العرب، لجوزيف رينو، ترجمة وتعليق شكيب أرسلان، بيروت 1966م.

-تفسير الجلالين، جلال المحلي وجلال الدين السيوطي، مكتبة الملاح للطبع والنشر، دمشق، 1389هـ = 1969م.

-تفسير القران العظيم، لعماد الدين أبي الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: 774هـ)، دار المعرفة، بيروت 1400هـ = 1980م..

-تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، لأبي علي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، قدم له واعتنى به وخرج أحاديثه رائد بن صبري بن أبي علقة، بيت الأفكار الدولية (د-ت).

-الترغيب والترهيب، من الحديث الشريف،للإمام الحافظ زكي الدين بن عبد القوي المنذري، حققه أبو عبد الرحمن المكي، الطبعة الأولى،مكة المكرمة، الرياض 1425هـ 2004م.

-جامع البيان عن تأويل أي القران، لمحمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1426هـ- 2006م.

-الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي (ت: 671هـ) الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1387هـ- 1976م.
-حضارة العرب للمستشرق الفرنسي الدكتور غوستاف لوبون، نقله إلى العربية عادل زعيتر، الطبعة الثانية، الفاهرة، 1956م
-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الآلوسي البغدادي (1227هـ)ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1426هـ = 205م.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة القاهرة 1967م.
-زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:597هـ)، وضع حواشيه، أحمد شمس الدين، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ-2002م.
-سنن أبي داود، لأبي داود سلمان بن الأشعث السجستاني، (ت: 375هـ) اعتنى به بيت الأفكار الدولية (د-ت).
- السيرة النبوية لابن هشام (ت: 213هـ) وضع حواشيه، وخرج أحاديثه فؤاد بن علي حافظ، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان **1424**هـ **2003**م -صحيح مسلم بشرح الإمام النووي (ت:676هـ) المسمى: المنهاج
- صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي: تأليف: ميخائيل عواد، 1980م

- صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي المتوفى 676هـ المسمى: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، الطبعة الثانية عشرة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1428هـ 2007م

-العرب في إسبانيا، تأليف ستانلي لين بول، ترجمة علي الجارم، القاهرة، 1960م.

-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن احمد العيني، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، (د-ت).

-غيث النفع في القراءات السبع للسفاقسي (ت: 1118هـ)، تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ=2004م.

-فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الطبعة الثانية، دمشق، 1421هـ 2000م.

-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ) مطبعة البابي الحلبي، مصر 1384هـ - 1964م.

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت:528هـ)، رتبه وضبطه وصححه، محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ-2003م.

-اللباب في علوم الكتاب، لأبي جعفر عمر بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة 880هـ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأُولى، دار الكتب العلمية بيروت، 1419هـ-1998م.
-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:546هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ-2001م.
-مجلة التربية الإسلامية، أعداد منها في الستينات، والسبعينات، والتسعينات من القرن الماضي.
-مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، المطبعة البهية 1353هـ= 1934م – 1357هـ = 1938م.
-المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، تأليف جوليان ربيرا، ترجمة الدكتور جمال محمد مرزا.
-الوسيط في تفسير القران المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت:468هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م.
-مصادر أخرى، سمعية / شخصية، وإذاعية، وقنوات فضائية تلفزيونية، وأقراص مسجلة، وإنترنت.

المحتويات

السيرة العلمية

-الاسم: عبد الجبار فتحي زيدان ذنون.

- محل وتاريخ الولادة: الموصل/1947م، محلة الشفاء، قرب دورة قاسم الخياط.

-أنهيتُ دراستي الابتدائية، في المدرسة القحطانية، سنة 1962.

-أنهيتُ دراستي المتوسطة، في متوسطة الحرية، سنة 1965م.

-أنهيتُ دراستي الإعدادية، في الإعدادية المركزية، القسم العلمي، سنة 1967م

-خريج كلية التربية الملغاة / قسم اللغة العربية /جامعة بغداد، حصلتُ على شهادة البكالوريوس في هذه الكلية بدرجة جيد جدًّا، سنة 1972م.

-عُيِّنتُ مدرسًا في ثانوية قيارة في 1973/10/9م، ثم نُقلتُ بعدها إلى متوسطة كرمليس، ثم ثانوية قره قوش، ثم متوسطة المثنى، فمتوسطة أبي بكر الصديق، وبعد حصولي على شهادة الماجستير، تم نقلي إلى معهد إعداد المعلمات سنة 1989م.

-حصلتُ على شهادة الماجستير في اللغة العربية، بدرجة جيد جدًّا عالٍ برسالتي الموسومة (المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي) بتاريخ 1988/12/20م جامعة الموصل / كلية الآداب، بموجب الأمر الجامعي المرقم 319/11/3 في 1989/1/9م

-حصلت على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، بدرجة امتياز، بأطروحتي الموسومة ((ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية) في 1997/8/26م، بموجب الأمر الجامعي العدد 2/11/3ع72 بتاريخ 1997/9/16م

-تم نقل خدماتي إلى وزارة التعليم العالي، وباشرتُ التدريس بكلية المعلمين في 1997/3/19م، التي هي كلية التربية الأساسية حاليا

-كُلِّفتُ بالخطابة من لدن وزارة الأوقاف، وكان عدد الجوامع التي صعدتُ فيها على منابرها، خمسة عشر جامعًا، وأول خطبة خطبتها كانت في جامع الطالب/حي الرفاعي، في الأسابيع الأولى من افتتاحه، سنة 1987م، وأكثر خطبي كانت في جامع يونس النحوي المعروف بجامع شيخ الشط، وآخرها كانت في جامع العطاش/كوكجلي، ثم تركتُ المنبر سنة 2000م

-أعمل الآن تدريسيًّا بكلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، ومحاضرًا في الدراسات العليا، ومناقشًا ومشرفًا لرسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه. في قسم اللغة العربية في الكلية المذكورة.

Abd gbar 950@ yahoo. Com
07702050050

للمؤلف

1-إعجاز القرآن الكريم. رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد802/ لسنة 2009م

2-مواعظ إسلامية. رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/803 لسنة 2009م

3-دروس إسلامية. رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/804 لسنة 2009م

4-بين الماضي والحاضر / قصائد إسلامية. رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/805 لسنة 2009م

5-المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي. رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/806 لسنة 2009م

6-(ما) في القرآن الكريم / دراسة نحوية. رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/807 لسنة 2009م

7-دراسات في النحو القرآني.. رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/811 لسنة 2009م

8-من مزاعم النحاة. رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/808 لسنة 2009م

9-النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين، رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/ 1732 لسنة 2010م.

10- الوجوه الدخيلة في كتب الوجوه والنظائر، لفظ (الذكر) نموذجًا، مع بحث صغير بعنوان: لغة القرآن فوق نحو النحاة رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/ 1798 لسنة 2011م.